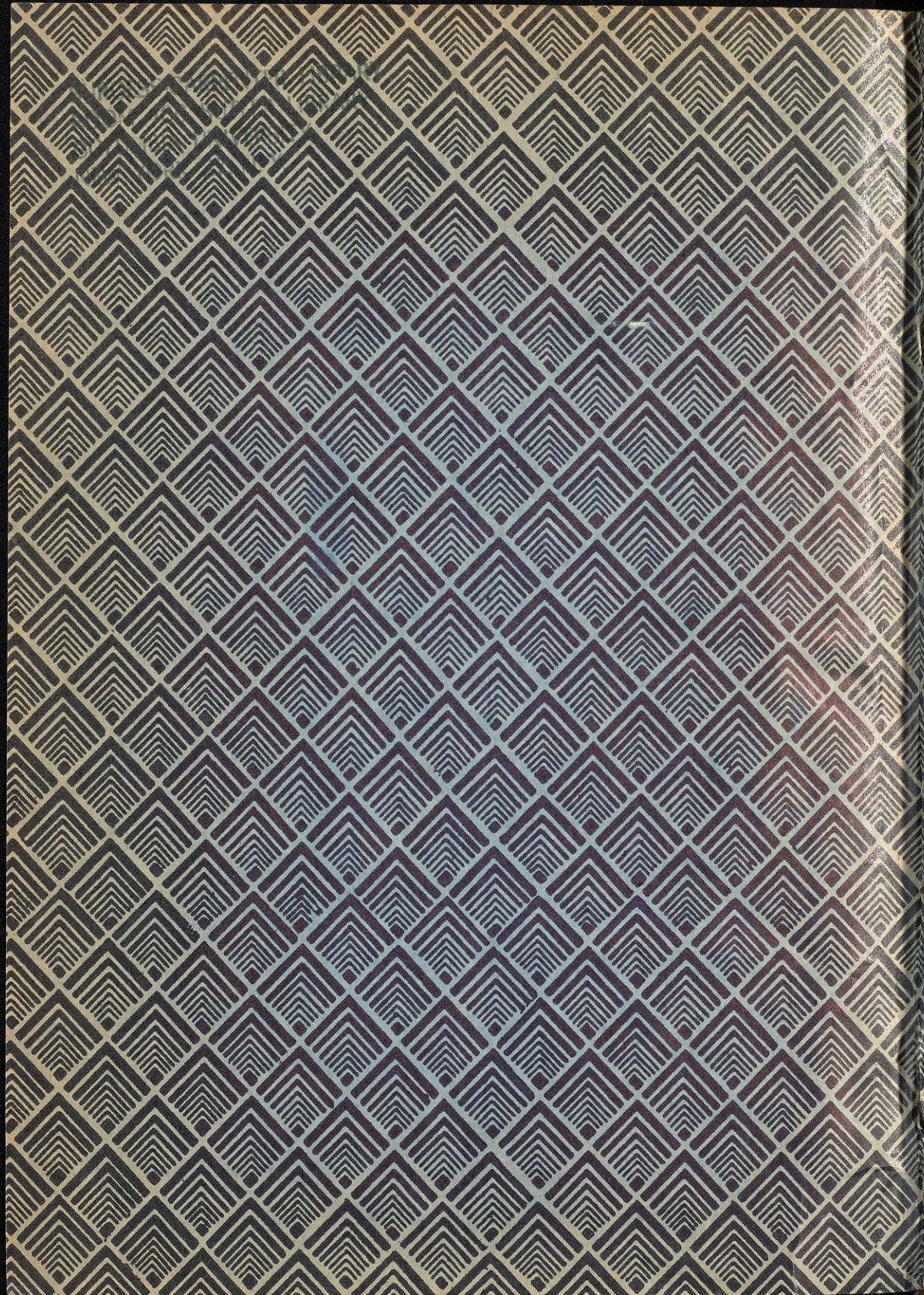
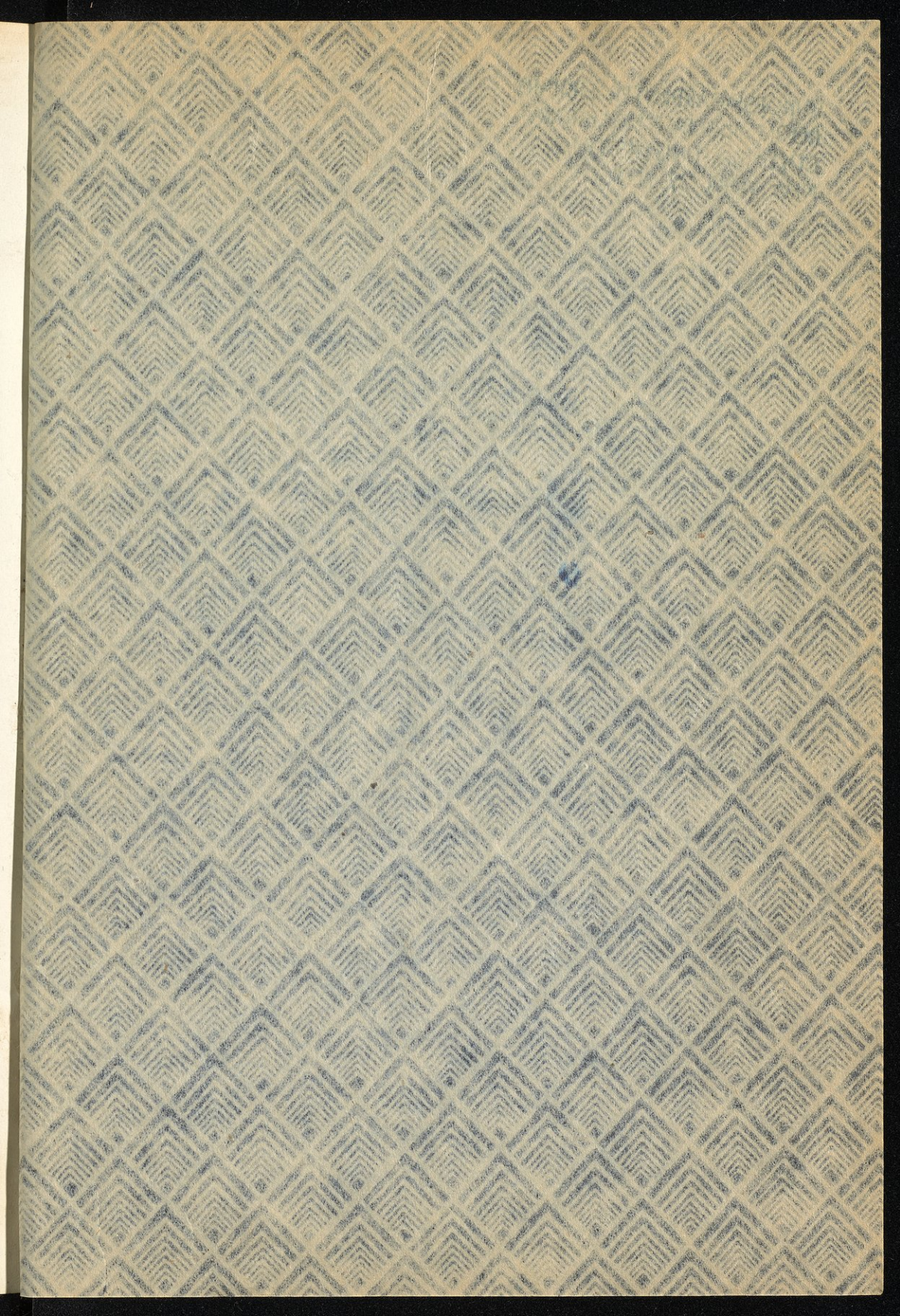


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

BURGESS-CARPENTER
&
CLASSICS
LIBRARY





العُمْدَة

في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده

تأليف

أبي علي الحسن بن رَشِيْقٍ ، الْقَيْرَوَانِي ، الْأَزْدِي

٣٩٠ - ٤٥٦ من الهجرة

حقيقه ، وفصله ، وعلق حواشيه

بِحَبْرٍ مَجْمُوعٍ لِذِي عَيْنٍ مَجْمُودٍ

عفا الله تعالى عنه !

الجزء الثاني

Burgers
D 893.782
Th 554

v. 2

الطبعة الثانية : ذو القعدة ١٣٧٤ — يولية ١٩٥٥
تمتاز بدقة الضبط ، والزيادة في الشرح والتفصيل

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى ، بأول شارع محمد علي ، بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

[جميع حق الطبع محفوظ لمحققه]

v. 2

مطبعة السعادة بمصر

317934

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ — باب التصدير

حد التصدير
وفائدته

وهو: أن يرد أعجاز الكلام على صدره ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أهبة ، ويكسوه رونقاً وديباجة ، ويزيده مائة وطلاوة .

أقسام التصدير

وقد قسم هذا الباب عبدُ الله بن المعتز على ثلاثة أقسام :
أحدها : ما يوافق آخرَ كلمة من البيت آخرَ كلمة من النصف الأول ، نحو قول الشاعر :

مِئِنِّي إِذَا مَا الْجَيْشِ كَانَ عَرَمَرَمًا فِي جَيْشِ رَأْيٍ لَا يُقَلُّ عَرَمَرَمِ
الآخر : ما يوافق آخرَ كلمة من البيت أولَ كلمة منه ، نحو قوله :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتَمُ عَرِضَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعِ
والثالث : ما وافق آخرَ كلمة من البيت بعض ما فيه ، كقول الآخر :

عَزِيزُ بَنِي سُلَيْمٍ أَفْصَدَتْهُ سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامُ

الفرق بين
التصدير
والترديد

والتصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي تُرَدُّ على الصدور ، فلا تجد تصديراً إلا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين ، وإن لم يذكروا فيه فرقاً ، والترديد يقع في أضعاف البيت ، إلا ما ناسب بيت ابن العميد المقدم .

أمثلة للتصدير

ومن أبيات التصدير قول زهير :

كَذَلِكَ خَيْمُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمُ الضَّرَاءُ خَيْمٌ

وقال أيضاً في ذلك :

لَهُ فِي الذَّاهِبِينَ أَرْوَمٌ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمٌ

وقال أبو الأسود - واسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان الدؤلى - :

وما نُكِّلُ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب

فهذا تصدير ، وإن كان ظاهره في اللفظ ترديداً للعلة التي ذكرتها .

ومن أناشيدهم في التصدير قول طَقَيْلِ الغنوى :

مَحَارِمَكَ أَمْنَعُهَا مِنَ الْقَوْمِ ؛ إِنِّي أَرَى جَفَنَةً قَدْ ضَاعَ فِيهَا الْمَحَارِمُ

وقال جرير وهم يستحسنونه جداً :

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنٌ مُسْتَهْلٌ رَبَابُهُ وما ذاك إلا حُبٌّ مِنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ

وقال عمرو بن أحرر :

تَعَمَّرْتُ مِنْهَا بَعْدَ مَا نَفَسَ الصَّبَا وَلَمْ يَرَوْا مِنْ ذِي حَاجَةٍ مَنْ تَعَمَّرَا

« تعمرت » أى : شربت من القَمَر ، وهو قدح صغير جداً ، ضربه

مثلاً ، أى : تعالت منها بالشيء القليل ، وذلك لا يبلغ ما فى نفسى منك

من المراد .

ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة ، وأنشد للفرزدق :

من التصدير
المضادة

أَصْدِرْ هُمُومَكَ لَا يَغْلِبُكَ وَارِدُهَا فَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صَدْرٌ

وأنشد في التصدير بيت طفيل المتقدم ، وبيت جرير ، وخص بيت الفرزدق

بالمضادة دون أن يجعله تصديراً كما جعله أولاً طباقاً كما يقال في الأضداد إذا وقعت

في الشعر ، وقد رأيت في إحدى النسخ مع أبيات المطابقة

ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومى :

رِيحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرِّهِ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبٍ

والكتاب يسمون هذا النوع التبديل ، حكاه أبو جعفر النحاس .

ومن أناشيد ابن المعتز قول منصور بن الفرج في ذكر الشيب :

يَا بَيَاضاً أَذْرَى دُمُوعِي حَتَّى عَادَ مِنْهَا سَوَادُ عَيْنِي بَيَاضاً

وأشدد لأبي نواس ، وهو عندي بعيد من إحكام الصنعة التي يدخل بها في هذا الباب ، على أنه غاية في ذاته ؛ لأن أكثر العادة أن تعاد اللفظة بنفسها :

دَقَّتْ وَرَقَّتْ مَدَقَّةً مِنْ مَائِهَا وَالْعَيْشُ بَيْنَ رَقِيقَتَيْنِ رَقِيقُ

وأشدد لمسلم بن الوليد :

تَبَسَّمُ عَنْ مِثْلِ الْأَقْلَاحِ تَبَسَّمتْ لَهُ مُزْنَةٌ صَيْفِيَّةٌ فَتَبَسَّما

وهذا البيت أيضاً ترديد ، وأشدد للطائي :

ولم يحفظ مُضَاعَ المجدِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَلِمَالِ الْمُضَاعِ

فالمولدون أكثر عناية بهذه الأشياء ، وأشدد طلباً لها من القدماء ، وهي في أشعارهم أوجد كما قدّمت آنفاً .

٤٦ — باب المطابقة

[المطابقة في الكلام : أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه ^(١)] المطابقة حد المطابقة عند جميع الناس : جَمْعُكَ بَيْنَ الضَّدِّينِ فِي الْكَلَامِ أَوْ بَيْتِ شِعْرٍ ، إِلا قِدَامَةً وَمَنْ اتَّبَعَهُ ؛ فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ اجْتِمَاعَ الْمَعْنِيِّينَ فِي لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ مَكْرَرَةً طَبَاقًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي بَابِ التَّجَانُسِ ، وَسُمِّيَ قِدَامَةً هَذَا النُّوعُ — الَّذِي هُوَ الْمَطَابَقَةُ عِنْدَنَا — التَّكَاوُفُ ، وَلَيْسَ بِطَبَاقٍ عِنْدَهُ إِلا مَا قَدَّمْتُ ذَكَرَهُ ، وَلَمْ يُسَمَّهِ التَّكَاوُفُ أَحَدٌ غَيْرَهُ وَغَيْرَ النَّحَاسِ مِنْ جَمِيعِ مَنْ عَلَّمْتَهُ .

(١) هذه العبارة زيادة في المصريتين ، وقد كتب بحاشيتهما « سقطت هذه الجملة من بعض النسخ ، وكأنها من منهيات المؤلف على حاشية نسخته فأدخلها بعض النساخ في جملة الكتاب وسيأتي مثل هذا في أبواب آخر » اهـ والصواب عدم إثباتها ، وذلك ظاهر كل الظهور لمن يلتفت إلى ما بعدها ، وانظر ص ١٥ من هذا الجزء

قال الخليل بن أحمد : يقال « طابقت بين الشيتين » إذا جمعت بينهما على حدو واحد وأصقتهما .

وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال : أصلها وضع الرّجل في موضع اليد في مشى ذوات الأربع ، وأنشد لنا بعة بنى جعدة :

وَخَيْلٍ يُطَابِقُنَ بِالذَّارِعِينَ طِبَاقَ الْكِلَابِ يَطَّانَ الْمِرَاسَا

ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

لَيْتُ بَعَثْتُ يَصْطَادُ الرِّجَالَ ، إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

حكى ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه .

وأما على بن سليمان الأخفش فاختر قول ابن الزبير الأسدي :

رَمَى الْحِدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُمُودَا

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ الشُّودَ بِيضَا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا

وهذا من التبديل على مذاهب الكتاب ، واختار أيضا قول طفيّل

الغَنَوِيُّ :

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَا جَلِّهِ يُضَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُولُ^(١)

حكاه الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسن القرشي . .

وقال الرماني : المطابقة : مُسَاوَاةُ الْمَقْدَارِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

(١) في المصريتين « بشاهم الوجه » بالشين معجمة ، وهو تصحيف ، ويقال :

فرس ساهم الوجه ، إذا كان محمولا على كريمة الجري ، وقال عنتره :

والخيل ساهمة الوجوه كأنما سقيت فوارسها نقيع الحنظل

والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق ، وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكل

من الإنسان .

قال صاحب الكتاب : هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره ، وأجمعه لفائدة ، وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقدّامة جميعاً ، وأما قول الخليل « إذا جمعت بينهما على حدّ واحد وألصقتهما » فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني ، يشهد بذلك قول لبيد :

تعاونن الحديثَ وطبقنه كما طبقتَ بالنعلِ المثالا

ومنه « طَبَّقْتُ المِفْصَلَ » أى : أصبته فلم أزد في العضو شيئاً ولم أنقص منه . . وكذلك قول الأصمعي « أصلها من وضع الرجل موضع اليد في مشى ذوات الأربع » هو مساواة المقدار أيضاً ؛ لأن من ذوات الأربع ما تجاوز رجله موضع يده ، ومنها ما يطابق كما قال خَلْقَةُ ، وربما كان طباقها من ثقل تحمله أو شكيمة تمنعها أو شيء تنقيه على أنفسها ، ولذلك شبه النابغة الجعدي مشى الخيل بوطاء الكلاب الهراس ، وهو حُطَامِ الشَّوْكَ ؛ فهي لا تضع أرجلها إلا حيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة .

وأما قول قدّامة في المطابق « هو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها » فإنه أيضاً مساواة لفظاً للفظ ، وهي - أعنى المساواة - على رأى الخليل والأصمعي مساواة معنى لمعنى ، وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى ، أى : موافقته ، ألا ترى أنهم يقولون : « فلان يطابق فلاناً على كذا » إذا وافقه عليه وساعده فيه ؛ فيكون مذهب قدّامة أن اللفظة وافقت معنى ، ثم وافقت بعينها معنى آخر ، ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطباق « إنه جمعك بين الشيثيين على حدّ واحد » فيكون الشيثان للمعنيين ، والحدّ الواحد : اللفظة .

ومن مליح ما رأيت في المطابقة قول كثير بن عبد الرحمن يصف عيناً :
وعن نجلأء تدمعُ في بياضِ
إِذَا دَمَعَتْ ، وَتَنْظُرُ فِي سَوَادِ

أمثلة من
المطابقة

وقال أيضاً :

وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ بَصْرِي ، وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتْ

وقال ابن المعتز ، ويروى لابن المعتدل :

هَوَايَ هَوَىٰ بَاطِنٌ ظَاهِرٌ قَدِيمٌ حَدِيثٌ لَطِيفٌ جَلِيلٌ

ولبعض الأعراب :

أَمْوَةٌ الرَّجَالِ عَلَى لَيْلِي وَلَمْ أُؤْبَرْ عَلَى لَيْلِي النِّسَاءِ

وقال أعرابي : الدرهم مياهم تَسِمُ حَمْدًا أَوْ ذَمًّا ، فَمَنْ حَبَسَهَا كَانَ لَهَا ، وَمَنْ

أَنْفَقَهَا كَانَتْ لَهُ ، وَنَظَّمَ الشَّاعِرُ هَذَا الْكَلَامَ فَقَالَ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَاَلْمَالُ لَكَ

ومن الطباق الحسن قول أعرابي : خَرَجْنَا حُفَاةً حِينَ انْتَعَلَ كُلُّ شَيْءٍ ظِلَّةً ،

وَمَا زَادُنَا إِلَّا التَّوَكُّلَ ، وَمَا مَطَايَانَا إِلَّا الْأَرْجُلَ ، حَتَّى لَحَقْنَا بِالْقَوْمِ .

وقال آخر لصاحبه : إِنْ يَسَّارَ النَّفْسَ أَفْضَلَ مِنْ يَسَّارِ الْمَالِ ، فَإِنْ لَمْ تَرْزُقْ

غَنَى فَلَا تَحْرَمِ تَقْوَى ، فَرَبِّ شَيْبَعَانَ مِنَ النِّعَمِ غَرَّ نَانَ مِنَ الْكِرْمِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ

عَلَى خَيْرٍ تَرَحَّبَ بِهِ الْأَرْضُ وَتَسْتَبْشِرُ بِهِ السَّمَاءُ ، وَلَنْ يُسَاءَ إِلَيْهِ فِي بَطْنِهَا وَقَدْ أَحْسَنَ

عَلَى ظَهْرِهَا . . . وَلرَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ الضَّبِّي :

فَدَعَا نَزَالَ فَكَانَتْ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

ومن أفضل كلام البشر قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه

« فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ،

ومن الحياة قبل الممات ؛ فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ،

وما بعد الدنيا دار ، إلا الجنة أو النار » فهذا هو المعجز الذي لا تكلف فيه ولا

مطمع في الإتيان بمثله . وقال الله عز من قائل : (وما يستوى الأعمى والبصير ،

ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الخُرُور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات)

وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز وجل : (ولكم في القصاص حياة) لأن معناه : « القتل أنفى للقتل » فصار القتل سبب الحياة ، وهذا من أملح الطباق وأخفاه .

ومما استغر به الجرجاني من الطباق واستلطفه قول الطائي :
 مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ
 لمطابقتها بهاتتا وتلك ، وإحداها للحاضر والأخرى للغائب ، فكانتا في المعنى نقيضتين وبمنزلة الضدين ، هذا قوله ، وليس عندي بمحقق ؛ إنما إحداها للقريب والأخرى للبعيد المشار إليه ، ولكن الرجل أراد التخلص فزل في العبارة .

ومثل هذا عندي في بابه قول أبي الطيب يذكر خيل العدو الزاحف للحرب :

ضَرَبْنَا إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِ جِهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضَرَبْنَا بِهَا عَنَا
 فقوله « ضربن إلينا » مجيء إقدام ، وقوله « ضربن بها عنا » ذهب فرار ، وهما ضدان .

ومن أنواع الطباق قول هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمَ :

فَإِنْ تَقْتَلُونَا فِي الْحَدِيدِ فَإِنَّا قَتَلْنَا أَحَاكُمْ مُطْلَقًا لَمْ يُكْتَبَلِ
 فقوله « في الحديد » ضد قوله « مطلقاً لم يكتبل » وإن لم يأت على متعارف المضادة ، وكذلك قوله :

فَإِنْ يَكُ أَنْفِي زَالَ عَنِّي جَمَاهُ فَمَا حَسْبِي فِي الصَّالِحِينَ بَأَجْدَعَا

كأنه قال : « وإن يك أنفي أجدع فما حسبي بأجدع » .

قال الجرجاني : وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه ، كقول كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه :

لَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمَرْوَحٌ عَلَيْنَا ، وَأَمَّا جِهْلُهُ فَعَزِيبٌ

لما رأى الحلم والجهل ووجد مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة ، ولو ألحقنا

عما يظن
 من المطابق
 وليس منه

ذلك بها لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ، ولا تَسَع الخرق فيه حتى يستغرق أكثر الكلام .

قال صاحب الكتاب : معنى قوله فيما أنكر أن البيت إنما حقه أن يكون في باب المقابلة ؛ لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تقر بان من مضادتهما ، وليستا بضدين على الحقيقة ، ولو كانتا ضدين لم يكن ما زاد على لفظتين متضادتين أو مختلفتين إلا مقابلة ، فإن لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة إلا الوزن سمي موازنة ، وسأذكره في باب المقابلة إن شاء الله ، هكذا جرت العادة في هذه التسمية .

وأما قولنا «إن الكلمتين غير متفاوتتين» فظاهر ؛ لأن الحلم ليس ضده في الحقيقة الجهل ، وإنما ضده السفه والطيش ، وضد الجهل العلم والمعرفة وما شا كلهما ، وكذلك المروح ليس ضده العزيب ، وإنما ضده المغدو به أو المبكر به ، وما أشبههما ولما ثقل وزن المروح من هاتين اللفظتين وقَلَّ استعماله تسمحت فيهما ، وأما العزيب فهو البعيد والغائب ، ولا مضادة بينه وبين المروح إلا بعيدة ، كأنه يقول : إن هذا يأتي لوقته وذلك بعيد خفي لا يأتي ولا يعرف ، على أننا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال :

ولقد سَلَوْتُ لَوْ أَنَّ دَارًا لَمْ تَلُخْ وَحَلَمْتُ لَوْ أَنَّ الْهَوَى لَمْ يَجْهَلِ

وقال زهير ، وزعموا أنه لأوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل واخْتَنَّا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

لما وجدته خلافا له طابق بينهما كما يفعل بالضد ، وإن كان الخلاف مقصرا عن رتبة الضد في المبالغة ، والناس متفقون على أن جميع الخلوقات : مخالف ، وموافق ، ومضاد ، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المساحة وطرح الكلفة والمشقة ، وأنشد غير واحد من العلماء لحسين بن مطير :

من أمثلة
المطابقة أيضا

بِسُودِ نَوَاصِيهَا وَحُمْرِ أَكْفِهَا
وَصُفْرِ تَرَاقِيهَا وَبَيْضِ خُدُودِهَا

ورواه ابن الأعرابي في نسق أبيات :

بصفر تراقبها وحمرا أكفها
وسود نواصيها وبيض خدودها

وهذه الرواية أدخل في الصنعة ، وقال الرماني وغيره : السواد والبياض ضدان ، وسائر الألوان يضاد كل واحد منها صاحبه ، إلا أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة ؛ إذ كان كل واحد منهما كلما قوى زاد بعداً من صاحبه ، وما بينهما من الألوان كلما قوى زاد قرباً من السواد ، فإن ضعف زاد قرباً من البياض ، وأيضاً فلأن البياض منصبع لا يصيبغ ، والسواد صابغ لا منصبع ، وليس سائر الألوان كذلك ؛ لأنها كلها تصبغ وتنصبغ ، انقضى كلامهم ، وهو بين ظاهر لا يخفى على أحد ، وإنما أوردته إبطالاً لزعم من زعم أن أفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم :

بأنا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيضاً
وَأُصَدِّرُهُنَّ حُمْراً قَدَرَوِيناً

ومن أخف الطباق روحاً ، وأقله كلفة ، وأرسخه في السمع ، وأعلقه في
القلب ؛ قول السيد أبي الحسن في قصيدة :

أَلَا لَيْتَ أَيَّاماً مَضَى لِي نَعِيمُهَا
تَكَرَّرَ عَلَيْنَا بِالْوَصَالِ فَنَنعَمُ
وَصَفراءُ تَحْكِي الشَّمْسَ مِنْ عَهْدِ قَيْصَرَ
يَتَوَقُّ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ يَتَكْرَمُ
إِذَا مَزَجَتْ فِي الكَأْسِ خَلْتِ لَأَلْتاً
تَنْثُرُ فِي حَافَاتِهَا وَتَنْظُمُ
جَمَعْنَا بِهَا الْأَشْتَاتَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ
عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَغِشْ فِي ذَاكَ مُحْرَمُ

فطابق بين « تنثر وتنظم » وبين « جمعنا والأشتات » أسهل طباق وألطفه من غير تعمل ولا استكراه ، وأتى في البيت الأول من قوله « مضى وتكر » بأخفى مطابقة ، وأظرف صنعة على مذهب من انتحلها .

ومما يغلط فيه الناس كثيراً في هذا الباب الجمال والقبح كقول بعض
المحدثين .

أمثلة مما يغلط
فيه الناس

وَجْهُهُ غَايَةُ الْجَمَالِ ، وَلَكِنْ فَعَلَهُ غَايَةَ لِسُكُلٍ قَبِيحٍ
وليس ضده ، وإنما ضده الذمامة ، والقبح ضده الحسن . وقال الصوليُّ
أبو بكر يصف قلما :

ناحل الجسم ، ليس يعرف مذكا ن نعيما ، وليس يعرفُ ضراً
وليس بينهما مضادة . وإنما ضد النعيم البؤس ، فأما قول أبي الطيب :
فَالسَّلْمُ تَكْسِيرٌ مِنْ جَفَا حَتَّى مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ أَلْهِيَجَاهُ
فإنه داخل في الطباق المحض ؛ لأن المراد بالهيجاء الحرب ، وهى اسم من
أسمائها ، فكأنه قال الحرب ، فأتى بضد السلم حقيقة .

(٤٧) — باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

من ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين : كقولهم « جَلَّالٌ »
بمعنى صغير ، و « جَلَلٌ » بمعنى عظيم ؛ فإن باطنه مطابقة ، وإن كان ظاهره
تجنيساً ، وكذلك « الْجَوْنُ » الأبيض ، و « الجون » الأسود ، وما أشبه ذلك
وكذلك إن دخل النفي كما قدمت ، قال البحترى :

أسباب
اختلاطهما

يَقِيضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهَوَى وَيَسْرِي إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ
فهذا مجانس في ظاهره ، وهو في باطنه مطابق ؛ لأن قوله « لا أعلم » كقوله
أجهل ، ومثل ذلك قول الآخر :

لِعَمْرِي لَنْ طَالَ الْفَضِيلُ مِنْ دَيْسَمٍ مَعَ الظَّلِّ مَا إِنْ رَأَيْتُهُ بِطَوِيلٍ
كأنه قال : إنَّ رأيه قصير ، وقد جاء في القرآن : (هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون) فأما قول الفرزدق :

لعمري لئن قلّ الحصى في عديديكم بنى نهشل ما لؤمكم بقليل -
ظاهرة تجنيس بالقلّة ، وباطنه تطبيق بالكثرة ؛ إذ كان معنى « قل الحصى
في عديديكم » أنكم كثير ، ومعنى « ما لؤمكم بقليل » أنه كثير أيضاً ، فخالف
الأول ، وقد قال جلهمة بن أد بن مالك - وهو طيء - لولده في وصية « ولا تكونوا
كالجراد ، أكل ما وجد وأكله ما وجد » فهذا مجانس الظاهر مطابق الباطن ،
ومما أشده ثعلب :

أبى حُبِّي مُسَلِّمِي أَنْ يَبِيدَا وَأَمْسَى حَبْلُهَا خَلَقًا جَدِيدَا

الجديد ههنا : المجدود ، وهو المقطوع ، مثل قتييل وهزِيل بمعنى مقتول [ومهزول] ،
كأنه قال مجدوداً ، أي : مقطوعاً ، فليس بمطابق ، وإن كان كذلك في الظاهر
عند من لا يميز ، فأما المميز فيعلم أنه لا يكون خلقاً جديداً في حال :
وقال العتابي يعاتب المأمون وقد حجب عنه وكان به حفيها :
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمُهَنْدَةِ الْبَيْضِ عَلَى غَدْرِهِمْ وَتَنْسَى الْوَفَاءَ
فأتى بالغدر والوفاء جميعاً ، وهما ضدان ، فطابق بينها في الظاهر ، وباطن
كلامه مجانس ؛ لأن قوله « وتنسى الوفاء » كقوله تغدر .
وقال جرير أيضاً :

* أَتَصْحَوُ أَمْ فُؤَادِكَ غَيْرُ صَاحٍ ^(١) *

فقوله « غير صاح » نقيض « أتصحو » لولا أنه استفهام لم تعلم حقيقة
محصوله بعد ، إلا على مذهب مَنْ جعل « أم » بمعنى « بل » فكأنه قال
لنفسه : بل فؤادك غير صاح ، فناقض الصحو ، ودخل كلامه في المطابقة . . وقال
قيس بن الخطيم ، ويروى لعدى :

(١) تمامه * عشية هم صحبتك بالرواح * وقد تكرر في هذا الكتاب

ذكر صدر هذا البيت (انظر الجزء الأول ص ١٩) .

وإني لأغنى النَّاسِ عن مُتَّكَلِّفٍ يرى النَّاسَ ضُلَّالًا وليس بمهتدى
 كأنه قال «وهو ضال» فجانس في الباطن ، وإن كان قد طابق في الظاهر .
 ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول ، نحو «خالق ومخلوق» و «طالب
 ومطلوب» هما ضدان في المعنى ، وإن تجانسا في اللفظ ، وكذلك ما كان اسم
 الفاعل منه مُفْعِلٌ^(١) والمفعول مُفْعَلٌ نحو «مكرمٍ ومكرمٍ» و «مُعْطٍ^(٢)
 ومُعْطَى» وما جرى هذا الجرى أو زاد عليه في البناء ، وأما قولك «قضيت
 واقتضيت» فظاهره تجنيس وباطنه طباق ، إلا أنه طباق غير محض ، وكذلك
 قولك «أخذت وأعطيت» ؛ لأن الأخذ ضده الترك ، والإعطاء ضده المنع ،
 فهذا مما يظنه مَنْ لا يحسن طباقاً وليس كما ظن ، ولكنه كثير جداً في الكلام ،
 واستعمله الناس ، كما تقدم من قولنا في الحلم والجهل والجمال والقبح .

ومما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر^(٣) :
 وإني وإن أوعدتهُ أو وعدته لخلف إيعادي ومُنجز موعدي
 وأول ما يعتد به في هذا الباب قولُ امرئ القيس :
 فإن تدفنوا الداء لا تخفه وإن تبعثوا الحرب لا تقعد
 ويروى * فإن تكتموا الداء لا تخفه * وقوله «لا تخفه» أي : لنبده من

(١) في المصريتين «اسم الفاعل منه مفعول» وهو واضح الخطأ .
 (٢) في المصريتين «معطى ومعطى» بإثبات الياء في الكلمتين ، والأول اسم
 فاعل والثانية اسم مفعول ، والصواب حذف الياء من الأول ما لم تقترن بال كالمعطى
 أو يضاف كمعطى الدنانير أو يكون في موضع نصب نحو اللهم أعط معطيا خلفا .
 (٣) البيت لعاصم بن الطفيل ، وقد روى في ديوانه (ص ١٥٥ طبع أوربة)
 هكذا :

وإني إن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادي وأنجز موعدي

قوله تعالى : (أ كاد أخفيها) فكأن الشاعر قال : إن تدفنوا الداء ندعه دفيناً
أو قال : إن تكتموا الداء نكتمه ، وكذلك قوله « لا نقعد » كأنه قال : إن
تبعثوا الحرب نبعتها ، ومن كلام السيد أبي الحسن :
وأعلم أن المجد شئٌ مَخْدٌ وأن الفتى والمالَ غيرُ مَخْدٍ
والبیت من قصيدة شريفة أولها :
صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَعْدَى وَعَنْ أُمِّ سَعْدٍ وَلَمْ يَشْجُنِي نَوْحُ الْحَمَامِ الْمَغْرَدِ

(٤٨) - باب المقابلة

[المقابلة : مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم ، هذا حد ما توضح عندي^(١)] حد المقابلة
المقابلة : بين التقسيم والطباق ، وهي تتصرف في أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب
الكلام على ما يجب ؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به
آخرأ ، ويأتي في الموافق بما يوافقه ، وفي المخالف بما يخالفه .

وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة أكثر ما تجيء
فيه المقابلة
مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء ، وهو :

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا ؛ فَنَاصِحٌ وَفِيٌّ ، وَمَطْوِيُّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرٌ ؟
فقابل بين النصيح والوفاء بالغل والغدر ، وهكذا يجب أن تكون المقابلة
الصحيحة ، لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير في هذا الباب ، وأنشده
للطَّرِمَاحِ :

أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقِينَا دِمَاءَهُمُ التَّرَابِيَا

(١) هذه العبارة زائدة في المصريتين ، وقد كتب علي حواشيها : « ليس
لهذه الجملة أثر في بعض نسخ الكتاب » اهـ وقد سبق التنبيه إلى مثل هذه
العبارة في ص ٥ من هذا الجزء .

فما صبروا لبأسٍ عند حربٍ ولا أدّوا لحسنٍ يدٍ ثَوَابًا
 فقدم ذكر الإنعام على المأسورين ، وأخر ذكر القتل في البيت الأول ؛ وأتى
 في البيت الثاني بعكس الترتيب ، وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب
 وأخر ذكر الثواب على حسن اليد ، اللهم إلا أن يريد بقوله * فما صبروا لبأس
 عند حرب * القوم المأسورين إذ^(١) لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأسر وإعطاء
 اليد ؛ فإن المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا ، وهذه عندهم تسمى مقابلة
 الاستحقاق ، ويقرب منها قول أبي الطيب :

مقابلة
 الاستحقاق

* وَفَعَلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ^(٢) *

لأن الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل ، فبينهما مناسبة وليست مضادة ،
 ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى ، كما قال تعالى : (فيؤخذُ
 بالنواصي والأقدام) .

ومن أناشيد المقابلة قول النابغة الجعدي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

فقابل يسر بيسوء وصديقه بالأعدى ، وهذا جيد ؛ ولو كان كل مقابل
 على وزن مقابله في هذا البيت والبيت الذي أنشده قدامة أولا لكان أجود . .
 وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي :

ويبقى بعد حلم القومِ حلمي ويفنى قبل زادِ القومِ زادي

فقال « يبقى بعد » ثم قال « يفنى قبل » فهذا كما أردنا .

وقال الفرزدق :

وأنا لنمضي بالأكفِّ رماحنا إذا أرعشت أيديكم بالمعاليق

(١) في المصريتين « إن » وراه تصحيفا .

(٢) صدره * رجلاه في الركض رجل واليدان يد * يصف جواده بأنه
 يرفع رجله معا فهما كرجل واحدة ويديه معا فهما كيد واحدة .

من أمثلة
 المقابلة

سأل أبو جعفر المنصور أبا دُلَامَةَ فقال : أيُّ بيتٍ قالته العرب أشعر؟ قال :
بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو ذلك ؟ قال : قول الشاعر :

ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجل

وقال يزيد بن محمد المهلبى ، يقوله لسليمان بن وهب :

فمن كان للآثامِ والذلِّ أرضُهُ فأرضكمُ للأجرِ والعزِّ مَعْقِلُ

وقال فى التغزل :

إن تغيبى عنى فسَقِيماً ورَعِيماً أو تَحْمَلِيْ فِينَا فَأَهْلًا وَسَهْلًا

والمعجز قولُ الله تعالى : (ومن رحمته جعل لکم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبْصِرًا ولتبتغوا من فضله) فقابل الليل بالسكون ، والنهار بابتغاء الفضل ، وجعل بعضُ المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان ، والأول أعجب إلى ، وقال تعالى :
(وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

من جيد
المقابلة

ومن جيد المقابلة قول بكر بن النطّاح الحنفي :

أذِكى وأوقِدُ للعداوةِ والقِرَى نارِينِ نَارَ وَغَى ونارِ زِنادِ

وكذلك قوله :

لباسى حُسَامٌ أو إِزَارٌ مُعَصِّمٌ وِدْرَعٌ حَدِيدٌ أو قَيْصٌ مُخَلَّقٌ

إلا أنه لو كان الإزار رداءً كان أجود ، لاسيما والسيف يسمى رداءً ، ولسكننا

هكذا روينا .

من خفي
المقابلة

ومن خفي المقابلة والقسمة قول العباس بن الأحنف وأحسن ما شاء :

اليومُ مثلُ الحَوْلِ حتى أرى وَجْهَكَ ، والساعةُ كالشهرِ

وهذا مليح ؛ لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر .

وقال محمد بن أحمد العلوى :

لا تُؤخِّرْ عنى الجوابَ فيومى مثل دهر ، وساعتى مثل شهر

فلم يصنع شيئاً ، وكان يمكنه أن يجعل مكان دهر حولا ؛ فتكون قسمة مستوية ، ولسكننا هكذا رويناه .

ومن جيد ما وقع في المنشور من المقابلة قول بعض الكتاب « فإن أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذوو الأفن والغش ، وليس من يجمع إلى الكفاية الأمانة كمن أضاف إلى العجز الخيانة » ومن كلام إبراهيم بن هلال الصابي « وأعدّ لحسنهم جنة وثوابا ، ولمسيئهم ناراً وعقابا » .

من جيد المقابلة
في المنشور

وقال أبو الفتح محمود بن حسين كشاجم :

تريك الحسن والإحسان وقفا إذا بررت لنا وإذا تغيب

ومما عابه الجرجاني على ابن المعتز :

مما عيب من
المقابلة

بياض في جوانبه أحمرار كما احمرت من الخجل الحدود

لأن الحدود متوسطة وليست جوانب ؛ فهذا من سوء المقابلة ، وإن عده الجرجاني غلطاً في التشبيه ، وإنما العلة في كونه غلطاً ما ذكرناه . .

ومن المأخوذ للمعيب عندي قول الكهيت مخاطب قضاة :

رأيتكم من مالكٍ وادعائه كرامة الأولاد من عدم النسل

فوقع تشبيهه على الادعاء والرئمان خاصة ، لا على صحة المقابلة في الشبهين ؛ لأن هؤلاء - فيما زعم - يدعون أبا ، والرامة تدعى ولداً ، وهما ضدان .

والصواب قول الآخر يهجو كاتباً ، أشده الجاحظ :

حمار في الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب في زياد

وقال أبو نواس :

أرى الفضل للدنيا وللدين جامعاً كما السهم فيه فوق والرّيش والنّصل

فزاد في المقابلة قسماً ؛ لأنه قابل اثنين بثلاثة .

وكذلك قول أبي قيس ابن الأسلت :

الحزم والقوة خير من الدهان والفكّة والنّاع

فقابل الحزم بالإدهان ، والقوة بالفكة - وهى الضعف - ويروى « الفهية » وهى العى ، وزاد الهاج ، وهو الجبن والخفة .
ومما سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان تمثيلاً وتشبيهاً قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر :

إلى ملكٍ بين الملوك وبينه مسافةٌ ما بين الكواكب والتُّربِ

لأنه لما أتى بالملوك أولاً وبضمير الممدوح - وهو الهاء التى فى « بينه » - بعد ذلك ، ثم أتى بالكواكب وهى جماعة تقابل الملوك وبالترب وهو واحد يقابل الضمير باتحاده ؛ أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب ، وتكون الملوك هم الكواكب ، ولم يرد إلا أن يجعله موضع الكواكب ، ويجعلهم موضع الترب ، ولكن حكم عليه ما حكم على ابن المعتز الذى إليه انتهى التشبيه وسر صناعة الشعر . . . ويدل ذلك على صحة ما طلبته به قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

قابل الرطب أولاً بالعناب مقدماً ، وقابل اليابس ثانياً بالحشف تالياً . وكذلك قول الطرماح :

يبدو وتضمرة البلاد كأنه سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

فقابل يبدو ببس ، وقابل تضمرة البلاد ببغمد ، على ترتيب ، وكذلك كان يجب لهؤلاء أن يصنعوا ، وإلا كانوا مخطئين أو مقصرين .

ومن المقابلة ما ليس مخالفاً ولا موافقاً كما شرطوا إلا فى الوزن والازدواج من المقابلة نوع يختص باسم الموازنة فقط ، فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة :

أَخْلَاقٌ مَجْدٍ تَجَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحَلْمِ وَالْخَبْرِ

وعلى هذا الشعر حشاً النعمان بن المنذر فَمَ النَّابِغَةَ دَرَأَ .

وينضاف إلى هذا النوع قول أبى الطيب :

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
فوازن قوله « في حياتك » بقوله « في منامك » وليس بضده ولا موافقه ،
وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال ، وإن اختلف حرف اللين فيهما ،
فإن تقطيعه في العروض واحد .

فأما قول أبي تمام :

فكنت لناشيهم أباً ، ولكهلمم أخاً ، ولدى التقويس والكبرة أبنياً
فإنه من أحكم للمقابلة وأعدل القسمة .

وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين التقسيم والطبق ؛ فكما توفر
حظها منهما كانت أفضل .

ومن أملح ما روينا في الموازنة وتعديل الأقسام مما يجب أن نختم به هذا
الباب قول ذى الرمة :

من أملح
الموازنة
وتعديل
الأقسام

أَسْتَحْدِثَ الرِّكْبُ عَنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبْرًا أَمْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَابِهِ طَرْبٌ ؟؟
لأن قوله « أستحدث الركب » عن أشياعهم خبراً أم راجع القلب من أطرابه طرب ؟؟
لأن قوله « أستحدث الركب » مؤازن لقوله « أم راجع القلب » وقوله « عن
أشيعهم خبراً » موازن لقوله « من أطرابه طرب » وكذلك « الركب » موازن
« للقلب » وعن موازن لمن ، و« أشياعهم » موازن لـ « أطرابه » وخبراً موازن لطرب .
وقال السيد أبو الحسن في هذا النوع :

لَكِفَّاكَ أَنْدَى مِنْ غَيُومِ سَوَاجِمِ وَعَزْمُكَ أَمْضَى مِنْ حُسَامِ مَهْنِدِ

فكل لفظه من القسم الأول موازنة لأختها من القسم الآخر موازنة
عدل وتحقيق .

(٤٩) — باب التقسيم

اختلف الناس في التقسيم : فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام
ما ابتداء به ، كقول بشار يصف هزيمة :

حد التقسيم

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ويذكر من نجى الفرار مثالبه

فراح فريقٌ في الأسارى، ومثله قتييلٌ، ومثلٌ لا ذَّ بالبحر هارب به
فاليبت الأول قسمان : إماموت ، وإماحياة تورث عاراً ومثلبة ، والبيت
الثاني ثلاثة أقسام : أسير ، وقتيل ، وهارب ؛ فاستقصى جميع الأقسام ، ولا يوجد
في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر .

ومثل ذلك قول عمرو بن الأهمم إلا أنه أكثر إيجازاً :

أشرباً ما شربتما فهذيل من قتييل وهارب وأسير

فجمع الوجوه كلها في مصراع واحد .

ومن التقسيم الجيد قول نُصَيْب :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم : نعم ، وفريق قال : ويحك ماندرى ^(١)

فلم يبق جواب سائل إلا أتى به ؛ فاستوفى جميع الأقسام ، وزعم قوم أنه
أفضل بيت وقع فيه تقسيم .

ومن أناشيد قدامة في هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش :

متى ماتقعُ أرساءُهُ مطمئنةً على حجرٍ يرفضُ أو يتدحرج

فلم يُبقِ الشماخ قسماً ثالثاً إلا أن يقول : يغوص في الأرض ، وذلك لا يلزم ؛
من جهة أن الحافر عند الجرى وسرعة المشى يقذف الحجر إلى وراء ، إلا أنه لو
أتى به لكان حسناً من أجل قوله « مطمئنة » .

ومن أشرف المنثور في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل
لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفئيت ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت »
فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد . . وقال نافع بن خليفة « يا بني ،
اتقوا الله بطاعته ، واتقوا السلطان بحتمه ، واتقوا الناس بالمعروف » فقال رجل منهم :
ما بقي شيء من أمر الدين والدنيا إلا وقد أمرتنا به . . وقال أعرابي « إذا كان
الرأي عند من لا يُقْبَلُ منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه
(١) حفظى « وفريقي : لئيم الله ماندرى » واللام للابتداء ، وايمن : مبتدأ حذف خبره .

من جيد
التقسيم

من جيد
التقسيم
في المنثور

ضاعت الأمور « وكان ثابت البناني يقول « الحمد لله وأستغفر الله » فسئل : لم خصهما ؟ فقال : لأني بين نعمة وذنوب ؛ فأحمد الله على النعمة ، وأستغفره من الذنوب . . . ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصرى فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسى من كفاف ، أو آثر من قوت ، فقال الحسن : ماترك البدوى منكم أحداً إلا وقد سأله .

عود إلى
جيد التقسيم
في الشعر

ثم نعود إلى الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة الخزومي :
وهيها كشيء لم يكن ، أو كمنارح به الدار ، أو من غيبيته المقسار
فلم يُبق مما يعبر به عن إنسان مفقود قسماً إلا أتى به في هذا البيت .
وقال آخر ، وأحسبه أبا دهب الجمحي أو طريحا :
لو قلت للسيل دَعْ طريقك والـموج عليه كالمضْبِ يَعْتَلِجُ
لارتد ، أو ساخ ، أو لكان له في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ
ولا يدع السيل طريقه إلا بأحد هذه الأشياء .
وقال أبو العتاهية :

وعلى من كلفني بكم قيئدٌ وجامعةٌ وغُلٌّ
فأتى على جميع ما يتخذ للأسور أو الجنون ولم يبق قسماً .
هذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم ؛ وأما ما كان في بيتين أو
ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس .

وزعم الحاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأسعر الجعفي يصف فرساً :
أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٌ قموصٌ الوقع عارية النساء
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول : هذا مثلُ سِرْحَانِ الغصَا
واختاره أيضاً قدامة ، وليس عندي بأفضل من قول امرئ القيس إلا

أصح
تقسيم

بشرف الصفات :

إذا أُقْبِلَتْ قَلتْ دُبَّاءَةٌ (١) من الخُضْرِ مغموسة في الغُدْرَةِ (١)
 وإن أُدْبِرَتْ قَلتْ أُنْفِيَّةٌ مملمة ليس فيها أثره (٢)
 وإن أَعْرَضتْ قَلتْ سُرْعُوفَةٌ لها ذَنْبٌ خَلْفُها مُسَبِّطٌ (٣)

ولو لم يكن إلا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض ، وانقطاع ذلك بعضه من بعض ، وقد صنعت على ضَعْفٍ مَتْنِيٍّ (٤) وتأخر وقتي :

إذا أُقْبِلتْ أُقْعَتٌ ، وإن أُدْبِرَتْ كَبَتْ وتعرض طولاً في العنان فتستوى
 وكَلَفَتْ حَاجَتِي شَيْبَةً طَائِرٌ إذا انتشرت ظَلَّتْ لها الأَرْضُ تَنْطَوِي
 ومن التقسيم نوع هو هذا الأول إلا أن فيه زيادةً تدريجياً وترتيباً فصعُبَ
 لذلك على متعاطيه وقل جداً . . فأحسُّنه قولُ زهير بن أبي سلمى :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضَارَبَ حتى إذا ماضار بوااعتنقاً

فأتى بجميع ما استعمل في وقت الهياج ، وزاد ممدوحه رتبة ، وتقدم به
 خُطوة على أقرانه ، ولا أرى في التقسيم عدل هذا البيت ، ويليه في بابه
 قول عنتره :

إن يلحقوا أكرُّرُ ، وإن يستلحموا أشدُّدُ ، وإن يُلقوا بضنكٍ أنزل

ويروى « وإن يقفوا » ومما يضاف إليهما قول طرِّيح بن إسماعيل الثقفي :

(١) دبءاء : هي في الأصل القرعة ، ومثلها الدبة - بفتح الدال والباء مشددة -
 وكنتي بذلك عن لينها وطراءتها وانطوائها ، وقوله « مغموسة في الغدر » يريد به
 أنها ربي ، والغدر : جميع غدیر ، وذلك ما يدل على ما ذهبنا إليه من التكنية بالدبءاء
 (٢) الأنفية : الصخرة المستديرة المجتمعمة ، مملمة : متداخلة مدورة صلبة ،
 الأثر : أراد به الحدش .

(٣) سرعوفة : هي الجرادة ، مسبطر : طويل ممتد .

(٤) لعل الاوفق « على ضعف متني » .

إن يسمعوا الخير يُخفوه، وإن سمعوا
شراً أذاعوا، وإن لم يسمعوا كذبوا
وقال الحصين بن الحمام :

دفعنا كُفْمُ بِالْحَلْمِ حَتَّى بَطِرْتُمْ
فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ
مَسْسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا ، وَكُنَّا
فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْأَمْهَاتِ وَجَدْتُمْ
وَبِالْكَفِّ حَتَّى كَانَ رَفْعُ الْأَصَابِعِ
وَمَا قَدِمْنِي مِنْ حَلْمِكُمْ غَيْرَ رَاجِعٍ
إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعٍ
بَنِي عَمَلِكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمَضَاجِعِ

كأنه يقول : نحن أكرم منكم أمهات ، فهذا هو التدريج في الشعر .
وبعضهم في التقسيم على خلاف ما قدمت : زعم أبو العيناء أن خير تقسيم
قيل قول ابن أبي ربيعة :

تهيم إلى نعم ، فلا الشمل جامع
ولا قرب نعم إن دنت منك نافع ،
ولا نأيتها بسلى ، ولا أنت تصبر
واختار قوم آخرون قول الحارثي :

فلا كمدى يفنى ، ولا لك رقة ،
ولا عندك إقصار ، ولا فيك مطمع

وزعم الفرزدق أن أكمل بيت قالته العرب - أوقال : أجمع بيت - قول
امرئ القيس :

له أبطلاً ظبي ، وساقا نعامة
وقال الأعشى يصف فرساً :

سلس مُقَلَّدُهُ ، أَسِيْلٌ خَدَّهُ ، مَرِعٌ جَنَابُهُ

وقال عمرو بن شأس :

مُدْمَجٌ سَابِغُ الضَّلُوعِ طَوِيلُ الشَّحْصِ عَيْلُ الشَّوَى مُرَّةُ الْأَعْلَى
وقال أبو دواد الإيادي :

بِعِيدُ مَدَى الطَّرْفِ خَاطِي البُضِيعِ مُمَرُّ المَطَا سَمَهَرِيُّ التَّقْصَبِ (١)
 هذا وما قبله يسمى جمع الأوصاف، وسماه بعض الخذاق من أهل الصناعة
 التقعيب - العين قبل القاف - وأما التقعيب (٢) فمكروه في الكلام .

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر ، وكان معجباً بقول

العباس بن الأحنف :

وَصَالِكُمْ صَرْمٌ وَحُبُّكُمْ قَلِيٌّ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلَامِكُمْ حَرْبٌ
 ويقول : أَحْسَنَ اللهُ فيما قسم حين جعل كل شيء ضده ، والله إن هذا

التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس ، حكى ذلك الصولي . .

ومن مליح التقسيم قول داود بن سلم (٣) :

في باعه طُولٌ ، وفي وَجْهه نور ، وفي العَرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ

فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون .

من التقسيم
التقطيع

ومن أنواع التقسيم التقطيع ، أنشد الجرجاني للنابغة الذبياني :

وَلله عَيْنًا من رأى أهل قَبِيَّةٍ أضرَّ لمن عادى وأكثر نافعاً

وأعظم أحلاماً وأكبر سيِّداً (٤)

(١) في عامة الأصول * خاطي البضع * وصوابه ما أثبتناه ،
 والحاطي - بالحاء والطاء المعجمتين - الكثير اللحم المكتنز ، والبضيع - بفتح الباء وبعد
 الضادياء مثناة - هو اللحم ، وقد أنشد ابن برى لدختنوس بنة لقيط :

يعدو به خاطي البضيع كأنه سمع أزل

(٢) في عامة الأصول التقعيب - بتقديم العين المهملة على القاف المثناة كالذي
 قبله - وهو خطأ وتصحيف ، والتقعيب في الكلام مثل التقعير ، وتقول : قعب فلان
 كلامه وقعره - بتضعيف العين فيهما - وهما بمعنى واحد .

(٣) في المطبوعات كلها «داود بن مسلم» والتصحيح عن الأغاني ١٥٣/٥ بولاف
 والبيت من خمسة أبيات مدح فيها قثم بن العباس وكان منقطعاً إليه . والبيت في الأغاني

في وجهه بدر ، وفي كفه بحر ، وفي العرنين منه شحم

(٤) في الديوان (ص ٧٤) * . . . وأكبر سيِّداً * بالباء المثناة

وسماه قوم - منهم عبد الكريم - التفصيل ، وأنشد في ذلك :
بيضُ مفارقنا ، تغلى مَرَّاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
وقال البحرى :

قِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا ^(١) أَوْ عَذُولًا
فقطع وفصل كما تراه . وقال أبو الطيب :

فياشوقُ ما بَقِيَ ، وَيَأْلِي مِنَ النُّوَى ، وَيَدَمَعُ مَا أُجْرَى ، وَيَقْلِبُ مَا أَصْبَى
ففصل كما فعل أصحابه ، وجاء به على تقطيع الوزن ، كل لفظتين ربع بيت ..
وقال أيضًا :

لِلسَّبِي مَا نَسَكْحُوا ، وَالْقَتْلِ مَا لَدُوا ، وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا ، وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا
وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع فذلك هو التصحيح
عند قدامة ، وقد فضله وأطنب في وصفه إطنابا عظيما . . وأنشد أبيات أبي
الثلج يرثى صَخْرَ العَيْ :
لو كان للدهر مال عند متلده لكان دهر صخر مَالِ قنِيان

التصحيح

أَبِي الهَضِيمَةِ ، نَابٍ بِالْعَظِيمَةِ ، مَتَلَفِ الكَرِيمَةِ ، لَأَسْقَطُ وَلَا نِوَانِ
حَامِي الحَقِيقَةِ ، نَسَّالِ الوَرِيقَةِ ، مَعْتَقِ الوَسِيقَةِ ، جَلْدِ غَيْرِ مُثْنِيَانِ ^(٢)
رَبَاءِ مَرَقِبَةٍ ، مَنَاعِ مَغْلِبِهِ رِكَابِ سَلْمِيَّةٍ ، قِطَاعِ أَقْرَانِ ^(٣)

(١) في عامة الأصول « وغادرا » من الغدر - بالغين معجمة والذال مهملة -
وهذا تصحيف واضح ، وصوابه ما أثبتناه .

(٢) الحقيقة : الربة ، وما وجب على الرجل أن يدافع عنه ، والوريقة : أصلها
الشجرة المورقة ، ولعله أراد القبيلة ، والوسيقة : الإبل ، والثنيان - بضم الثاء
وسكون النون - ومثله الثنى - بكسر الثاء - ما تكون منزلته بعد منزلة السيد .

(٣) رباء : صيغة المبالغة من « ربا » إذا أشرف وصعد ، والمرقبة : المنظرة في
رأس الجبل ، أو هي الحصن ، والأخير أولى بالمراد من البيت ، يريد أنه مقدم قومه =

هَبَّاطٌ أودية ، حَمَالٌ أودية شَهَادٌ أندية ، سِرْحَانٌ فتيان
يعطيك مالا تكاد النفس تُسَلِّمُهُ من التَّلَادِ وَهَوْبٌ غير مَنَّانٍ

وللقدماء من هذا النوع ، إلا أنهم لا يكثرون منه كراهة التكلف . قال (١)
أبو دواد يصف فرسا ، وقيل : بل رجل من الأنصار :

فَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ ، وَالْيَدُ سَابِحَةٌ ، وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ (٢)
وَالشَّدُّ مِنْهُمْ ، وَالْمَاءُ مُنْتَحِدِرٌ ، وَالْقُصْبُ مُضْطَمِرٌ ، وَالْمَتْنُ مَلْحُوبٌ (٣)

وقال الكميّ بن زيد في ذلك :

كَالنَّاطِقَاتِ الصَّادِقَاتِ
تُؤَسِّقَاتِ مِنَ الدَّخَائِرِ

= في لقاء العدو ، والمغلبة : مصدر غلبه يغلبه غلبا وغلبة ومغلبا
ومغلبة ، والسلمية - ومثله السلمب بلاهاء - يقال للفرس الذكر إذا عظم وطال
وطالت عظامه .

(١) نسب الجوهري الشطر الرابع لامرئ القيس في مادة (ق ص ب) ونقله
عنه صاحب اللسان ، ثم نقل عن ابن بري أن الصواب أنه لإبراهيم بن عمران
الأنصاري ، وذكر خمسة أبيات منها البيتان ، وهما مع هذه الأبيات مما أثبتته ناشر
ديوان امرئ القيس المطبوع في ١٩٣٠ (ص ٣٥) .

(٢) ضارحة - بالضاد المعجمة والحاء المهملة - يريد أنها تضرح الحصى ، أي :
تنحيه وتبعده ، وقيل : معناه أنها واقعة إلى الأمام . سابحة : تسير بلطف وخفة
كمن يسبح في الماء ، أي : أنه لا يجهد راكبه ولا يتعبه ، وغريب : أسود ، وجمعه
غرايب .

(٣) الشد : العدو والجري ، والقصب - بضم القاف وسكون الصاد المهملة -
المعى ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء ، وقيل : المراد به ههنا الخصر
وليس بعيداً مما قدمنا .

وإلى هذا ذهب أبو الطيب بقوله :

الناعماتِ القاتلاتِ الحَيِّياتِ المَبْدِيَّاتِ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبِهَا

وقال توبة بن الحُمَيْرِ ، وفيه التَّقسِيمُ والتَّرصِيعُ :

لَطِيفَاتِ أَقْدَامِ ، نَبِيْلَاتِ أَسْوَاقِ لَفِيْفَاتِ أَفْخَاذِ ، دِقَاقِ خُصُورِهَا

وقال مسلم بن الوليد صريع الغواني :

كَأَنَّهُ قَر ، أَوْضَيْعَمَ هَصِر ، أَوْحِيَّةَ ذَكَر ، أَوْعَارِضَ هَطَلُ

وقال أيضا :

يُورِي بَزْنِدِكَ ، أَوْ يَسْعَى بِجَدِّكَ ، أَوْ يَفْرِي بِجَدِّكَ ، كُلُّ غَيْرٍ مَحْدُودِ

ومن كلام أبي تمام ، وكان يجيد التصنيع :

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي ، وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي ، وَفَاضَ بِهِ نَمْدِي ، وَأَوْرَى بِهِ زَنْدِي

وقال أيضا وأحسن ما شاء :

تَدْبِيرِ مَعْتَصِمِ ، بِاللَّهِ مُنْتَقِمِ ، لِلَّهِ مَرْتَقِبِ ، فِي اللَّهِ مَرْتَعِبِ

وقال أيضا في غير هذا النمط :

عَنْ ثَامِرٍ ضَافٍ ، وَنَبْتِ قَرَارِقِ ، وَوَافٍ ، وَنُورِ كَالْمَرَاجِلِ خَافِي

المراجل : ثياب . . وقال كشاجم :

هَلَالٌ فِي إِضَاءَتِهِ * حِيَاءٌ فِي سَمَاحَتِهِ * شَهَابٌ فِي اتِّقَادِهِ

ومن جيد ما للمحدثين قول ديك الجن :

حُرَّ الإِهَابِ وَسَيِّمُهُ ، بَرُّ الإِيَابِ كَرِيمُهُ ، مَحْضُ النِّصَابِ صَمِيمُهُ

فأكثر البيت ترصيع كيف ما أدرته (١) . .

وكان المذهب الأول وهو المحمود أن يؤتى بيت من هذا أو بعض بيت ، كما

قال امرؤ القيس :

(١) في عامة الأصول « كيفما أدرته .

وأوتادُهُ مَازِيَّةٌ ، وَعِمَادُهُ رُدَيْدِيَّةٌ ، فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعَضَبٌ (١)
وكما قال امرؤ القيس (٢) :

كحَلَاءِ فِي بَرَجٍ ، صَفْرَاءِ فِي نَعِيجٍ ، كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ (٣)

وأما ما هو شبيهه بالمسجوع فقول امرئ القيس :

فَتَوَرُّ الْقِيَامِ ، قَطْعُ الْكَلَامِ ، تَفَتَّرُ عَنْ ذِي غُرُوبٍ أَشِيرٌ (٤)

وقوله * أَلَصُّ الشُّرُوسِ ، حَنِيُّ الضُّلُوعِ (٥) *

فجاء فتور في وزن قطع ، وكذلك الضروس والضلوع ، وألص وحنى .

(١) الأوتاد : جمع وتد ، وهو ما تشد به الخيمة . والمأذية : هى الدرور البيض
وقيل : السلاح كله . والعماد : الحشب التى ترفع عليها الخيام . والردينية : الرماح
المنسوبة إلى ردينة . وقعضب : رجل كان يصنع الأسنة .

(٢) لم أجد فى شعر امرئ القيس هذا البيت ، ولا وجدته منسوبا إليه فيما
بين يدي من المراجع ، وهذا البيت مشهور لدى الرمة ، وهو فى ديوانه (ص ١٢)
من قصيدته التى أولها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

والعبارة المذكورة فى الأصل تفيد أنها من وضع النساخ ، فإن عادة مؤلف
الكتاب أن يقول فى مثل هذا الموضع : « وكقوله أيضا » ؛ لأن الشاهد السابق
لامرئ القيس ، فتنبه ، وسيستدل به المؤلف مرة أخرى فى باب الاشتراك وينسبه
لدى الرمة على الصواب .

(٣) البرج - بفتح الباء والراء جميعا - تباعد ما بين الحاجبين ، والنعيج -
بفتحيتين أيضا - حسن اللون ، قال الجوهري : « نعيج ينعج نعجا مثل طلب يطلب
طلبا وامرأة ناعجة حسنة اللون » اه وقيل النعيج : الايضاض الخالص ، ويبعد
أن يراد هنا .

(٤) فتور القيام : متراخية متكاسلة غير وثابة . قطوع الكلام : قليلته ، تفتتر :
تبسم ، ذى غروب : فم حر الأسنان رقيق الماء ، أشير : روى فى مكانه خصر

(٥) تمامه * تبوع طلوب نشيط أشير *

ثم أدخل المولدون في هذا الباب أشياء عدوها تقطيعاً وتقسياً ، وذلك نحو قول أبي العميثل الأعرابي :

فاصدق وعفّ وجد وأنصف واحتمل واصفح ودارٍ وكأفٍ واخلمُ وأشجع
والطف ولين وتأنّ وأرفقُ وأتمدّ واحزم وجدّ وحامٍ واحمل وادفع
وكقول ديك الجن :

احلُّ وامرُزُّ ، وضرّ وانفع ولين وأخشن ورشّ وأبرٍ وأنتدبُ المعالي
وقول أبي الطيب :

أقلُّ أنبلُ اقطع أحملُ عل سل أعد زدُ هسَّ بشَّ تفصلُّ أدنُّ سرَّ صلِّ
ثم زاد في هذا وتباغض حتى صنع :

عش ابق أممُ سدُّ قدُّ جدُّ مرُّ أنه ره فيه أسرٍ نلِّ

غظِّ أرم صبي احم اغزُّ اسبِ رُع زَع دِل ائن بل

فهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع ، ولا بد من شرحها . . قوله «عش ابق»

دعاء له بالعيش والبقاء ، واسم : من السمو ، وسد : من السيادة : أى دم هكذا ،
وقد : من قوود الخليل ، وجد : من الجود والسماح ، أو من الجود وهو المطر الغزير ،
مرانه : من الأمر والنهى ، ره : من الورى تثبت الهاء فيه أظنه في الخط دون اللفظ ،
على أنه ليس موضع وقف ، ولا يجب أن يكتب بلا هاء لثلاثا يخالف العادة وتقع كلمة
على حرف واحد ، والورى : داء في الجوف : أى أصنع ذلك بإعدادك وحسادك ، فه :
من الوفاء ، وأسر : من سرى الليل ، يصفه بالعزم والغارات ، ونل : من النيل
والإدراك ، أى : نلّ ماتحب ، وروى نلّ [أى] أعط ، من النول ، ويقال : نلته
إذا أعطيته ، وغظ : من غيظ الحسود ، ويروى «عظ» من الوعظ ، وارم : من
رمى العدو بالمسكيد وغيرها ، وصب : من صاب المطرُ والسهمُ ، واحم : من حميت
المكان ، واغز : من الغزو ، واسب : من السبي ، ورُع : من الروع ، وزع : من
وزعت ، أى : كفت ، ود : من الدية ، ول : من الولاية للأمور ، وقد يكون من

من المطر الوَلِيّ، واثن: من نثي أضداده إذا رَدَّهم، وبل: من الوايل، وهذه غاية المقت والبغاضة وإن كان ولا بد فقوله أيضا:

دانٍ بعيدٌ، مُحِبٌّ مبغضٌ، بهج أغرٌ، حلومرٌ، لَيْتٌ شَرِسٌ
 ندٍ أبايٌ غَرٌّ وافٍ أخو ثقة جعدٌ سَرِيٌّ نَهٍ نَدْبٌ رِضًا نَدْسٌ
 نَدِيٌّ: من الندى، وغَرٌّ: من غرى به، ونَهٍ: من النهى، وأصل هذا كَلِّهِ

من قول امرئ القيس:

أفادَ فِجَادَ، وشادَ فِزَادَ وَقادَ فِدَادَ، وَعَادَ فأفْضَلَ

٥٠ - باب التسهيم

وقدامة يسميه التوشيح . . وقيل: إن الذي سماه تسهيمًا على بن هارون الاختلاف في المنجم، وأما ابن وكيع فسماه المطمع، وهو أنواع: منه ما يشبه المقابلة، وهو الذي اختاره الحاتمي، نحو قول جنوبٍ أختِ عمرو ذى الكلبِ:

فأقسم يا عمرو لو نبهاك إذا نبهها منك داءٌ عضالا
 إذا نبهها ليثٌ عريسةٌ مُفِيئًا مُفِيدًا نُفُوسًا ومالا (١)
 وخرقٍ تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكى الكلالا (٢)

(١) العريسة - بكسر العين المهملة وتشديد الراء - الشجر الملتف، وهو مأوى الأسد في خيسه، ومنه قولهم * كمتغى الصيد في عريسة الأسد * ويقال «عريس» أيضا بلاتاء.

(٢) خرق - بفتح فسكون - المكان الواسع تتخرق فيه الرياح، أرادت الفلاة. والوجناء: الناقة. والحرف: المهزولة، ولا يقال جمل حرف، وإنما يقال ناقة حرف، شبهوها إذا كانت ضامرة من الهزال بالحرف من حروف الهجاء، وهو الألف، تشكى: أصله تشكى، فحذف إحدى تاءيه. والكلال: التعب والإعياء.

فكنت النهارَ به شَمْسُهُ وكنْتَ دُجَى اللَّيْلِ فِيهِ الْمَلَالَا
أردتُ قولها « مفيتاً نفوساً ومفيداً مالا » فقابلت مفيتاً بالنفوس ومفيداً
بالمال ، وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمساً ولما ذكرت
الليل جعلته هلالاً لمكان القافية ، ولو كانت رائية لجعلته قرأً .

وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتفياً قافيته ، وشاهدنا بها
دالا عليها كالذي اختاره قدامة للراعي ، وهو قوله :

وإن وُزِنَ الْحَصَى فَوَزِنْتُ قَوْمِي وَجَدْتُ حَصَى ضَرِيْبَتِهِمْ رَزِينَا

فهذا النوع الثاني هو أجود من الأول للطف لموقعه .

والنوع الثالث شبيه بالتصدير ، وهو دون صاحبيه ، إلا أن قدامة لم يجعل

بينهما فرقاً .. وأنشد للعباس بن مرداس :

هُمُ سَوَدُّوا هَجْنًا وَكَلُّ قَبِيلَةٍ يُبَيِّنُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا

وقال نصيب الأكبر مولى بنى مروان :

وقد أيقنتُ أن ستبينُ ليلى وَتُحَجِّبُ عَنْكَ إِنْ نَفَعِ الْيَقِينُ

وإن تأملت قوافي ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية الراعي

وإنما اختير هذا النوع على ما ناسب المقابلة والتصدير لأن كل واحد منهما

مدلول عليه من جهة اللفظ : إما بالترتيب ، وإما باشتراك المجانسة ، والقافية في

بيت الراعي دالة على نفسها بالمعنى وحده ، فصار استخراجها أمعج وأغرب ،

وتمكنها أشد وأوكد .

وقد حكى أن ابن أبي ربيعة جلس إلى ابن عباس رضى الله عنه ، فابتدأ ينشده :

* تَسْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا *

فقال ابن عباس :

* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَعَدُّ *

فقال له عمر : هكذا صنعت ، فأنت ترى كيف طبق المَفْصِلَ ، وأصاب
شاكلة الروى ، لما كان المعنى يقتضى زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم ،
واجتنب « أشط » لأنه لا يتزن ولا يستعمل ، وعدا عن أن يقول « أبرح »
وما شاكلة رغبة في قرب المأخذ ، وسلوكا لطريق الفصاحة ، وإتيانا بالمتعارف
المعتاد المتعاهد .

ويحكى عن عَدِيَّ بن الرَّقَّاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها:

* تَزُجِي أَغْنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ (١) *

فغفل الممدوح عنه، فسكت ، فقال الفرزدق لجرير : ما تراه يقول ؟ فقال :

يقول :

* قَلَّمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

وأقبل عليه الممدوح فأنشد كما قال جرير لم يُغَادِرَ حرفاً .. وقالت الخنساء :

بييض الصَّفَّاحِ وَسُمِّرِ الرِّمَاءِ ح بالبيض ضرباً وبالسمر وَخَزَا

وقالت أيضاً في نحو ذلك :

ونلبس في الحرب نَسَجَ الحديد ونلبس في السِّلْمِ خَزَا وَقَزَا

وقال حريث بن مُحَفَّض :

فإِنَّ يَكُ طَعَنُ بِالرُّدَيْنِيِّ يَطْعُنُوا وَإِنْ يَكُ ضَرَبُ بِالْمَهْنَدِيِّ يَضْرِبُوا

وقال ابن الدمينية - واسمه عبد الله بن عبيد الله [أحد بني عامر (٢)] الخثعمي :

وكُونِي عَلَى الْوَأَشِينِ لَدَاءِ شَغْبَةٍ كَمَا أَنَا بِالْوَأَشِيِّ أَلْدُ شَعُوبُ

(١) الروق - بفتح الزاء وسكون الواو - القرن ، وإبرته : طرفه ، على

التشبيه . (٢) في الأصول « بن عبيد الله بن عبد الخثعمي »

وكوني إذا مالوا عليك صليبة كما أنا إن مالوا على صليب
فالبيتان جميعاً مسهمان . وقال دعبل :
وإذا عاندنا ذو نخوة غَضِبَ الروحُ عليه فخرج
فعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

ليس يجهل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخر منهما .
ومن جيد التسهيم قول بعضهم :

من جيد
التسهيم

ولو أني أعطيت من دهرى المنى وما كل من يعطى المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين : ألا أرجى وقلت لأيام أتين : ألا ابعدي
وكذلك قول الآخر وهو مليح :

حببي غداً لا شك فيه مودعُ فوالله ما أدري به كيف أصنع
فيا يومُ لا أدبرت هل لك محبس ويا غداً لا أقبلت هل لك مدفع
إذ لم أشيعةُ تقطعتُ حسرةً ووا كبدى إن كنت ممن يشيع

أردت البيت الأخير .. وما أظن هذه التسمية إلا من تسهيم البرود ، وهو
أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده . وأما تسميته
توشيحاً فننظف أثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ، ويمكن أن
يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز ، وله فواصل معروفة الأماكن ، فلعلهم شبهوا
هذا به ، ولا شك أن الموشحات من ترسيم البديع وغيره إنما هي من هذا ،
وبعض الناس يقول : إن التوشيح بالجيم ، فإن صح ذلك فإنما يجيء من
« وشجت العروق » إذا اشتبكت ، فكان الشاعر شبك بعض الكلام ببعض ..
فأما تسميته المظمعة فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف ، فإذا حوول
امتنع وبعده مرأه .

مأخذ التسهيم
والتوشيح

(٥١) - باب التفسير

وهو: أن يستوفى الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملاً، وقل ما يجيء هذا إلا في حد التفسير أكثر من بيت واحد، نحو قول الفرزدق واختاره قدامة:

لقد جئت قوما لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لأنفيت منهم معطياً ومطاعنا وراءك شزراً بالوشيج المقوم

هذا جيد في معناه، إلا أنه غريب مريب؛ لأنه فسر الآخر أولاً والأول آخرًا؛ فجاء فيه بعض التقصير والإشكال، على أن من العلماء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام.

وأكثر ما في التفسير عندى السلامة من سوء التضمين لأنه هو بعينه ما لم يكن في بيت واحد أو شبيهه به كالذى أنشده سيبويه:

خَوَى عَلَى مُسْتَوِيَاتِ خَمْسِ كَرَكْرَةَ وَثِفْنَاتِ مُلْسِ (١)

لأن هذا وإن كان كالبيت المصروع فهو بيتان من مشطور الرجز ومن التفسير الجيد قول (٢) حاتم الطائي، ويروى لعتيبة بن مرداس:

من جيد التفسير

(١) يقال للناقة إذا بركت فتجافي بطنها في بروكها لضمرها: قد خوت - بتشديد الواو - وقد كثر ذلك حتى صاروا يقولون للابل إذا خصت بطنها وارتفعت: قد خوت، والكركرة - بكسر الكافين بينهما راء مهملة ساكنة - رحي زور البعير والناقة، وقيل: هو الصدر من كل ذى خف، والثففات: جمع ثفنة، بفتح فسكس - وهى ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ كالركبتين، وقيل: هو كل ماولى الأرض من كل ذى أربع إذا برك أو ربض، وتعد الكركرة إحدى الثففات، وهن خمس.

(١) ذكر صاحب اللسان (مادة ق س ب) عن ابن بري وقد أنشد البيت الثالث، قال: « هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي، ولم أجده في شعره » اهـ

متى ما يجيء يوماً إلى المال وارثي يَجِدُ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرِ مَلَأَى وَلَا صِفْرٍ
يَجِدُ فِرْسًا مِثْلَ الْعَنَانِ وَصَارِمًا حَسَامًا إِذَا مَا هُزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ (١)
وَأَسْمَرَ خَطِيئًا كَأَنَّ كُؤُوبَهُ نَوَى الْقَسْبَ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ (٢)

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمنين ؛ لأنه لم يعلق كلامه
بلو كما فعل الفرزدق ، ولا بما يقتضى الجواب اقتضاء كلياً ؛ فلهذا حسن عندي . .
ومثله قول عروة بن الورد :

وإن امرأ يرجو تراثي وإن ما يصيرُ له منه غُدًّا لقليلُ
ومالٍ مال غير دِرْعٍ ومَغْفَرٍ وأبيض من ماء الحديدِ صقيلُ
وَأَسْمَرَ خَطِيئًا الْقِنَاقِ مُتَقَفِّئُ وَأَجْرُدُ عَرِيَانَ السَّرَاةِ طَوِيلُ
هكذا أنشدوه بالإقواء ، ويجوز أن يرفع على القطع والإضمار ، كأنه قال :
هو صقيل ، أو قال : ولي أبيض من ماء الحديد ، يعنى سيفه .
وقال ذو الرمة في التفسير :

وليلٍ كجلباب العروس أدرعته بأربعة والشخصُ في العين واحد
أحْمٌ عَلَافِي ، وَأَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَعْيِسُ مَهْرِي ، وَأُرْوَعُ مَا جَدُ
ففسر الأربعة ما هي ، ورفع على شرط ما قدمت من الإضمار ، كأنه
قيل له : ما الأربعة التي شخصها في العين واحد ؟ فقال : كذا وكذا وكذا ...
ومن التفسير ما يفسر الأ أكثر فيه بالأقل ، وهو من باب الإيجاز والاختصار :

(٢) الهبر - بفتح الهاء وسكون الباء - اللحم ، يريد أن سيفه لا يقنع بالضرب
في اللحم حتى يصل إلى العظم .

(٣) القسب - بفتح فسكون - التمر اليابس ، قال الليث : ومن قاله بالصاد
فقد أخطأ ، ونوى القسب : أصاب النوى . والقسب : الصلب الشديد . وأرَبَى
كَأْرَى .

وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح ، نحو قول أبي الطيب :

من مبلغ الأعراب أتى بعدها جالست رَسَطَاليس والإسكندرا
وملت محرَّ عِشارها فأضافني من ينحر البِدَر النَّضَار لمن قرى
وسمعت بظليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا
نُسِقُوا لنا نَسَقَ الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرًا
فقوله * نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت * تفسير
مليح قليل النظير في أشعار الناس . .

وتعلقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت :

أتى بعد أهل العلى كجملة شيء شرح

وقد أتى به أبو الطيب في بيت واحد فقال :

إذا عدَّ الكرام فتلك عجل كما الأنواء حين تعد عام

فهذا الذي كنا نرغب فيه لكون المفسر والمفسر به في بيت واحد .

ونظيره قوله أيضاً :

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرُدُّ

فجاء به أيضاً في بيت واحد .

وكذلك قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفاني - ولم أطلب - قليل من المال

ومن قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

فأرسلنا ربيتنا فأوفى فقال : ألا أولى خمس رُتوعُ

رباعية وقارحها وجحش وثلاثة وهادية رُموعُ

ففسر ما هي ، وأنها لغلبة التأنيث على اسم الدواب . .

وقال مالك بن خريم ، وقيل : خريم :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبيت على نفسى مناقبَ أربعا
فواحدة أن لا أبيت بغرة إذا ما سَوَّام الحى حَوَّلِي تَضوعا
وثانية أن لا تُفزعَ جارتى إذا كان جار القوم فيهم مُفزعاً
وثالثة أن لا أصمتَ كلبنا إذا نزل الأضياف حِرْصاً لنودعا
ورابعة أن لا أحجلَ قدرنا على لحمها حين الشتاء لنشبعاً

«أحجل» أستر، أ جعلها في حجلة لتخفي عن الجار رغبة أن نشبع، ولكن أبرزها
وكتب أحمد بن يوسف - وفي رواية النحاس : عمرو بن مسعدة -
عن اللأمون «أما بعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستكثار من المصاييح في
شهر رمضان؛ فإن في ذلك أنساً للسابلة، وضياءاً للمجتهدين، ونقيماً للمكامن
الريب، وتزيهاً لميوت الله عز وجل عن وحشة الظلم» .

ومن جيد التفسير في بيت واحد قول أبي الطيب :

فتي كالسحاب الجون يُخشى ويُرَجَى يُرَجَى الحيا منه وتُخشى الصواعقُ
فإنه قد أحكمه أشدَّ إحكام ، وجاء به أحسن مجيء ، حتى أربى على
البحترى إذ يقول :

بأروع من طيِّ كان قيصه يُزَرُّ على الشيخين زيد وحاتم
سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا إذا اجتمعا في العارض المتراكم
وقد رد الكلام جميعاً آخره على أوله ..

وأصل هذا من المعجز قول الله تعالى : (وهو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً).
وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :

إن كوتبوا أو لَقُوا أو حُورِبوا وُجِدُوا في الخط واللفظ والهيجاء فُرْسَاناً
ففسر وقابل كل نوع بما يليق به ، من غير تقديم ولا تأخير ، كالذى وقع أولاً
في بيتي الفرزدق ..

ومن التفسير قول كشاجم - واسمه محمود بن الحسين :

في فمها مسك ، ومشمولة صِرف ، ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخمر للريقة واللؤلؤ للثغر
وهذا من مליح ما وقع للمحدثين .

وقال لقمان لابنه : إياك والكسل والضَّجَر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد
حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

(٥٢) - باب الاستطراد

وهو : أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع
أورجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد ، وإن تبادى فذلك خروج ، وأكثر
الناس يسمى الجميع استطراداً ، والصواب ما بينته . .

وأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول :
ونحن أناسٌ لا نرى القتل سُبَّةً إذا ما رأته عامر وسلول
يُقَرَّبُ حبُّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
واتبعه الناس ، فقال الفرزدق وأجاد :
كأن فجاج الأسد حول ابن مسمع إذا اجتمعوا^(١) أفواه بكر بن وائل
ثم أتى جرير فأرْبَى وزاد بقوله :
لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضغاً البعيثُ جدتْ أنف الأخطل
فهبجا واحداً واستطرد باثنين . .

وقال مخارق بن شهاب المازني يصف معزى :
تري ضيفها فيها يبيت بغبطة وضيف ابن قيس جائع يتَحَوَّبُ
فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال : كيف المخارق بن شهاب

(١) في نسخة « حول بيوتهم إذا حلبوا » .

فيكم؟ فقال : سيد شريف حسنك من رجل يمدح تيسه ويهجو ابن عمه . .
ومن جيد الاستطراد قول دعبل بن علي الخزاعي ، ويروي لبشار بن برد
وهو أصح :

خليلي من كذب أعيننا أبا كما علي دهره ، إن الكريم معين
ولا تبخلا بجل ابن قزعة ؛ إنه مخافة أن يرُجى نداء حزين
إذا جثته في الفرط أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت كمين
ويروي * في حاجة سد بابه * وأنشد البحتری أبو تمام لنفسه في صفة فرس
واستطرد يهجو عثمان بن إدريس الشامي :

وساح هطل التعداد هتان علي الجراء أمين غير خوان
أظمي الفصوص وما تظمي قوائمه فخل عينيك في ظمان ريان
فلو تراه مشيحاً والحصي زيم تحت السنايك من مثنى ووحدان
أيقنت إن لم تدببت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان
فقال له : أتدرى ما هذا من الشعر؟ قال : لا أدري ، قال : هذا الاستطراد ،
أو قال : المستطرد .

قال الحاتمي : وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح ،
كقول زهير :

إن البخيل ملومٌ حيث كان والكنّ الجواد على علاته هرامٌ
فسمى الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً ، وأنشد في الخروج بالاستطراد من
مدح إلى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

عرضتُ عليها ما أرادت من المنى لترضى ، فقالت : قم فجنني بكوكب
فقلت لها : هذا التعتُّ كله كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب
سلى كلُّ أمر يستقيمُ طلابه ولا تسألني يا درر في كل مذهب
فأقسيمُ لو أصبحت في عزِّ مالك وقدرته أعبي بما رمتِ مطلبي

فَتِي شَقِيئَةُ أَمْوَالِهِ بَعْفَاتِهِ كَمَا شَقِيئَةُ قَيْسٍ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

فهذا مديح : أوله خروج ، وآخره استطرادٌ ، وملاحظته أن مالكاً من بني تغلب
فصار الاستطراد زيادة في مدحه ، وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي ،
ومما استطرده به أبو الطيب قوله في هجاء كافور :

يَمُوتُ بِهِ عَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ أَهْلُهُ كَمَا مَاتَ غَيْظًا فَاتِكُ وَشَيْبُ

على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب ؛ إذ ليس
القصد فيه مدحاً ولا هجاءً للرجلين المذكورين ، ولكن التشبيه والحكاية
لاغير .

وقيل : أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فر ليكر ، وكذلك الشاعر
يريد أنه في شيء فعرض له شيء لا لم يقصد إليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة
إلا إليه .

ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج ، وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر من الاستطراد
الإدماج
لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وَزَرَ للمعتضد :

أَبِي الدَّهْرِ مِنْ إِسْعَافِنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفْنَا فِي مَنْ نُحِبُّ وَنُكْرَمُ
فَقُلْتُ لَهُ : نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَمَّهْمَا وَدَعَّ أَمْرُنَا ؛ إِنَّ الْمَهْمَ الْقَدَمُ

وحكى أحمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب من
عمرو بن مسعدة يرد فيه النظر ، فقال : لعلك فكرت في ترديدي النظر في هذا
الكتاب ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : إني عجبت من بلاغته واحتماله
لمراده « كتبت كتابي إلى أمير المؤمنين أعزه الله ومن قبلي من قواده وأجناده في
الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت
أحوالهم » ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة في الإخبار ، وإعفاءه سلطانه من

الإكثار ؟ ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر ، وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب .

٥٣ - باب التفريع

حد التفريع ومنزله من الاستطراد وهو من الاستطراد كالتدرج من التقسيم ، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً ، نحو قول الكميته :

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم يشفي بها الكلب^(١)

فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا . وقال ابن المعتز :

كلامه أخذع من لحظه ووعدّه أكذب من طيفه

فبينما هو يصف خدع كلامه فرّغ منه خدع لحظه ، ويصف كذب وعده فرّغ كذب طيفه . وقال أيضاً يصف ساق كأس :

فكان حمره لونها من خده وكان طيب نسيمها من نشره

حتى إذا صب المزاج تبسمت عن ثغرها تحسبته من ثغره

ما زال ينجزني مواعده عينه ، وأحسب ريقه من خوره

البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفريع ، والبيت الآخر ليس بتفريع جيد ؛ لأن الخمر نازلة عن رتبة الريق عند العاشق ، وحق التفريع أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً على الأول درجة : في الحسن إن قصد المدح ، وفي القبح إن قصد الذم ، وهو نوع خفي إلا على الحاذق البصير بالصنعة .

ومثل بيت ابن المعتز قول البحترى :

(١) قال صاحب اللسان وأنشد هذا البيت : « قال اللحياني : الرجل الكلب

يبيض إنسانا ، فيأتون رجلاً شمرها فيقطر لهم من دم أصبعه فيسقون الكلب فيبرأ » اهـ .

وإذا تألق في الندى كلامه المصقولُ خلت لسانه من عَضِيهِ
لأن حق العَضْبِ في باب المدح أن اللسان أمضى منه . .

ومن التفريع الجيد قول الصنوبري :

ما أخطأت نوباته^(١) من صدغه شيئاً ، ولا ألفاته من قـده
وكأنما أنفاسه من شعره وكأنما قرطاسه من جلده
فانظر إليه كيف يزيد رتبة في الجودة كلما فرغ .

ووصف ابن شيرزاد جارية كاتبة : فقال كأن خطها أشكال صورتها ، وكان
بيانها سحر مقلتها ، وكان سكينها غنج لحظها ، وكان مدادها سواد شعرها ، وكان
قرطاسها أديم وجهها ، وكان قامتها بعض أناملها ، وكان مقطها قلب عاشقها .

وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتباً أنشده الصولي في أبيات :
كأن دواته^(٢) من ريقٍ فيه تلاقُ فلتشرُّها أبداً كـريه
وقال كشاجم :

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفة نسبته للعليل موصوفه
لو بدّل الله قلبه غنما ما طمع الناس منه في صوفه

ومن لطيف التفريع قول أبي الطيب يصف ليلاً :

أقلبُ فيه أجفاني كأنني أعدُّ بها على الدهر الذُّنوباً

بينما هو يصف كثرة سهره وإدارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده . .

وقال فبرد :

ولو نقضتُ كما قد زدتُ من شرف على الوري لرأوني مثل شانيكاً

(١) في عامة الأصول « نوباته » وهو تحريف شنيع .

(٢) في المصريتين « ذواته » وما أقبحه من تحريف .

هذا التفریع للمعون . . وقال محمد بن وهب :

طللان طالَ عليهما الأمد دَثْرًا فلا عَمَ ولا نضد
لَبِيسًا البلى فكأنما وَجَدَا بعدَ الأحبة بعض ما أجد

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس :

سَمَّحُ البديهة ليس يُمَسِّكُ لفظُهُ فكأنما أفاضهُ من مالهِ
وكأنما عَزَمَاتُه وسيوفُهُ من حَدَّهَنَ خلقن من إقباله
متبسمٌ في الخطبِ تحسب أنه تحت العجاج مُلَثَّمٌ بفعاله

وأخبت ما سمعته في هذا الباب قولُ ابن الرومي يهجو رجلا :

له سائسٌ ماهرٌ يحولُ على مَتْنِهِ
ويطعنُ في دبره أفانينَ من طعنه
بأطولَ من قرنيه وأغلظَ من ذهنه

ومن التفریع أيضا قول أبي الطيب على غير هذا النظام :

أسير إلى أقطاعه في ثيابه على طَرَفِه من داره بِحُسَامِه
وما مَطَّرَ تَنِيهِ من البيض والقنا وروم العبيدِي^(١) هاطلات غمامه

فهذا تفریع تناوله من قول أبي تمام :

فقالوا : فما أولاك ؟ صِفْ بَعْضَ نَيْلِه فقلت لهم : من عنده كلُّ ما عندي

وأصله من قول أبي نواس :

* فكلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ *

يصف كلب صيد .

(١) العبيدي — بتشديد الهمزة مفتوحة — العبيد ، جمع عبيد .

٥٤ - باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم ، وسماهُ آخرون الاستدراك ، حكاة قدامة ،
وسبيله أن يكون الشاعر أخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول
إلى الثاني فيأتي به ، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول ،
كقول كثير:

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ ، وَأَنْتِ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَآ

فقوله * وأنت منهم * اعتراض كلام في كلام ، قال ذلك ابن المعتز ،
وجعله باباً على حديثه بعد باب الالتفات ، وسائر الناس يجمع بينهما .
قال النابغة الذبياني :

أَلَا زَعَمْتَ بَنُو عَبْسٍ بَأْنِي - أَلَا كَذَّبُوا - كَبِيرُ السَّنِّ فَأَنِي

فقوله * ألا كذبوا * اعتراض ، ورواه آخرون للجعدى * ألا زعمت بنو
كعب * وهو أشبه بالجعدى ؛ لأنه أعلى سنامنه ؛ فقوله * ألا كذبوا * اعتراض ،
وكذلك ما يجري مجراه .

وأنشدوا في الالتفات لبعض العرب :

فَظَلُّوا بِيَوْمٍ - دَعَّ أَخَاكَ بِمَثَلِهِ - عَلَى مَشْرِعٍ يَرُودُ وَلَمَّا يَصْرَدُ

فقولك * دع أخاك بمثله * التفات مليح .

وقال جرير يرثي امرأته أم حزرَةَ :

نَعْمَ الْقَرِينُ - وَكُنْتُ عَلِقَ مِضْنَةَ - وَارَى بِنَعْفِ بَلِيَّةِ الْأَحْجَارِ

فقوله * وكنت علق مِضْنَةَ * هو الالتفات .

وقال عوف بن محم لعبد الله بن طاهر :

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلُغْتَهَا - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَانِ

فقوله * وبلغتها * التفات ، وقد عده جماعة من الناس تنمياً ، والالتفات

أشكل وأولى بمعناه ، ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت ، وإن كان ضده في التحصيل ؛ لأن الالتفات تأتي به عفواً وانهازاً ، ولم يكن لك في خلدٍ فتقطع له كلامك ، ثم تصله بعدُ إن شئت ، والاستطراد تقصده في نفسك ، وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره ، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه .

وقد جاء الالتفاتُ في آخر البيت نحو قول امرئ القيس :

أبعدَ الحارثِ الملكِ بنَ عمرو له ملكُ العراقِ إلى عمان

نُجَاورَةَ بنِي شَمَجَى بنِ جَرْمِ هواناً ما أتيح من الهوان

ويمنحها بنو شَمَجَى بنِ جَرْمِ مَعِيزَهُمْ ، حنانك ذا الحنان

فقوله * ما أتيح من الهوان * وقوله * حنانك ذا الحنان * الالتفات

وحكى عن إسحاق الموصلي أنه قال : قال لى الأصمى : أتعرف التفتات جريراً ؟

قلت : وما هو ؟ فأنشدني :

أُنسى إذ تُودِّعنا سليمى بعودِ بَشَامَةِ ، سُمِّيَ البَشَامُ !

ثم قال : أما تراه مقبلاً على شعره ، إذ التفت إلى البشام فدعاه ، وأنشد له

عبد الله بن المعتز :

متى كان الخيامُ بذى طلوحِ سُمِّيتِ الغَيْثَ أيتها الخيامُ

وأنشد له أيضاً ابن المعتز :

طَرِبَ الحمامُ بذى الأراكِ فهاجنى لا زلتَ في غللي وأبيكَ ناصِرِ

لم يعد ابن المعتز إلا ما كان من هذا النوع ، وإلا فهو اعتراض كلام في كلام

وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله « هو انصراف المتكلم من

الإخبار إلى المخاطبة ، ومن المخاطبة إلى الإخبار » وتلاقوه تعالى : (حتى إذا

كنتم في الفلكِ وجريئِ بهمٍ بريحِ طيبةٍ) .

وأنشد غيره لأبي عطاء السندي يرثي يزيد بن عمر بن هبيرة :

يجيء الالتفات
آخر البيت

وإنك لا تَبْعَدُ على متعهدٍ بلى كلُّ ما تحت الترابِ بعيد
وهذا هو الاستدراك ، ومثله قول زهير :

حَتَّى الديارِ التي لم يبلها القدم بلى ، وَغَيَّرَهَا الأرواحُ والديمُ
وكذلك قول جرير :

غداً بأجماعِ الحىِّ نَقْضِي لُبَّانَةً فأقسم لا تُقْضِي لِبائتنا غداً
وأنشد ابن المعتز في هذا النوع ، وهو لبشار :

نبئت فاصحَ قومه يفتابني عند الأمير ، وَهَلْ علىَّ أمير؟
ومن مליح ما سمعته قول نُصَيْب :

وددتُ - ولم أخلق من الطير - أنتى أعارُ جَنَاحِي طائرُ فأطيرُ
فقوله * ولم أخلق من الطير * عجب ، ولما سمعتِ التي قيل فيها هذا البيت
تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أوه قد والله أجبته بأحسن من شعره ،
والله لو سمعتك لَنَعَقَ وطار ، فجعله غراباً لسواده .

وأنشد الصولي للعباس بن الأحنف :

قد كنت أبكى وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ
إن تم ذا الهجر يا ظلوم ، فلا تم ، فما في العيش من أربِ
وقال : سمعت ثعلباً يقول : ما رأيت أحداً إلا وهو يستحسن هذا الشعر .
ومن المليح أيضاً قول التحيف^(١) بن سليمان العقيلي :

أمنكم يا حنيفُ - نعم لعمرى - لِحِيٍّ مَخْضوبَةٌ ودمٌ سُجَالِ

يخاطب ابنه . . وقال عدى بن زيد العبادي وهو في حبس النعمان يخاطب
ابنه زيدا ويحرضه :

فلو كنت الأسيرَ ، ولا تَكُنْهُ ، إِذَا عَلِمْتَ مَعَدِّي ما أقول

(١) في عامة الأصول « التحيف » بالنون ، وهو تحريف .

(٥٥) - باب الاستثناء

تسميته وحده وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم ، وذلك نحو قول النابغة
الذياني :

وَلَا غَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفِهِمْ بِهِنَّ فُلُؤُومِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ
فجعل فلول السيف عيباً ، وهو أوكد في المدح . .
وقال النابغة الجعدي :

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ قَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله ، بعد أن وصفه بالكمال . وبهذا الاستثناء
ثم وزاد كلاً وتأكداً حسنه . .
وكذلك قوله :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

فكانه لما كان فيه ما يسوء أعياده لم يطلق عليه أنه يسر فقط ، وذلك زيادة
في مدحه ، وليس هذا الاستثناء على ما رتبته النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء
المعروفة ، وإنما سمي اصطلاحاً وتقريباً ، سماه هؤلاء المحدثون نحو الحاتمي وأصحابه
ولم يسم حقيقة . .

ومن مליح هذا النوع قول أبي هفان [و] قد تقدم به وَجَوَدَ غَايَةَ التَّجْوِيدِ :

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ أَنْ سَمَّاحِنَا أَضْرَبْنَا ، وَالبَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَأَفْنَى الرَّدَى أَرْوَاحِنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالِنَا غَيْرَ عَائِبِ

فقوله إن السماح والبأس أضربهم ليس بعيب على الحقيقة ، ولكن توكيد
مدح ، والمليح كل المليح قوله « غير ظالم ، وغير عائب » فهذا الثاني أعجب من
الأول وألطف موقعاً . . وقال آخر :

من مليح
هذا النوع

ولا عيبَ فينا غيرُ عِرْقٍ لمعشرٍ كرامٍ ، وأنا لا نخطُّ على النمل^(١)
 فقصر من جهة قوله * غير عرق لمعشر كرام * لأن سبيل هذا الباب أن يؤثر
 فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير ، وإن كان على التحصيل فخرًا وفضلاً ، كالفُلُول في
 سيوف النابغة الذبياني ، وإتلاف المال في شعر الجعدي ، وترك الخط على النمل في شعر
 لآخر وأنهم لا يشفون صاحبها ، وهي داء واحدها النملة ، وأما ذكر الكرم فلا
 وجه له ههنا .

ومن هذا الباب قول ابن الرومي :

لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شِبْهِهِ

فجعل انفراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤنسه عيباً ؛ فهو
 يزيد توكيد حسنه .

وقال حاتم الطائي :

وَمَا تَتَشَكَّى جَارَتِي غَيْرَ أَنِّي إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعُلَهَا لَا أُرْوِرُهَا

(١) قال ابن منظور : « النمل : قروح في الجنب وغيره ، ودواؤه أن يرقى
 بريق ابن الجوسي من أخته ، تقول المجوس ذلك . . . ثم أنشد هذا البيت . .
 أى : لسنا بمجوس نكسح الأخوات . قال أبو العباس : وأنشدنا ابن الأعرابي
 هذا البيت ، وفسره أنا كرام ولانأنى بيوت النمل في الجذب لنحفر على ما جمع لنا كله
 . . . وقال الجوهري : النمل : بشور صغار مع ورم يسير ثم يتقرح فيسمى
 ويتسع ، ويسمى الأطباء الذباب ، وتقول المجوس : إن ولد الرجل إذا كان من
 أخته ثم خط على النملة شفى صاحبها . وفي الحديث : « لارقية إلا في ثلاث : النملة
 والحمة والنفس » اه كلامه بحروفه . والتفسير الذي ذكره أولاً ثم نقله بعد عن
 الجوهري هو المطابق لما ذكره المؤلف هنا ، وهو الموافق لقول الشاعر * غير
 عرق لمعشر كرام * فإنهم كانوا يعدون غير العرب ليسوا من الكرام في شيء ،
 ومنه تعلم أن اعتبار المؤلف ذكر الكرم مما لا وجه له في الكلام غير شديد ، هذا
 وفي رواية ابن منظور للبيت * غير نسل لمعشر * ورواية المؤلف أقرب .

سبيلها خيري ويرجع أهلها إليها ولم تقصر على استورها
لما كان في ترك الزيارة إشكال بين مراده .

ومن أصحاب التأليف من يعد في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر :

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالتقابض الماء باليد
وقال الربيع بن ضبيع الفزاري :

فَنَيْتُ وما يَفْنَى صَنِيعِي وَمَنْطِقِي وَكُلُّ أَمْرِيءَ إِلَّا أَحَادِيثَهُ فَأَنِي

وليس من هذا الباب عندي ، وإنما هو من باب الاحتراس والاحتياط ؛ فلو

أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطل ، ولخرجنا فيه عن قصده وغرضه
ولكل نوع موضع .

(٥٦) - باب التميم

وهو التمام أيضاً ، وبعضهم يسمى ضرباً منه احتراساً واحتياطاً .

ومعنى التميم : أن يحاول الشاعر معنى ، فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده
وأتى به : إمامبالغة ، وإما احتياطاً واحتراساً من التصغير ، وينشدون بيت (١) طرفه :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبَ الرَّبِيعَ وَدِيمَةَ تَهْمِي

لأن قوله *غير مفسدها* تميم للمعنى ، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر .

ومثله قول جرير :

حد
التميم

(١) من قصيدة له بهدد فيها المسيب بن علس الشاعر ، ويمدح قتادة بن مسامة

الحنفي ، وقبله بأربعة أبيات :

أبلغ قتادة غير سائله منى الثواب وعاجل الشكم

والشكم : العوض والجزاء ، وقتادة هذا من أجواد العرب ، وكان يقال له :

غيث الضريك ، وكان قوم لرفة قد أصابهم سنة فأتوه فأحسن عطيتهم .

فسقاك - حيث حلت غير فقيده - هـ - زج الرواح وديمة لا تقلع
 فقوله * غير فقيده * تتميم لما أراد من دنوها وسقيها غير راحلة ولا ميته
 إذ كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقى ؛ فاحترس من ذلك .
 وقد عاب قدامة على ذى الرمة قوله :

ألا يا سلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلاً بجزعائك القطر
 فإنه لم يحترس كما احترس طرفه ، فرد ذلك عليه بأن الشاعر قدم الدعاء
 بالسلامة للدار في أول البيت ، وهذا هو الصواب . . وقال زهير :
 من يلقى يوماً على علته هرماً يلقى الساحة منه والندى خلُقاً
 قوله * على علته * مبالغة وتتميم عجيب .

من التتميم
 في القرآن
 الكريم

والأصل في هذا قول الله عز وجل : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً
 ويتيماً وأسيراً) فقوله (على حبه) هو التتميم والمبالغة في قول من قال إن الهاء ضمير
 الطعام ، وإن كان كناية عن الله تعالى خرج المعنى عن هذا الباب ، وقال الله جل
 اسمه : (من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة)
 فتمم بقوله - (وهو مؤمنٌ) - .

من أمثلة التتميم
 في الشعر

ومن أناشيد قدامة والحاتمي وغيرها قول نافع بن خليفة الغنوي :
 رجالٌ إذا لم يُقبل الحق منهمُ ويعطوه عادوا بالسيوف القواضبِ
 قال الحاتمي : فإن المعنى تم بقوله « ويعطوه » وإلا كان ناقصاً .
 ويجرى مجراه عندي قول عنترة العبسي :

أئنني على كما علمت فينني سهلٌ مُخالفتي إذا لم أظلم
 فقوله * إذا لم أظلم * تتميم حسن .
 وقال آخر :

فلا تبعدن إلامن السوء ؛ إنني إليك - وإن شطت بك الدار - نازع

فاستثنأوه « السوء » تتميم واحتراس جيد .

وقال أبو الطيب بن الوشاء :

لئن كان باقى عيشنا مثل مامضى فلأموت إن لم ندخل النار أروح

وقال سُرَاقَةُ البارقي يهجو رهط جرير :

صغارٌ مقاريهم عظامٌ جُعورهم بطاء عن الداعى ، إذا لم يكن أكلًا^(١)
كأنه قال إذا لم يكن المدعو إليه أكلًا .

وقال مريع بن وعوة السكلابى وقد قتل رجلا نَهْشَلِيَا :

وقلت لأصحابي : النَّجَاء ؛ فَإِنَّمَا مع الصبح - إن لم تَسْبِقُوا - جَمْعُ نَهْشَلِ

ويجرى على هذه الأناشيد قول ابن محكان السعدى حين قدم للقتل :

ولست وإن كانت إلى حبيبةً بياك على الدنيا إذا ماتت

فاستغنى * وإن كانت إلى حبيبة * استثناء مليحا ، ونوى التقديم والتأخير ؛

فلذلك جاز له أن يأتى بالضمير مقدما على مُظْهَرِه ، هكذا قال فيه أبو العباس المبرد ،

ومن التتيميم الحسن قول امرئ القيس :

على هيكَل يعطيك قَبْلَ سؤَالِهٍ أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَرٍّ وَلَا وَانِي

فقوله * قبل سؤاله * تتميم حسن لقوله « أفانين جرى » وقول أعشى باهلة^(٢) :

* وكل أمر سوى الفحشاء يأتى^(٣) *

يقول : هو يَدْبُرُ كل شىء سوى الفحشاء فإنه لا يدبرها .

(١) المقارى : جمع مقرى - بكسر الميم وسكون القاف وبعد الراء ألف

مقصورة - وهو إناء يقرى فيه الضيف ، ويقال للجفنة مقرة . وقال ابن الأعرابي :

المقارى : القدور ، وجعورهم : أراد أستاذهم ، وعظم الاست مما يتهاجى به العرب .

(٢) يرثى أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلى ، وكان بنو نضيل قد قتلوه .

(٣) صدره * لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه * ولا يصعب الأمر : لا يجده

(٥٧) — باب المبالغة

آراء الناس
في المبالغة

وهي ضروب كثيرة . والناس فيها مختلفون : منهم من يُؤثِّرها ، ويقول بتفضيلها ، ويراها الغاية القُصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مذهب نابغة بنى ذبيان ، وهو القائل : أشعر الناس من استجيد كذبه ، وضحك من رديئه ، هكذا أعرفه ، ورأيت بخط جماعة - منهم عبد الكريم والباغاني - من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رديئه . وروى قوم من حديث النابغة ومطالبتة حسان ابن ثابت بالمبالغة ونسبته إياه إلى التقصير في قوله :

لَنَا الْجَفْنَاتُ الْعُرُ يُلْمَعْنَ بِالضَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم ، ومنهم من يعيها وينكرها ، ويراها عيباً وهُجْنةً في الكلام ، قال بعض الخذاق بنقد الشعر : المبالغة ربما أحالت المعنى ، ولَبَّسَتْهُ عَلَى السَّامِعِ ؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أخفزه ، لأنها لاتقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه ؛ لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضاً الإبانة والإفصاح ، وتقريب المعنى على السامع ؛ فإن العرب إنما فَضَّلَتْ بالبيان والفصاحة ؛ وحلا منطقتها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة ، وإشارات لطيفة ، تكسبه بيانا وتصوره في القلوب تصويراً ، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء ، وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها ، وبالتشكك في الشبهين ، كما قال ذو الرمة :

فِيَاظِمِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَا آ أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَلَمِ

فلو أنه قال * أنت أم سالم * على نفي الشك بل لو قال « أنت أحسن من
الظبية » لما حل من القلوب محل التشكك . وكما قال جرير :

فإنك لو رأيت عبيد تميم وتيمياً قلت : أئهم العبيدُ

فلو قال « عبيدهم » أو « خير منهم » لما ظن به الصدق ، فاحتمل في تقريب
المشابهة ؛ لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق .

وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخليل :

كأنه من عرقٍ يُسرُّ بله ككُرسفِ الندافِ لولا بلمله^(١)

فإنه لو قال « إنه الكرسف » لم يكن في حسن هذا ؛ لأنه يشهد بتقارب
الشبهين إلى أن أوقع في الشك . . والمبالغة في صناعة الشعر كالأستراحة من
الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ فيشغل الأسماع بما هو محال ، ويهول مع
ذلك على السامعين ، وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام أن
تمكنه ، ولا يتعذر عليه ، وتنجذب كلما أرادها إليه ، انقضى كلامه .

وفيه كفاية و بلاغ ، إلا أنه - فيما يظهر من فحواه - لم يرد إلا ما كان فيه بُعد ،
وليس كل مبالغة كذلك ، ألا ترى أن التتميم إذا طلبت حقيقته كان ضرباً من
المبالغة وإن ظهر أنه من أنواع الحشو المستحسن ، وقد مر ذكره . وكذلك ما ناسب
قول ابن المعتز يصف خيلاً :

صَبَّبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا وَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلٌ^(٢)

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو ، وهو عندى مبالغة ، وكذلك
الإيقال ، وسيرد في بابه إن شاء الله .

(١) الكرسف - بضم الكاف والسين بينهما راء مهلهة ساكنة - القطن ،
وهو الكرسوف أيضاً ، وواحدته كرسفة . والنداف : الذي يضرب القطن بالندف
(٢) انظر ص ٦٩ الآتية .

التقصي
من المبالغة
وحده

فمن أحسن المبالغة وأغربها عند الخذاق : التقصّي ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء ، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :

وُنكِرْمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُتْبِعُهُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ كَانَا
فَتَقَصَّى بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَتَعَاطَاهُ وَوَصَفَ بِهِ قَوْمَهُ .

ترادف
الصفات

ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات ، وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل معنى ، كقول الله تعالى : (أو كظلماتٍ في بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ) .

الغلو

فأما الغلو فهو الذي ينكره مَنْ ينكر المبالغة من سائر أنواعها ، ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه مما بينت ، ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة ، إلى كثير من محاسن الكلام : فمن أبيات المبالغة قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمِدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الْخِزَامِيِّ وَنَشْرَ الْقَطْرِ^(١)

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْبَاهِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمَسْتَحِرَّ

فوصف فاهها بهذه الصفة سحرراً عند تغير الأفواه بعد النوم ، فكيف تظنها في أول الليل؟! ومثل ذلك قوله يصف ناراً وإن كان فيه إغراق:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ ، تُشَبُّ لِقْفَالٍ

يقول : نَظَرْتُ إِلَى نَارِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ تُشَبُّ لِقْفَالٍ وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ

رُهْبَانٍ ، وَقَدْ قَالَ :

(١) في عامة الأصول « نشر العطر » بالعين للمهملة ، وهو تصحيف دعا إليه ذكر النشر ، وإنما هو « نشر القطر » بقاف مثناة . والقطر - بضم فسكون وبضمتين - العود الذي يتبخر به ، وقد قطر ثوبه - بتضعيف الطاء - وقطرت الجارية

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلِهَا بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرَةً عَالٍ ^(١)
 وبين المـكانين بُعدُ أيام ، وإنما يرجع الثَّقَالُ من الغزو والغارات وَجْهَ
 الصباح ؛ فإذا رأوها من مسافة أيام وجه الصباح وقد خد سَنَاهَا وَكَلَّ موقدها
 فكيف كانت أول الليل ؟!! وشبه النجوم بمصاييح الرهبان ؛ لأنها في السحر
 يضعف نورها كما يضعف نور المصاييح الموقدة ليلها أجمع ، لاسيما مصاييح الرهبان ؛
 لأنهم يـكـلـون من سهر الليل فرما نعسوا ذلك الوقت ، وهذا مما أورده شيخنا
 أبو عبد الله .

وقال امرؤ القيس يصف فرساً :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ
 أراد طوله ؛ لأن العروس تـجـر ذيلها إما من الحياء وإما من الخيلاء .

وزعم الجاحظ أن قول غيلان ذى الرمة :

وَكَأَنَّ كَجَلْبَابِ الْعُرُوسِ أَدْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ
 أراد به سُبُوغُه لالونه ، وأكثر الناس على خلاف قوله ، وأنا أرى أن هذا
 كقول عوف بن عطية بن الخرع التيمي من تيم الرباب يصف خيلاً :
 وَجَلَّلَانَ دَنْحًا قِنَاعَ الْعُرُوسِ سِ تَدُنِي عَلَى حَاجِبِيهَا الْخِمَارِ

« دَمَحٌ » : جبل بعينه ، فأراد أن الخليل كسونه قناعاً من الغبار هذه صفة .
 ومن مُعْجِزِ المبالغة قول الله عز وجل : (سِوَاكَ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ
 جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) فجعل من يسر القول كن
 يجهر به ، والمستخفي بالليل كالسارب بالنهار ، وكل واحد منهما أشد مبالغة في
 معناه وأتم صفة .

(١) انظر ص ٦٢ الآتية .

(٥٨) - باب الإيغال

وهو ضرب من المبالغة كما قدمت ، إلا أنه في القوافي خاصة لا يَعْدُوها ،
والخاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ ، وهو تفعيل من بلوغ الغاية ، وذلك يشهد
بصحة ما قلته ، ويدل على ما رتبته .

ضفة أشعر
الناس

وحكى الخاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال : حدثني
التوزي قال : قلت للأصمعي : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس
بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقضي كلامه قبل
القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت : نحو من ؟ قال : نحو
الأعشى إذ يقول :

كَمَا نَطِحَ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

فقد تم المثال بقوله : وأوهى قرنه ، فلما احتاج إلى القافية قال « الوعل »
قال : قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه ينحط
من قنّة الجبل على قرنه فلا يضره ، قال : قلت : ثم نحو من ؟ قال : [نحو] ذى الرمة
بقوله :

قِفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مِيَّةٍ وَأَسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّدَاءِ الْمُسْلَسِ

فتعم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاد شيئاً ، وقوله :

أَظُنُّ الَّذِي يَجِدِي عَلَيْكَ سَوَالِهَا دَمُوعًا كَتَبِيدِ الْجَمَانِ الْمُنْفَصِلِ

فتعم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المنفصل » فزاد شيئاً أيضاً .

أول من
ابتكر هذا
النوع

وليس بين الناس اختلاف أن امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى

بقوله يصف الفرس :

إِذَا مَا جَرَى شَاوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفَهُ تَقُولُ هَزِيذَ الرِّيحِ مَرَّتَ بِأَنْأَبِ

فبالغ في صفة ، وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين وابتلَّ عطفه

بالعرق ، ثم زاد إيغالا في صفة بذكر الأثاب ، وهو شجر للريح في أضعاف
أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت ، ومثل ذلك قوله :

كَأَنَّ عُيُونَ الطَّيْرِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُشَقِّبِ
فقوله « لم يشقّب » إيغال في التشبيه ، واتبعه زهير فقال :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَطِّمْ
فأوغل في التشبيه إيغالا بتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفناء
الذي لم يحطم ؛ لأنه أحر الظاهر أبيض الباطن ، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض
البتة ، وكان خالص الحمرة ، وتبعهما الأعشى فقال يصف امرأة :

غَرَاءَ فَرَعَاهُ مَصْقُولٍ عَوَارِضُهَا تَمَشَّى الْهُوَيْنَا كَمَا يَمَشَّى الْوَجِي الْوَحْلُ
فأوغل بقوله « الوحل » بعد أن قال « الوجي » وكذلك قوله « الوعل »^(١)

وكان الرشيد كثير العجب بقول صريع الغواني :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذَوَابَةَ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشَى الْمُقِيدِ فِي الْوَحْلِ
ويقول : قاتله الله ! ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل ، وأنا أقول :
إنه بيت الأعشى^(١) بعينه .

ومن الإيغال قول الطرِّمَّاحِ العقبلي يصف فرساً بسعة المنخر :

لَا يَكْتُمُ الرَّبُّوْ إِلَّا رَيْثَ يَخْرُجُهُ مِنْ مَنخَرٍ كَوْجَارِ الثُّعْلَبِ الْخَرْبِ
فكونه كوجار الثعلب غاية في المبالغة ، فكيف إذا كان خرباً ؟ .

ومن الإيغال الحسن قول الخنساء :

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
فبالغت في الوصف أشد مبالغة ، وأوغلَّت إيغالا شديداً بقولها « في رأسه
نار » بعد أن جعلته علماً ، وهو الجبل العظيم .

وأشد الجاحظ :

أَلْوَى حِيَازِمِي بَهَنَ صَبَابَةً كَمَا تَتَلَوَّى الْحِيَةَ الْمَشْرِقُ

(١) في البيت الذي أنشده المؤلف أول التمثيل لهذا النوع .

فقوله « الحية المشرق » إيغال ؛ لأنه أشد لتلوّيه .
وكذلك قول جرير :

بات الفـرزـدق عائراً وكأنه قَعَوُ تعاوره السقاةُ معار
وإذا كان معاراً كان أشد لاستعماله وأقلّ للتحفظ عليه .

وقال النجاشي يذكر عبد الرحمن بن حسان :

لما أتاني ما يقول ودونه مسيرة شهرٍ للمطى المفردِ
فأوغل بقوله « المفرد » إيغالا عجيبياً ؛ لأنه أسير من الحمل .

وقال جميل :

إني لأكتمُ حبها إذ بعضهم فيمن يحبُّ كناشدِ الأغفال
« الناشد » طالب الضالة ، وإذا كانت غفلاً ليس فيها سمة كان أشد

للبحث عليها ، وأكثر للسؤال والذكر .

ومن أحسن إيغال المحدثين قول مروان بن أبي حفصة :

هم القوم: إن قالوا أصابوا ، وإن دُعوا أجابوا ، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
فقوله « وأجزلوا » قد أتى به في نهاية الحسن .

وكذلك قول بشار بن برد :

وغيرَ أن من دون النساء كأنه أسامة ذو الشَّبلين حين يجوع

فقوله « حين يجوع » إيغال حسن .

وقال ابن المعتز :

وداع دعا والليلُ بيني وبينه فكنتُ مكان الظن منه وأعجلا

فقوله « وأعجل » زيادة وصف ، وإيغال ظاهر .

وقال أبو الطيب في رثاء أم سيف الدولة :

مَشَى الأمراء حَوَليها حُفَاة كأنَّ المروَ من زِفِّ الرئال

« فالزف » : أصغر الريش وأمينه ، ولا سيما ريش النعام ، ولم يرض بذلك

حتى جعله زف الرئال ، شبه به المرو - وهو ما صغر من الحصى وحد - فهذا فوق

كل مبالغة وإيغال .

ومن هذا نوع يسمى الاستظهار ، وهو قول ابن المعتز لابن طباطبأ العلوي
أو غيره :

من الإيغال
الاستظهار

فأنتم بنو بذته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

فقوله « المسلم » استظهار ؛ لأن العلوية من بني عم النبي عليه الصلاة والسلام
أيضا أعنى أبا طالب ومات جاهليا، فكان ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة .
وليس بين الإيغال والتتميم كبير فرق ؛ إلا أن هذا في القافية لا يعدوها ،
وذلك في حشو البيت .

واشتقاق الإيغال من الإبعاد ، يقال : أوغل في الأرض ، إذا أبعده ، فيما
حكاه ابن دريد ، وقال : وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه
وقال الأصمعي في شرح قول ذي الرمة :

اشتقاق
الإيغال

كأن أصوات من إيغالهن بنا أو آخر الميس أصوات الفراريج

الإيغال : سرعة الدخول في الشيء ، يقال : أوغل في الأمر ، إذا دخل فيه
بسرعة ، فعلى القول الأول كأن الشاعر أبعده في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب ،
وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته هذه القافية .

وكما [أ] كثرت من الشواهد في باب وإنما أريد بذلك تأنيس المتعلم وتجسيده على
الأشياء الرائعة . ولأريه كيف تصرف الناس في ذلك الفن ، وقلّبوا تلك المعاني والألفاظ

(٥٩) — باب الغلو

ومن أسمائه أيضا الإغراق ، والإفراط ، ومن الناس من يرى أن فضيلة
الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو ، ولأرى ذلك إلا محالاً ؛ لخالفته
الحقيقة ، وخروجه عن الواجب والمتعارف . . وقد قال الحذاق : خير الكلام
الحقائق ، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها ، وأنشد المبرد قول الأعشى :

أسمائه
وميزته

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْنَ مِنِّي مُعَلَّقٌ بِعُودِ مُنَمَّامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودَهَا

فقال : هذا متجاوز ، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه ، انقضى كلامه .

وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله أصح الكلام تعالى ، ونحن نجد أنه قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق ؛ فقال جل من قائل : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) .

والغلو عند قدماء : تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجاً عن طباعه ، كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه :

تَظَلُّ تَحْفَرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ بَعْدَ الذَّرَاعِينَ وَالسَّاقِينَ وَالْهَادِي

إذ ليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد ذلك في الأرض ، ولأن مخارج الغلو عنده على « تكاد » وعلى هذا تأول أصحاب التفسير قول الله تعالى : (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) أي : كادت .

وقال الجرجاني في كتاب الوساطة : والإفراطُ مذهب عام في المحدثين ، وموجود كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون : من مستحسنٍ قابل ، ومستقبحٍ رادٍّ ، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدّها سَلِمَ ، ومتى تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة من الإغراق .

وقال الحاتمي : وجدت العلماء بالشعر يعيرون على الشاعر أبيات الغلو قول الحاتمي والإغراق ، ويختلفون في استحسانها واستهجانها ، ويعجب بعض منهم بها ، وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرى أنها من إبداع الشاعر الذي يُوجِبُ الفضيلة له ، فيقولون : أحسنُ الشعرُ أكذبُهُ ، وأن الغلو إنما يراد به المبالغة والإفراط ، وقالوا : إذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن

الموجود ويدخل في باب المعدوم وإنما يريد به المثل وبلوغ الغاية في النعت ،
واحتجوا بقول النابغة - وقد سئل : مَنْ أشعر الناس - فقال : من استجيد كذبه
وأضحك رديته ، وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة ، وأنه لا يصح
عند التأمل والفكرة ، انقضى كلامه .

من أبيات
الغلو .

ومن أبيات الغلو للقدماء قول مهلهل :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مِنْ بَحْرِ جُرِّ صَلِيلِ الْبَيْضِ تَقَرُّعُ بِالذُّكُورِ

وقد قيل : إنه أ كذب بيت قالته العرب ، وبين حُجْرٍ - وهي قصبة
اليمامة - وبين مكان الواقعة عشرة أيام ، وهذا أشد غلواً من [قول] امرئ
القيس^(١) في النار ؛ لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكاً . .
ومنها قول النابغة في صفة السيوف :

تَقْدُ السَّلَوقِيَّ المِضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بالصَّفَّاحِ نارَ الجِهابِ

وهو دون بيت امرئ القيس^(١) في تَنَوُّرِ صاحبة النار إفراطاً ، ودون بيت النابغة
قول النمر بن تولب في صفة السيف أيضاً ، وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب^(٢)
واختار قوم على بيتي النابغة والنمر قول أبي تمام :

ويَهْتَزُّ مِثْلَ السِّيفِ لَوْ لَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتَهُ مُطْبَاهُ مِنَ العِمْدِ

ومن الغلو قول جرير :

فَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي نَمِيرٍ عَلَى خَبَثِ الحَدِيدِ إِذَا الذَابَا

لأنه شيء لا يذوب أبداً ، . وقد نعى على أبي نواس قوله :

وَأَحْمَتُ أَهْلِ الشَّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ التُّنْفُ التِّي لَمْ تُخْلَقِ

(١) هو قوله الذي أنشده من قبل (ص ٥٦ من هذا الجزء) :

تنورتها من أذرعها ، وأهلها بيثرب ، أدنى دارها نظر عال

(٢) انظر ص ٦١ السابقة .

إذ جعل ما لم يخلق يخافه . . . وكذلك قوله :

حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ

وزعم بعض المتعقبين أن الذي كثر هذا الباب أبو تمام ، وتبعه الناس بعد ، من غلو المتنبى وأين أبو تمام مما نحن فيه ؟ فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلواً ، وأبعدهم فيه همّة ، حتى لو قدر ما أخلّ منه بيتاً واحداً ، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنى ، وله في غيره مندوحة ، كقوله :

يَتَرَشَّهْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَخْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ

وإن كان له في هذا تأويل ومخرج يجعله التوحيد غاية المثل في الخلاوة بفيه .

وقوله :

لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَتَى الظُّلَمَاتِ صِرْنَ شَمُوسًا
أَوْ كَانَ صَادِفَ رَأْسِ عَازِرٍ سَيْفُهُ فِي يَوْمِ مَعْرَكَةِ لَأَعْيَا عَيْسَى
أَوْ كَانَ لِبُحْجِ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ مَا انشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى

فما دعاه إلى هذا وفي الكلام عوض منه بلا تعلق عليه ؟ فكيف إذا قال :

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خَبْرَتِي بِهَا كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَندَرَ السَّدَّ مِنْ عِزْمِي

فشبه نفسه بالخالق ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، ثم انحط إلى الإسكندر ، ور بما أفسد أبو الطيب إغراقه هكذا ونقص منه بما يظنه إصلاحاً له وزيادة فيه ، نحو قوله يصف شعره :

إِذَا قَلْتَهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وَصُولِهِ جِدَارُهُ مُعَلَّى أَوْخِيَاءِ مُطْنَبِ

فما وجه الخباء المطنب بعد الجدار المنيف ؟ بينا هو في الثريا صار في الثرى !

وإنما أراد الحاضرة والبادية ، وكذلك قوله :

تَصَدُّ الرِّيحُ الْهُوجُ عَنْهَا مَخَافَةٌ وَيَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ يَلْقَطَ الْحَبَا

فكم بين خوف الرياح الهوج وصدودها ، وبين فزع الطير أن تلتقط الحب؟
ولاسيا وأفزعُ الطير بهائمته التي تلتقط الحب لضعفها وعدمها السلاح ، وأقل خيال
أو تمثال يحمى مزروعات جمّة ، وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت على قول
أبي تمام :

فقد بثَّ عبدُ الله خوفَ انتقامِهِ على الليلِ حتى ما تدبُّ عقاربهُ
فاعتبروا يا أولى الأبصار .

ومما يشاكل قول أبي الطيب في ألفاظه قول نصر الخبز أرزى^(١) :

ذبتُ من الشوقِ فلوزجُبي في مقلةِ النَّامِ لم ينتبه
وكان لي فيما مضى خاتم فالآن لو شئتُ تمنطقتُ به

فبين الإغراق والإغراق بونٌ بعيد واختلاف شديد .

وإذا لم يجد الشاعر بدأ من الإغراق - لحبه ذلك ، ونزوع طبعه إليه - فليكن ذلك
منه في الندرة ، وبيتا في القصيدة إن أفرط ، ولا يجعل هجّيراً كما يفعل أبو الطيب .
وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما ساكلها ، نحو
كأنّ ولو ولولا ، وما أشبه ذلك مما لم يناسب أبيات أبي الطيب المتقدم ذكرها
في البشاعة ، ألا ترى ما أعجب قول زهير :

أحسن
الإغراق

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قومٌ بأحسابهم أو مجدِّهم قعدوا
فبلغ ما أراد من الإفراط ، وبنى كلامه على صحة .

ومما استحسنته الرواة ونص عليه العلماء قول امرئ القيس يصف سناناً :

حملت رُدَيْدِيًّا كأنَّ شَبَاتَهُ سَنَالَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ^(٢)

(١) المشهور في هذه النسبة « الخبز رزى » أو « الخبز أرزى » .

(٢) في الديوان « كأن سنانه » وهو المحفوظ ، وهو الموافق لقول المؤلف

« يصف سناناً » .

وإذا نظرت إلى قول أبي صخر:

تَكَادُ يَدِي تَنْدَى إِذَا مَا مَسَّتْهَا وَيَنْدُبْتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ النَّضْرُ

وقول أبي الطيب:

عَجِبْتُ مِنْ أَرْضِ سَحَابٍ أَكْفَهُمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ

لم يخف عنك وجه الحكم فيهما ، على أن في قول أبي الطيب بعض الملاحظة والمخالفة لطبعه في حب الإفراط وقلة المبالاة فيه ؛ إذ كان ممكنا أن يقول: إن الصخور أورقت ، ولغة القرآن أفصح اللغات ، وأنت تسمع قول الله تعالى: (يكاد البرق يخطف أبصارهم) وقوله: (إذا أخرج يده لم يكد يراها) وقوله: (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار)

اشتقاق
الغلو

واشتقاق الغلو [من] المغالاة ، ومن غلوة السهم ، وهي مدى رميته ، يقال : غاليت فلانا مغالاة وغلاء ، إذا اختبرتما أيكما أبعده غلوة سهم ، ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام : « جَرِي الْمُدْكِيَاتِ ^(١) غِلَاءٌ » وقد جاء في حديث داخس « غلاء » و « غلاب » بالباء أيضا ، وإذا قلت : غلأ السهم غلَاءً ، فإنما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان ، وكذلك غلَّتِ القدر غلِيًّا أو غلِيَانًا ، إنما هو أن يجيئ ماؤها ويرتفع ، والإغراق أيضا أصله في الرمي ، وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند التزوع حتى تستغرق جميعه بينك وبين حنية القوس ، وإنما تفعل ذلك لبعده الغرض الذي ترميه ، وهذه التسمية تدل على ما نحوت إليه وأشرت نحوه .

الإغراق

(٢) المشهور في رواية هذا المثل : « جرى المذكيات غلاب » كما أشار المؤلف إليه ، والمذكية من الخيل : التي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب : المغالبة . ومن رواه كالمؤلف أولا « غلاء » بالهمز في آخره فإنما هو جمع غلوة ، يعني أن جريها يكون غلوات ، ويكون شأوها بعيدا ، لا كالجدعان .

(٦٠) - باب التشكك

وهو من مُلَحِّ الشعر وطُرْفِ الكلام ، وله في النفس حلاوة وحُسْنُ موقع ،
بمخلاف ما للخلو والإغراق .

فائدة
التشكك

وفائده الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ، ولا يميز أحدهما من
الآخر ، وذلك نحو قول زهير :

وَمَا أُدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أُدْرِي أَقَوْمُ آلِ حِصْنِ أُمِّ نِسَاءِ
فَإِنْ تَكُنِ النِّسَاءُ مُحِبَّاتٍ فَحَقَّ لِكُلِّ مُحْصَنَةٍ هِدَاةُ

فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء ، وهذا أملح من أن يقول : هم
نساء ، وأقرب إلى التصديق ؛ وهذه العلة اختاروه كما تقدم القول في بيت
ذي الرمة :

أَيَا ظَنِيَّةَ الوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَنْتِ أُمُّ أُمَّ سَالِمٍ^(١)
وبيت جرير

* فَإِنَّكَ لَو رَأَيْتَ عَمِيدَ تَيْمٍ^(١) *

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخيل^(١) .
وقال العرجي^(٢) :

بِاللَّهِ يَا ظَنِيَّاتِ القَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَى مِنْكُنَّ أُمَّ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ^(٢)

(١) انظر (ص ٥٣ و ٥٤) من هذا الجزء .

(٢) اضطرب العلماء في نسبة هذا البيت ؛ فزعم قوم أنه لمجنون ليلى ، وكأنهم
اغتروا بذكر ليلى فيه ، وقد بحثت جميع ديوانه فلم أجده ، وقد نسبه العيني
كلؤلف إلى العرجي ، ونسبه العباسي لأعرابي ولم يسمه ، ونسبه البخارزي لبدوي ،
سأه كاهلا الثقي ، ونسبه قوم للحسين بن عبد الله (وانظر حواشينا الممتعة على شرح
الأشموني ج ١ ص ٢١٣) .

وإنما سلك طريق ذى الرمة .

وقال سلم بن عمرو الخاسر :

تَبَدَّتْ فَقَلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا بَجَلْدِ غَنِيِّ اللَّوْنِ عَنْ أَثَرِ الوَرْسِ
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لِصَاحِبِي عَلَى مَرِيَّةٍ : مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ

فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين ؟ وكيف حلاوته في الصدر وقبوله ؟؟ فإنه لو كان يقيناً ما بلغ هذا المبلغ .

وتناول هذا المعنى أبو زيد الوضاح بن محمد الثقفي فقال يمدح المستعين بالله :

وقائلة والليلُ قد نَشَرَ الدُّجَى فَغَطَّى بِهَا مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَقَرَدٍ
أرى بارِقاً يَبْدُو مِنَ الجَوْسِقِ الذِي بِهِ حَلَّ مِيرَاثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَطَلَّ عَدَارَى الحَى يُنظَّمَنَ تَحْتَهُ ظَفَارِيَةَ الجَزَعِ الذِي لَمْ يُسَرِّدِ
أضَاءتْ بِهِ الآفَاقُ حَتَّى كَأَنَّمَا رَأَيْنَا بِنِصْفِ اللَّيْلِ نَوْرَ ضُحَى العَدِ
فَقُلْتُ : هُوَ البَدْرُ الذِي تَعْرِفِينَهُ وَإِلَّا يَكُنْ فَالنُّورُ مِنْ وَجْهِ أَحْمَدِ

وأما قول أبي تمام حين قصد عبد الله بن طاهر إلى خراسان يذكر شك

رفقائه واستبعادهم الطريق :

يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا الشَّرَى وَحُطَّا لَمَهْرِيَّةِ القُودِ :
أَمَطَّلَعَ الشَّمْسِ تَبْعِي أَنْ تَوَّمَّ بِنَا ؟ فَقُلْتُ : كَلَّا وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الجُودِ

فقد صرف المعنى فيه عن وجهه ، وخالف فيه قصده ، ونسب الشك إلى غيره ، وهو بعيد من قول سلم ، وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس قدوة ، ولا عليه معول . . وقال ابن ميادة :

وَأَشْفَقُ مِنْ وَشَكِّ الفِرَاقِ وَإِنِّي أَضُنُّ - لِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ فَوَارِكِهِ
فوالله ما أدرى : أيغلبني الهوى إِذَا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ ؟ !

فقوله في البيت الأول « أضن » مليح جداً ، وكذلك قوله في البيت الثاني

« ما أدري أيغلبني الهوى أم أنا غالبه » .

وأخذ هذا المعنى ابن أبي مية وزاده ملاحظة فقال :

فديتك لم تشبع ولم ترومن هجرى
أراني سأسلو عنك إن دام ما أرى
وقد أحسن أبو الطيب في قوله :

أريقت أم ماء الغمامة أم حمر ؟
بني برود وهو في كبدي جمر

لولا أنه كدر صفوه ومرر حلوه بما أضاف إليه من قوله :

أذا الغضن أم ذا الدعص أم أنت فتنة
وهذا الذي قبلته البرق أم نغر ؟
ولله در أبي نؤاس إذ يقول :

ألا أرى مثلي أم ترى اليوم في رسم
أنت صور الأشياء بيني وبينه
فطنى كالأظن وعلمي كالأعلم
تفص به عيني ويلفظه ونهي

ويروى « وجهي كالأجهل » .

وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس :

لمن طلل دارس آيه
تفكره العين من جانب
أضربه سالف الأحرس^(١)
ويعرفه شغف الأنافس

أول من
نطق بهذا
المعنى

وقال أعرابي في معنى أبيات الوصاح بن محمد :

أقول والنجم قد مالت مياسره
ألحة من سماء برقي رأى بصرى
بل وجه نعم بدا والليل مُعتكر
فلاح من بين حجاب وأستار
إلى الغروب : تأمل نظرة حار
ووجه نعم بدا لي أم سماء نار

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار ، دارس : عاف ، آيه : جمع آية ،
والهاء ضمير الطلل ، وارتفاعه على أنه فاعل بدارس ، سالف : ماضى ، الأحرس :
جمع حرس وهو الدهر .

٦١ - باب الحشو وفضول الكلام

وسماه قوم الاتكاء ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذلك في القافية فهو استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه : كالذي تقدم من التتميم ، والالتفات ، والاستثناء ، وغير ذلك ، مما ذكرته آنفاً .

أمثلة من
الحشو

من ذلك قول عبد الله بن المعتز^(١) يصف خيلاً :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيِّئَاتِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سَرَّاعٌ وَأَرْجُلٌ^(١)

وقد مرّ ذكره في باب^(١) المبالغة ، فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن ، وبالغ في المعنى أشدّ مبالغة من جهته ، حتى علمنا ضرورة أن إتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتتميم . وقال الفرزدق :

سَتَأْتِيكَ مِنِّي - إِنْ بَقِيَتْ - قِصَائِدٌ يُفَصِّرُ عَنْ تَحْسِيرِهَا كُلُّ قَائِلٍ

فقوله « إن بقيت » حشو في ظاهر لفظه ، وقد أفاد به معنى زائداً ، وهو شبيه بالالتفات من جهة ، وبالاحتراس من جهة أخرى ، فما كان هكذا فهو الجيد ، وليس بحشو إلا على الجواز ، أو بعد أن يُنَعَتَ بالجودة والحسن ، أو يضافا إليه ، وإنما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه .

وقد أتى العتّابي بما فيه كفاية حيث يقول :

إِنَّ حَشْوَ الْكَلَامِ مِنْ لُكْنَةِ الْمُرِّ وَإِيجَازَهُ مِنَ التَّقْوِيمِ

فجعل الحشو لكمة ، وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكمة ،

(١) انظر (ص ٥٤) من هذا الجزء .

وإنما أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة ، كقول أبي صفوان الأسدي
يذكر بازياً :

ترى الطَّيْرَ والوحشَ من خوفه حَوَاجِرَ منه إذا ما أَعْتَدَى

فقوله « منه » بعد قوله « من خوفه » حشواً فائدة فيه ، ولا معنى له ،

وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة :

خذها ابنةَ الفكرِ المَهذبِ في الدجى واللَّيْلُ أسودُ حَالِكُ الجلبابِ

فقوله « الدجى » حشو ؛ لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة

استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسم الأول حشواً كان القسم الثاني بأثره فضلة .

وقال أبو الطيب في نحو من ذلك :

إذا اعتلَّ سيفُ الدَّولةِ أَعْتَلَّتِ الأرضُ

وَمَنْ فَوْقَهَا والبأسُ والكِرْمُ المَحْضُ

فقوله « والبأس » حشو ؛ لأن قوله « ومن فوقها » دال على الإنس والجن

جميعاً ، والبأس والكرم جميعاً ، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى :

(فيهما فاكهة ونخل ورمان) فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى :

(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) فإن هذا سائغ وليس

بحشو حينئذ .

ومن الحشو قول الكَلْبِبةِ اليربوعى :

إذا المرء لم يَغْشَ الكريهةَ أوْشَكَتْ حِبَالُ الهُوَيْنَا بالفتى أن تَقْطَعَا

فقوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد

تقدم ، إلا أن يريد في قوله بالفتى الزراية والأطنوزة^(١) فإنه يحتمل .

وقال زيد الخليل يخاطب كعب بن زهير :

(١) الأطنوزة : من الطنز - بفتح الطاء وسكون النون ، وفي آخره زاي -

وهو السخرية ، وباب فعله نصر ، والرجل طناز - بالفتح وتشديد النون - قال

صاحب المختار : « وأظنه مولداً أو معرباً » اهـ .

يَقُولُ: أرى زيداً وقد كان معدماً أراه لعمرى قد تموّل وأقتنى
 فقوله « أراه لعمرى » حشو واستراحة يُستغنى عنها بقوله « أرى زيداً »
 ومما يكثر به حشو الكلام « أضحى، وبات، وظل، وغدا، وقد، ويوماً »
 وأشباهها، وكان أبو تمام كثيراً ما يأتي بها، ويكره للشاعر استعمال
 « ذا، وذى، والذى، وهو، وهذا، وهذى » وكان أبو الطيب مواعاً بها، مكثرأ
 منها في شعره، حتى حمله حبه فيها على استعمال الشاذ وركوب الضرورة في قوله:
 لَوْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْمِ نَكَهُ هُوَ عَقَمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلَهَا حَوَاهِ
 وكذلك يكره للشاعر قوله في شعره « حقاً » إلا أن تقع له موقعها في
 قول الأخطل:

فَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُخَالِفُهُمْ حَتَّى يُخَالَفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ
 فإن قوله ههنا « حقاً » زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً.

ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في قوله لابن المعتز:
 وَلَوْ قُبِلَتْ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ فِدْيَةٌ لَقَلْنَا عَلَى التَّحْقِيقِ نَحْنُ فِدَاؤُهُ
 فقوله « على التحقيق » حشو مליح فيه زيادة فائدة.

ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتفاداً، وأنشد بعض العلماء
 قول قيس بن الخطيم:

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الْخَالِقُ أَنْ لَا يُكْنِيهَا سَدَفٌ
 والاتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر « صورها الخالق » لأن اسم
 الله تعالى قد تقدم.

ووجدت الحدائق يعيرون قول ابن الحدادية - وهي أمه، واسمها قيس بن منقذ:
 إِنَّ الْفَوْادَ قَدْ أَمْسَى هَائِمًا كِلْفًا قَدْ شَفَّهَ ذِكْرُ سَلْمَى الْيَوْمَ فَانْتَكَسَا
 لحشوه « قد » في موضعين من البيت ثم بـ « أمسى » و « اليوم » على تناقضهما.
 وعاب الحاتمي على الأعشى قوله:

فرميت غفلة قلبه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحها
 لأن تكرير « القلب » عنده حشو لا فائدة فيه ، وهذا تعسف من الخاتمي
 لأن قلبه غير قلبها ؛ وإنما كرر اللفظ دون المعنى ، ورأيت روايته في أكثر النسخ
 « حبة قلبه وطحها » وهو غلط ، ومن ههنا عابه فيما أظن ، ومن الناس من روى
 « فرميت غفلة عينه عن شاته » وهي رواية مشهورة صحيحة .

ونعوا على أبي العيال الهذلي قوله :

ذكرتُ أخى فعاودنى صداعُ الرأسِ والْوَصَبُ

لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس لذكر الرأس معه معنى ،
 وعلى جميل قوله :

وما ذكركَ النَّفْسُ يَا بُنَّ مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَادَتِ النَّفْسُ تَتَلَفُ
 فتكرير « النفس » لبس له وجه ههنا ، وللتكرير موضع يحسن فيه ، وسيرد
 إن شاء الله في بابه .

ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل — بالفاء — وزعم قوم أنه بالعين
 كأنهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم : ناب أعصل ، وجعله آخرون بالعين وضاد
 معجمة ، كأن عندهم من : تعضل الولد ، إذا عسرَ خروجه واعترض في الرحم ،
 وظاهر البيت الذي أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل — بالفاء — وهو قول دريد
 ابن الصمة :

من الحشو
التفصيل

وَبَلَغْ نَمِيْرًا - إِنْ عَرَضَتْ - ابْنَ عَامِرٍ وَأَيُّ أَخٍ فِي النَّائِبَاتِ وَطَالِبِ
 ويجرى هذا المجرى قول أبي الطيب ، بل هو أفصح منه :

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً سَقَاهَا الْحَيَاسِقِيُّ الرِّيَاضَ السَّحَابِ

لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ،
 وهما بمنزلة اسم واحد ، فإذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم « حين صورها الخالق »
 من هذا النوع جاز لك ؛ فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها .

٦٢ — باب الاستدعاء

حد
الاستدعاء

وهو ألا يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط ، فتحلو حينئذ من المعنى
كقول عدى القرشي ، أنشده قدامة :

وَوُقِيتَ الحَتُوفَ مِنْ وَارِثٍ وَا لِي ، وَأَبْقَاكَ صَالِحًا رَبُّ هُودٍ

فإنه لم يأت لهود النبي عليه السلام ههنا معنى إلا كونه قافية .
وما أعجب السيد الحميري في قوله :

أقسم بالفجر وبالعشر والشفع والوتر ورب لقمان

في منزلٍ محكمٍ ناطقٍ بنور آياتٍ وبرهان

فالفجرُ فجرُ الصبح والعشرُ عشرُ النحر والشفعُ نجيان

محمد وابن أبي طالب والوتر رب العزة الباني

بَابِ سَمَوَاتٍ بِنَاهَا بِلَا تَقْدِيرِ إِنْسٍ وَلَا جَانٍ

فانظر إلى قوله « رب لقمان » ما أكثر قلقه وأشد ركا كته !!! وأما قوله

« الباني » فقد خرج فيه من حد اللين والبرد ، وتجاوز فيه الغاية في ثقل الروح ،

والله حسبه .

ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة :

وسابغة الأذبال زَغْفٍ مفاضةٍ تَكَنَّفَهَا مَنِي نِجَادٍ مَخْطَطِ

فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد ، وهذا أقل ما في تكلف القوافي

الشاردة إذا ركبها غير فارسها ، وراضها غير سائسها .

٦٣ — باب التكرار

متى يحسن؟
ومتى يقبح؟

وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار

في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر

اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلانُ بعينه ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق والاستعذاب ، إذا كان في تغزل أو نسيب . . كقول امرئ القيس ، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره ، ولا سلم سلامته في هذا الباب :

ديارُ لسأى عافياتُ بذي الخال ألحَّ عليها كلُّ أسحَمٍ هَطَّالٍ
وتحسبُ سألَى لا تزالُ كههدنا بوادي الخزامى أو على رأسِ أوعالٍ
وتحسبُ سألَى لا تزالُ ترى طلالاً من الوحش أو بيضاً بميثاءٍ محلالٍ
ليالي سألَى إذ تُريك منضداً^(١) وجيداً كجيد الرِّيمِ ليس بمغَطالٍ

وكقول قيس بن ذريح :

ألا ليت لُبني لم تكن لي خلةً ولم تلقني لُبني ولم أذر ما هياً
أوعلى سبيل التنويه به ، والإشارة إليه بذكر ، إن كان في مدح كقول أبي الأسد :

ولأمةٍ لامتك يا فيضُ في الندى فقلت لها : هل يقدحُ اللومُ في البحر؟
أرادت لتثني الفيض عن عادة الندى ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر؟!
كان وفود الفيض يوم تحموا إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر
مواقعُ جود الفيض في كل بلدة مواقعُ ماء المزن في البلد القفر
فتكرير اسم المدوح ههنا تنويه به ، وإشارة بذكره ، وتفعيم له في القلوب والأسماع.
وكذلك قول الخنساء :

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا نشئوا لنحارُ
وإن صخرًا لتاتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

(١) في إحدى روايات الديوان « إذ تريك منصبا » وأراد نغرا متسقاً مستويا

أو على سبيل التقرير والتوبيخ . كقول بعضهم :
إلى كم وكم أشياء منكم تربيتهن أغمض عنها لست عنها بذى عمى
فأما قول محمد بن مناذر الصبيري^(١) في معنى التكرير :
كم وكم كم كم وكم وكم قال لى : أنجز حر ما وعد
فقد زاد على الواجب ، وتجاوز الحد .

ولما أنشدوا للصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد قول أبي الطيب :
عَظُمْتَ فلما لم تُكَلِّمْ مَهَابَةً تواضعت ، وهو العظم عظاما عن العظم
قال : ما أكثر عظام هذا البيت مع أنه من قول الطائي :
تَعَظَّمْتَ عَنْ ذَاكَ التَّعَظُّمُ فِيهِمْ وَأَوْصَاكَ عَظْمُ الْقَدْرِ أَنْ تَتَنَبَّلَا
ومن المعجز في هذا النوع قول الله تعالى في سورة الرحمن : (فبأى آلاء
ربكما تكذبان) كلما عدد منة أو ذكر بنعمة كرر هذا . وقد كرر أبو كبير
الهدلي قوله :

فإذا وذلك ليس إلا ذكره وإذا مضى شيء كأن لم يفعل
على بعض الروايات في سبعة مواضع من قصيدته التي أولها :
أزهر هل عن شيبه من معدل أم لا سبيل إلى الشباب الأول؟؟
كلما وصف فصلا وأمه كرر هذا البيت .

أو على سبيل التعظيم للمحكى عنه ، أنشد سيبويه :
لا أرى الموت يسبق الموت شيء نَفَّصَ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا
أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاب موجه ، كقول الأعشى ليزيد
ابن مسهر الشيباني :

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا أبا ثابت أفصير وعيرضك سالم
وذرنا وقومنا إن هم عمدوا لنا أبا ثابت واقعد فإنك طاعم !!

(١) في عامة أصول هذا الكتاب « البصري » بتقديم الباء ، وإنما هو
« الصبيري » بتقديم الصاد على الباء - نسبة إلى مواليه بنى صبير بن يربوع .

أو على وجه التوجع إن كان رثاء وتأييماً ، نحو قول متمم بن نويرة :
 وقالوا : أتبكي كلَّ قبر رأيتَهُ لقبر نَوَى بين اللوى فالدكادك ؟؟
 فقلت لهم : إن الأسي يبعثُ الأسي دَعُونِي فهذا كله قبرُ مالك
 وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ؛ لمكان الفجعة وشدة القرحة التي
 يجدها المتفجع ، وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد .

أو على سبيل الاستغاثة وهي في باب المديح ، نحو قول العديل بن الفرخ :
 بَنِي مِسْمَعٍ لَوْلَا إِلَاهُهُ وَأَنْتُمْ بَنِي مِسْمَعٍ لَمْ يُنْكَرِ النَّاسُ مِنْكُمْ كَرًا
 ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيع بالمهجو ، كقول
 ذى الرمة يهجو المرثى :

تسمى امرأ القيس بن سعدٍ إذا اعتزت وتأبى السبالُ الصهبُ والأنفُ الحُمُرُ
 ولكنما أصلُ امرئ القيس مَعشَرُ يَحِلُّ لَهُمْ لَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَالْحُمُرُ
 نصاب امرئ القيس العبيد وأرضهم ممر^(١) المساحي لا فلاة ولا مصر
 تَخَطَى^(٢) إِلَى الْفَقْرِ امرؤ القيس ؛ إنه سَوَاءٌ عَلَى الضَّيْفِ امرؤ القيس وَالْفَقْرِ
 تحب امرؤ القيس القري أن تناله وتأبى مقاريها إذا طلع الفجر^(٣)
 هل الناسُ إلا يا امرأ القيس غادرٌ ووافٍ وما فيكم وفاء ولا غدر؟
 وكذلك صنع جرير في قصيدته الدَّمَاعَةُ التي هجا بها راعي الإبل ؛ فإنه كرر
 « بنى غير » في كثير من أبياتها .

ويقع أيضاً على سبيل الأزدراء والتهكم والتنقيص ، كقول حماد بن جرد لابن
 نوح ، وكان يتعرب :

(١) في الديوان « مجر المساحي » .

(٢) في عامة الأصول « تخلى إلى القفر » بتقديم المثناة على الموحدة ، وكذا في
 قافية البيت ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن الديوان .

(٣) في نسخة « إذا طلع النسر » .

يَابْنَ نُوحَ يَا أَخَا أَلِّ—جِلْسِ وَيَا ابْنَ الْقَتَبِ^(١)
 وَمِنْ نَشَأِ—وَالدُّهُ بَيْنَ الرِّبَا وَالْكُتْبِ
 يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي

ومن المعيب في التكرار قول ابن الزيات :

أَتَعْرِفُ أَمْ تَقِيمُ عَلَى التَّصَابِي ؟ فَقَدْ كَثُرَتْ مُنَاقَلَةُ الْعَتَابِ
 إِذَا ذَكَرَ السَّلَوُ عَنْ التَّصَابِي نَفَرْتُ مِنْ اسْمِهِ نَفَرِ الصَّعَابِ
 وَكَيْفَ يُبْلَغُ مِثْلُكَ فِي التَّصَابِي وَأَنْتَ فَتَى الْمَجَانَةِ وَالشَّبَابِ !!
 سَاعِزْفُ إِنْ عَرَفْتَ عَنِ التَّصَابِي إِذَا مَا لَاحَ شَيْبُ بِالْعُرَابِ
 أَلَمْ تَرِنِي عَدَلْتُ عَنِ التَّصَابِي فَأَعْرَتْنِي الْمَلَامَةُ بِالتَّصَابِي !!

فلا الدنيا بالتصابي ، على التصابي لعنة الله من أجله ، فقد برد به الشعر ،
 ولا سيما وقد جاء به كله على معنى واحد من الوزن ، لم يعد به عروض البيت ، وأين
 هذا من تكريره على جهة التفخيم في قوله للحسن بن سهل من قصيدة :

إِلَى الْأَمِيرِ الْحَسَنِ اسْتَجِدُّهَا أَيْ مَزَارَ وَمُنَاخَ وَمَحَلَّ
 أَيْ مَزَارَ وَمُنَاخَ وَمَحَلَّ لِحَائِفِ وَمُسْتَرِيشِ ذِي أَمَلٍ

وهذا كقول امرئ القيس :

تَقَطَّعُ أَسْبَابَ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْرَا
 عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْرَا أَخُو الْجَهْدِ لَا يَلُوبِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا^(٢)

ومن تكرير المعاني قول امرئ القيس ، وما رأيت أحداً نبه عليه :

من تكرير
 المعاني

(١) هذه الأبيات من الرجز المجزؤ ، وقد حذف من صدر أولها سبب خفيف

(٢) يروي هذا البيت هكذا :

بسير يضح العود منه يمنه أخو الجهد لا يلوبى على تعذرا
 وحماة وشيرز : مدينتان من مدن الشام ، والعود : السنن من الإبل ، يمنه : يضعفه
 أخو الجهد : السائق المجدو أو ادبه نفسه ، لا يلوبى : لا يلتفت أولاً يبق ، تعذرا : قدم عذرا .

فَيَلَّكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلَ شَدَّتْ يَبْذُبِلُ
 كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ
 فالبيت الأول يعنى عن الثرى ، والثانى يعنى عن الأول ، ومعناها واحد ؛
 لأن النجوم تشتمل على الثرى ، كما أن يذبل بشتمل على صم الجندل ، وقوله
 « شدت بكل مغار الفتل » مثل قوله « علقت بأمراس كتان »

و يقرب من ذلك وليس به قول كثير:

وَإِنِّي وَتَهَيَّأُ بِعِزَّةٍ بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ
 لِسَاكَلِمْرٍ تَجْبِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كَمَا تَبَوَّأُ مِنْهَا الْعَقِيلُ اِضْمَحَلَّتْ
 كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُمَجَّلِي رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ

إلا أن كثيراً تصرف ، فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقيل تحتها من حرارة
 الشمس فاضمحلَّت وتركته ضاحياً ، وجعل الممحل في البيت الثانى يرجو سحابة
 ذات ماء فأمرت بعد ما جاوزته .

ومن مليح هذا الباب ما أنشدنيه شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن
 المعتز ، وهو قوله :

لِسَانِي لِسِرِّي كَتُومٌ كَتُومٌ وَدَمْعِي بَجْبِي نَمُومٌ نَمُومٌ
 وَلِي مَالِكٌ شَفَنِي حُبُّهُ بَدِيعُ الْجَمَالِ وَسِيمٌ وَسِيمٌ
 لَهُ مُقَلَّتَا شَادِنِ أَحْوَرٍ وَلَفْظُ سَحُورِ رَخِيمٍ رَخِيمٍ
 فَدَمْعِي عَلَيْهِ سَجُومٌ سَجُومٌ وَجِسْمِي عَلَيْهِ سَقِيمٌ سَقِيمٌ

باب منه

ذكر ابن المعتز أن الجاحظ سمي هذا النوع المذهب الكلامي .
 قال ابن المعتز : وهذا باب ما علمت أنى وجدت منه في القرآن شيئاً ، وهو
 ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال صاحب الكتاب : غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية ، وقدمها على غيرها ، وأنشد للفرزدق :

لكل امرئ نفسان : نفسٌ كريمةٌ وأخرى بُعاصيها الفتى ويُطيعها
ونفسك من نفسك تشفع للندى إذا قلَّ من أحرارهن شفيعها
وأنشد لآخر ، ولا أظنه إلا إبراهيم بن العباس :

وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهُوَى وَجَهْلَتَهُ وَعَلَّمَكُمُ صَبْرِي عَلَى ظَلَمِكُمْ ظَلَمِي
فَاعْلَمْ مَالِي عِنْدَكُمْ فِيمِيلُ بِي هَوَايَ إِلَى جَهْلِي وَأَعْرِضْ عَنِّي عَمِي

وعاب على أبي تمام قوله :

فَأَلَمْ جَدُّ لَا يَرْضَى بَأَن تَرْضَى بَأَن يَرْضَى الْمُؤَمَّلُ مِنْكَ إِلَّا بِالرِّضَا
وحكى أن إسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب ، فقال : يا هذا ، لقد شددت على نفسك .
وأنشد ابن المعتز لنفسه :

أسرفت في السكمان وذاك مني دهاني
كتمت حبيك حتى كتمته كتمانِي
فلم يكن لي بُدٌّ من ذكره بلساني

وهذه الملاحظة نفسها ، والظرفُ بعينه .

ومن هذا الباب نوع آخر هو أولى بهذه التسمية من كثير مما ذكره المؤلفون ، نحو قول إبراهيم بن المهدي يعتذر إلى المأمون من وثوبه على الخلافة :

البرمك وطأه العذر عندك لي فيما فعلتُ ، فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتجَّ عندك لي مقامَ شاهدٍ عدلٍ غيرِ مُتَّهِمٍ
وكذلك قول أبي عبد الرحمن العطوي :

فَوَحَّقَ الْبَيَانَ يَعْضُدُهُ الْبُرْ هَانُ فِي مَأْقَطِ أَلَدِّ الْخِصَامِ
 مَا رَأَيْنا سَوَى الْحَبِيْبَةِ شَيْئاً جَمَعَ الْحَسْنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ
 هِيَ تَجْرِي بِجَرَى الْإِصَابَةِ فِي الرَّأْيِ وَتَجْرِي الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَامِ

وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبد الله بن المعتز، إلا ما لا يخفاء به
 عن أحد من أهل التمييز، واضطرنى إلى ذلك قلة الشواهد فيه، إلا ما مناسب قول
 أبي نُوَاس :

سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودِ حَتَّى صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
 لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ التَّلْجُ بَارِدٌ حَارٌ
 فَهَذَا مَذْهَبُ كَلَامِي فَلَسْفِي . . وَقَوْلُهُ أَيْضاً :
 فِيكَ خِلَافٌ خِلَافَ الَّذِي فِيهِ خِلَافٌ خِلَافَ الْجَمِيلِ
 وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِمَّا فِي هَذَا غَنَى عَنْهُ وَدَلَالَةٌ عَلَيْهِ .

(٦٤) — باب نفى الشيء بإيجابه

وهذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام،
 فإذا تأملته وجدت باطنه نفيًا، وظاهره إيجاباً. قال امرؤ القيس :

عَلَى لَا حَبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَأَفَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرَّ جَرًّا^(١)
 فقوله « لا يهتدى بمناره » لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به، ولكن أراد
 أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار.
 وكذلك قول زهير :

(١) لاحب : هو الطريق الواضح . مناره : هو العلامة توضع على الطريق للهداية،
 وفي الحديث : « إن هدين صوى ومنارا كمنار الطريق » سافه : شمه، والسوف الشم،
 والعود : المسن من الإبل . النباطى : الضخم، جر جر : رغا وضح، وأخرج جرته .

بأرض خلَاءَ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَى ، وَمَعْرُوفِيهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ (١)
فأثبت لها في اللفظ وصيداً ، وإنما أراد ليس لها وصيد فيسد على .
ويتصل بهذا قول الزبير بن عبدالمطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبدالدار ،
وكان نديماً له وصاحباً :

صَبَحْتُ بِهِمْ طَلْقَائِرَ أَحْ إِلَى الندى إذا ما انقشى لم تحتضره مفقره
صَعِيفًا بَحَثَ الكَأْسُ قَبْضُ بِنَانِهِ كليلاً على وجه النديم أظفوره
فظاهر كلامه أنه يَحْمَسُ وجه النديم ، إلا أن أظفاره كليلة ، وإنما أراد في
الحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك ، وكذلك قوله « لم تحتضره
مفقره » أى : ليس له مفقر فتحضره .

وقال أبو كبير الهذلي يصف هضبة :

وَعَلَوْتُ مُرْتَقِباً (٢) عَلَى مَرْهُوبَةٍ حَصَاءَ لَيْسَ رَقِيبَهَا فِي مِثْلِ
عِطَاءٍ مُعْنِقَةٍ يَكُونُ أَنْيْسَهَا وَرُزْقَ الْحَمَامِ جَمِيمُهَا لَمْ يُوَكَّلْ
يريد أنه ليس بها جيم فيؤكل ، يدل على ذلك قوله في البيت الأول « حَصَاءَ »
وهى التى لا نبت فيها .

وقال أبو ذؤيب يصف فرساً :

مَتَفَلَقَ أَنْسَاؤُهَا عَنِ قَانِيءٍ كَالْقَرِطِ صَاٍ وَغُبْرُهُ لَا يَرْضَعُ
فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع ، لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع .
والشاهد على جميع ماقلته في شرح هذه الأشياء ما جاء في تفسير قول الله عز وجل :

(١) الوصيد في الأصل : فناء الدار والبيت ، ومنه قوله تعالى : (وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد) والأصيد لغة فيه حكاها الفراء .

(٢) المرتقب : اسم المكان من الارتقاب ، وهو الصعود في رأس جبل أو
حصن ، وضبطه في اللسان على أنه اسم فاعل بكسر القاف ، وهو وجه ، والمثل :
الملجأ . والجيم : النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم .

(لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفَاءً) قالوا : ليس يقع منهم سؤال فيقع إخفافاً : أى هم لا يسألون البتة .

المعيب من
هذا الباب

والمعيب من هذا الباب قول كثير يرثى عزة صاحبه :
فَهَلَّا وَقَاكَ الْمَوْتَ مَنْ أَنْتَ زَيْنُهُ وَمَنْ هُوَ أَسْوَأُ مِنْكَ دَلًّا وَأَقْبَحُ ؟
لأنه قد أوهم السامع أن لها دلاً سيئاً ، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح ، فكيف إن كان القبح راجعاً عليها لا على دلهما ، وليس هذا في شيء من قوله تعالى : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) لأن هذا لا إشكال فيه .

(٦٥) — باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الأسماء من غير كلفة ، ولا حشو فارغ ؛ فإنها إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر ، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر .
وذلك نحو قول الأعشى :

حده ومنزلته

أمثلته

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شِبَابَكَ وَائِلٌ
فَأَتَى كَلِمَاءَ الْجَارِيِ اطْرَاداً وَقَلَّةَ كَلْفَةٍ ، وَبَيْنَ النَّسَبِ حَتَّى أَخْرَجَهُ عَنِ مَوَاضِعِ
اللبس والشبهة ..

ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة :
قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَائِهِ ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ
قال كالمتعجب : لولا القافية لبلغ به آدم ، ورواه قوم « أبأت بعبد الله » .
وقال أبو تمام :

عبد المليك بن صالح بن عيسى بن قسيم النبي في نَسَبِهِ
فهذا سهل العنان ، خفيف على اللسان ، وإن كانت الياء في «المليك» ضرورة
وتكلفاً .

وقال الحارث بن دوس الإيادي :

وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدٍ
فاطردت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .

وقال أبو تمام في قالب بيت الأعشى ، وإن نقص عنه اسما واحداً :

بنصر بن منصور بن بسام انفرى لنا شَظْفُ الأيَامِ عن عيشة رغد
فأما من أنى بأكثر من هذا ومن الأول فقد قال بعضهم :

من يكن رَامَ حَاجَةً بَعُدَتْ عَنْهُ وَأَعِيَتْ عَلَيْهِ كُلَّ الْقِيَاءِ

فلها أحمدُ المرَجِي بنُ يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

فجاء كلامه نسقاً واحداً ، إلا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله
« المرَجِي » غير أن مجانسة رجاء هَوَّنتُ خطيئته وغفرت ذنبه .

وقال الطائي :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتَّاب بن سهم سهمكم لا يسهم

فخاطب بذلك بنى عمرو بن غنم التغلبيين ، وهم بنو عم مالك بن طوق ،

فانتظم له ما أراد من الأسماء ، إلا أنه ظاهر التكلف ، وقال فأتى بستة :

مناسبٌ تحسب من ضوءها منازلًا للقمر الطالع

كالدلو والحوتِ وأشرطه والبطن والنجم إلى البالع

نوح بن عمرو بن حوَّي بن عمرو بن حوَّي بن الفتى مانع

فأحكم التصنيع وقابل ستة بستة ؛ لان الأشرط منزلة ، وإن جمعها ، إلا أن

« الفتى » ههنا غصة مع برّ دلفظ وركاكة ، ما أحسن أبا هؤلاء كلهم يقال له الفتى

وإن كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن ، ولكن الفتوة .

وجاء أبو الطيب فجاءك بالتعسف في قوله لسيف الدولة :

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه تشابه مولودُ كريم ووالدُ

وحمدان حمدونٌ وحمدون حارثٌ وحاتر حارثٌ وحاتر حارثٌ وحاتر حارثٌ وحاتر حارثٌ

ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به في بيتين وأنه جعلهم أنياب الخلافة بقوله :

أولئك أنياب الخلافة كلها وسائر أملاك البلاد الزوائد
 وهم سبعة بالممدوح ، والأنياب في المتعارف أربعة ، إلا أن تسكون الخلافة
 تمساح نيل أو كلب بحر ؛ فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية ، اللهم إلا أن يريد
 أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة ؛ فإنه يصح ، وفيه من الزيادة
 على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد ، فإنه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة إلى
 أن بلغ راشداً ، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه ، وإنما مقت شعره هذا
 تذكيره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهي أربعة أسماء .

٦٦ — باب التضمين والإجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقب في العلم ولا حذق
 بالصناعة ، كجاعة ممن وسم في بلدنا بالمعرفة ، وينسب إليها مكذوباً عليه فيها ،
 كاذباً فيما ادعاه منها ، ولتعرفهم في لحن القول .

فأما التضمين فهو قصْدُك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر
 شعرك أو في وسطه كالتمثل ، نحو قول محمود بن الحسين كشاحم الكاتب :
 يا خاضبَ الشيبِ والأيامِ تظهره هذا شبابٌ لعمرُ الله مصنوع
 إذ كرتني قول ذى لُبِّ وتجربةٍ في مثله لك تأديبٌ وتقرير
 إن الجديدَ إذا ما زيد في خلق تبين الناسُ أن الثوبَ مرقوع

فهذا جيد في بابه ، وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة ؛
 لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرقة ، أو على أن هذا البيت غير
 مشهور ، وليس كذلك ، بل هو كالشمس اشتهاراً ، ولو أسقط البيت الأوسط

لكان تضميناً عجيماً؛ لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في المعنى، وهذا عند الحذاق أفضل التضمن، فإنما احتذى كشاحم قول ابن المعتز في أبيات له :

ولا ذنبَ لى إن ساء ظنك بعدما وفيتُ لكم ، ربّي بذلك عالم
وها أنا ذا مُستَعْتَبٌ متنصلٌ كما قال عباسٌ وأنقى راغم:
تحمّلُ عظيمَ الذنبِ ممن تجبه وإن كنتَ مظلوماً فقل: أنا ظالم
وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله :

وصبَّ أصابُ الحُبِّ سوْدَاءَ قلبه فأحمله ، والحبُّ داءٌ ملازم
فقلتُ له إذ مات وجداً مجبه مَقَالَةٌ نُصَحِّحُ جانبها المآثم:
تحمّل عظيمَ الذنبِ ممن تجبه وإن كنتَ مظلوماً فقل: أنا ظالم
فإنك إن لم تحمّل الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

غير أن شيخنا أبا عبد الله روى هذه الأبيات أيضاً لابن المعتز .

فهذا النوع من التضمن جيد ، وهو الذي أردنا من قبل ؛ وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه ، نحو قول بعض المحدثين ، ونسبه قوم إلى ابن الرومي :

يا سائلي عن خالد ، عَهْدِي بِهِ رَطْبُ الْعِجَانِ وكفه كالجلهد
كالأقحوانِ غداةً غبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

هكذا أعرفه ، وروى « عن جعفر » فصرف الشاعر قول النابغة في صفة

الثغر (١) :

(١) القادمة : ريشة في مقدم الجناح ، وهي أربع قوادم ، أسف لثاته بالإئتمد : أي : ذرت بالإئتمد ، وكانوا يغرزون اللثة بالإبرة ثم يذرون عليها الإئتمد ، والأقحوان : نبت له نوار أصفر وحواليه ورق أبيض ، شبه الأسنان ببياض ورقه .

تجلو بقادمتي حمامة أيككة برداً أسف لثاته بالإميد
كالأقحوان غداة غب سمانه جفت أعاليه وأسفله ندي

إلى معناه الذي أراد .

ومن هذا المعنى أيضاً قول ابن الرومي بلا محالة :

وسائلة عن الحسن بن وهب وعما فيه من كرم وخير
فقلت : هو المهذب غير أني أراه كثير إرخاء الستور
وأكثر ما يُقنّيه فتاه حُسَيْنٌ حين يخلو بالسريـر
فلولا الريح أسمع من بحجرٍ صليل البيض تفرع بالذكور

فالبيت الأخير لمهلل ، فجاء قرع البيض بالذكور ههنا عجبياً ، وإن كانت

اللفظتان في المعنى غير اللفظتين .

ومن الشعراء من يضمن قسماً نحو قول بعضهم ، أظنه الصولي :

خُلقتُ على باب الأمير كأنتي قفانبك من ذكري حبيبٍ ومنزلٍ
إذا جئتُ أشكو طول ضيقٍ وفاقة يقولون : لا تهلك أسي وتحمل
ففاضت دموع العين من سوء ردهم على النحر حتى بلّ دمعى محملي
لقد طال تردادي وقصدي إليكم فهل عند رسمٍ دارسٍ من معولٍ

ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوساً ، نحو قول العباس بن الوليد بن

عبد الملك بن مروان لمسامة بن عبد الملك :

لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ يضم حشاك عن شتمى وذحلي
كقول المرء عمرو في القوافي لقيسٍ حين خالف كل عدل
عذيرك من خليلك من مرآد أريد حياته ويريد قتلي

والبيت المضمن لعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، يقوله لابن أخته قيس

ابن زهير بن هبيرة بن مكشوح المرادي ، وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة ،

وحقيقته في شعر عمرو :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد
 وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه إذا رأى ابن مُلجَمَ تمثل بهذا البيت.
 ومن التضمن ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول علي بن الجهم
 يُعَرِّضُ بِفَضْلِ الشَّاعِرَةِ جَارِيَةَ الْمُتَوَكِّلِ وَبَنَانَ الْمَغْنَى وَكَأَنَّا يَتَعَاشِقَانِ فَإِذَا
 غَنَّى بَنَانَ :

اسمى أو خبرينا يا ديار الظاعنينا
 غنت هي كالجأوبة له عما يقول :
 أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا وَهَلْ بَأْسٌ بِقَوْلِ مَسْلَمِينَا
 فقال على منها عليهما في ذلك :

كلما غنّى بنانٌ اسمى أو خبرينا
 أنشدتُ فضلَ أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا مَدِينَا
 عارضتُ مَعْنَى بِمَعْنَى وَالنَّدَامَى غَافِلُونَا
 أَحْسَنْتُ إِذْ لَمْ تَجَاوِزِ بَهْمُ دِيَارُ الظَّاعِنِينَا
 لَوْ أَجَابْتَهُمْ لَصِرْنَا آيَةً لِّلسَّائِلِينَا
 وَاسْتَعَادَ الصَّوْتُ مَوْلَا هَا وَحِثَّ الشَّارِبِينَا
 قَلْتُ لِمَوْلَى وَقَدْ دَا رَتْ حُمَيَّا الكَاسِ فِينَا:
 رَبِّ صَوْتِ حَسَنِ يُنْزِلُ فِي الرَّأْسِ قُرُونَا

وأنشد ابن المعتز في باب التضمن للأخطل :

وَلَقَدْ سَمَا لِلْحُرْمِيِّ فَلَمْ يَقُلْ يَوْمَ الْوَعَى لَكِنْ تَضَائِقُ مُقَدِّمِي

إشارة إلى قول عنتره العبسى :

إِذَا يَتَّقُونَ بِي الْأَسِنَّةَ لَمْ أَحِمُّ عَنْهَا لَكِنِّي تَضَائِقُ مُقَدِّمِي

وهذا تضمين أنت ترى كيف هو ، وأنشد لآخر :

عَوَّدَ لَمَّا بَتُّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصَهُ مِنِّي بِيَاسِينَ
فَبِتُّ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وَقَدْ غَنَّتْ «قَفَانِيكَ» مَصَارِيئِي

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة ، ويشير به إشارة ، فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو شبيهه به ، وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز * كما قال عباس وأنفي راغم * إنه لم يرد الأبيات المقدم ذكرها ، وإنما أراد قوله للرشيد حين هجرته ماردة :

لا بد للعاشق من وَفَقَةٍ تكونُ بين الوصلِ والصرمِ

حتى إذا الهجرُ تمادى به راجعٌ من يهوى على رغمِ

فهذا النوع أبعد التضمينات كلها ، وأقلها وجوداً ، وذلك نحو قول أبي تمام :

لعمرو مع الرمضاء والنارُ تلتظي أرقٌ وأحى منك في ساعة الكربِ

أراد البيت المضروب به المثل :

المستجيرُ بعمرو عند كُرْبَتِهِ كالمستجيرِ من الرمضاء بالنارِ

وقد صنعتُ أنا في معنى الهجاء :

عِرْسُهُ من غير ضيرٍ عرسُ زيد بن عمير

أبدأً تَرْنِي فَإِنْ حَاضَتْ تَقْدُ حَبًّا لِأَيْرِ

ولها رجلان من نا قة كعب بن زهير

هكذا تبني المعالي ليس إلا كل خير

« زيد بن عمير » هو الذي يقول في زوجته :

تَقُودُ إِذَا حَاضَتْ ، وَإِنْ طَهَّرْتَ زَنْتَ فَهِيَ أبدأً يُرْنِي بِهَا وَتَقُودُ

و « كعب بن زهير » يقول في وصف ناقته :

تهوى على يسرات وهي لاهية ذوابل وقمهن الأرض تحلِيلِ

فكانت هذه المرأة في حالها لاتقع رجلاها بالأرض : إما لكثرة مباضعة

أوشدة مشى في فساد .

ومن أنواع التضمن تعليق القافية بأول البيت الذي بعدها ، وقد تقدم ذكره .

وأما الإجازة فإنها بناء الشاعر بيتاً أو قسماً يزيد على ما قبله ، وربما أجاز بيتاً أو قسماً بأبيات كثيرة ، فأما ما أجز فيه قسم بقسم فقول بعضهم لأبي العتاهية : أجز :

* بَرَدَ لِلْمَاءِ وَطَابَا *

فقال :

* حَبَّذَا الْمَاءُ شَرَابَا *

وأما ما أجز فيه بيت بيت فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليلته فقال :

مَتَارِيكَ أَذْنَابِ الْأُمُورِ إِذَا اعْتَرَتْ أَخَذْنَا الْفُرُوعَ وَاجْتَنَبْنَا أُصُولَهَا
وَأَجْبَلْ ، فقالت ابنته : يَا أَبْتِ ، أَلَا أَجِيزُ عِنْدَكَ ، فقال : أَوْ عِنْدَكَ ذَلِكَ ؟
قالت : بَلَى ، قَالَ : فَافْعَلِي ، فقالت :

مَقَاوِيلَ لِلْمَعْرُوفِ خُرْسُ عَنْ الْخُنَا كِرَامٌ يَعَاطُونَ الْعَشِيرَةَ سُؤْلَهَا
قال : فحَمَى الشَّيْخُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فقال :

وَقَافِيَةٌ مِثْلَ السَّنَانِ رَدَقَتَهَا تَنَاوَلْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نَزُوءَهَا
فقالت ابنته :

بَرَاهَا الَّذِي لَا يَنْطِقُ الشَّعْرُ عِنْدَهُ وَيَعْجِزُ عَنْ أَمْثَالِهَا أَنْ يَقُولَهَا
وَذَكَرَ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ دَخَلَ عَلَى الذُّلْفَاءِ فَقَالَ : أَجِيزِي عَنِّي
هَذَا الْبَيْتَ :

أَهْدِي لَهُ أَحْبَابَهُ أُرْجَةَ فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَاةِ زَاجِرٍ
فقالت غير مفكرة :

خافَ التلونَ إذ أتته لأنها لوانان باطنها أخلافُ الظاهرِ

خلف لها بكل الأيمان ، وكانت تعزه ، لئن ظهر البيت إن دخلت منزلكم
أبدًا ، وأضافه إلى بيته .

وأما ما أجزى فيه قسيم بيت بيت ونصف فقول الرشيد للشعراء : أجزوا :

* الملكُ لله وَحْدَهُ *

[ف] مقال الجمار :

* وللخليفة بعده *

وللهُ حُبٌّ إذا ما حبيبه بات عنده

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول عباس بن الأحنف :

أُمِّي تخافُ انتشارَ الحديدِ وَحَظِّي في سَنتِهِ أَوْفَرُ؟

فصنع القصيدة المشهورة :

هواك هوأي الذي أضمرُ وسِرُّكَ سِرِّي فما أظهر

إلا أنه خرج فيها عن المقصد .

والإجازة في هذا الموضوع مشتقة المعنى من الإجازة في السقي ، يقال : أجاز

فلان فلانًا ، إذا سقى له أو سقاه ، الشك مني ، وأما اللفظة فصحيحة فصيحة .

اشتقاق
الإجازة

وقال ابن السكيت : يقال للذي يَرِدُ على أهل الماء فيستقي : مُسْتَجِيزٌ ،

قال القطامي :

وقالوا فُقيمُ قِيمِ الماءِ فاستجز عبادَةٌ ؛ إن المستجيزَ على قُترٍ (١)

(١) قال شارح ديوانه : استجز : اطلب أن تسقى إبلك ، يقال : أجزنا ، أي

اسقنا ، ونجزك : نسقيك . والجواز : الذي تشر به من ماء قوم ثم تمر . وعلى قتر :

أي على خوف ، ويقال : على خطر وحذر من الأيسقى .

ويجوز أن يكون من « أجزت عن فلان الكأس » إذا تركته وسقيمت غيره ، فجازت عنه دون أن يشربها ، قال أبو نؤيس :

وقلتُ لساقينا أجزنا فلم أكن ليأبى أمير المؤمنين وأشربا
فجوزها عنى عقاراً ترى لها إلى الشرف الأعلى شعاعاً مطنبا
وقد تقدم ذكر الإجازة التي فيها عيوب القوافي ، وذكرت اشتقاقها .

التلميط

ومن هذا الباب نوع يسمى التلميط ، وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيماً وهذا قسيماً لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه ، وفي الحكاية أن امرأ القيس^(١) قال للتوأم اليشكري : إن كنت شاعراً كما تقول فملط أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، قال امرؤ القيس :

* أَحَارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهِنًا *

فقال التوأم : * كِنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعْرِ اسْتَعَارَا *

فقال امرؤ القيس : * أَرَقْتَ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحَ *

فقال التوأم : * إِذَا مَا قَلْتَ قَدْ هَدَأَ اسْتَطَارَا *

ولا يزالان هكذا ، يصنع هذا قسيماً وهذا قسيماً إلى آخر الأبيات .

وقد تقدم^(١) إنشادها في باب أدب الشاعر من هذا الكتاب .

وربما ملط الأبيات شعراء جماعة ، كما يحكى أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك الخليلع ومسلم بن الوليد الصريع خرجوا في منزله لهم ومعهم يحيى بن المعلی ، فقام يصلى بهم ، فنسى الحمد وقرأ (قل هو الله أحد) فأرتج عليه في نصفها ، فقال أبو نواس : أجزوا :

أكثر يحيى غلطاً في قل هو الله أحد

(١) انظر الجزء الأول (ص ٢٠٢) .

فقال عباس :

قام طويلا ساهيا حتى إذا أعيا سجد

فقال مسلم بن الوليد :

يَزْحَرُ في محرابه زَحِيرَ حُبْلَى بَوْلَدٍ

فقال الخليلع :

كَأَنَّما لسانُهُ شَدَّ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ

وأشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات على طريق الاستملاح لها والاستظراف بها ، وقال : هذا الذي يعجز الناس عنه ، فقلت : فما بال عباس وأبي نواس لم يقولوا بعد البيت الأول :

وَنَسِيَ الحَمْدَ فَمَا مَرَّتْ لَهُ عَلَى خَلَدٍ

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة ، وكذلك جَرَّتِ الحِكاية ، فقال : ولمن البيت ؟ فقلت : لابن وقته .

واشتقاق التمليط من أحد شيئين : أولها أن يكون من المِلاطَيْنِ ، وهما جانبا

اشتقاق
التمليط

السنام في مرد الـكتفين ، قال جرير :

ظَلَنَ حَوَالِي خِدْرِ أسماء ، وانتحى بأسماء مَوَارِ المِلاطَيْنِ أروحُ

فكان كل قسيم مِلاطٍ ، أي : جانب من البيت ، وهما عند ابن السكيت العضدان . والآخر - وهو الأجود - أن يكون اشتقاقه من المِلاط وهو الطين يدخل في البناء يملط به الحائط مِلاطاً ، أي : يدخل بين اللبْنِ حتى يصير شيئاً واحداً . وأما المِلاطُ - وهو الذي لا يبالي ما صنع - والأملط الذي لا شعْرَ عليه في جسده ؛ فليس لاشتقاقه منهما وجه .

(٦٧) - باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل ؛ فيأتي كل واحد بمعنى ، حد الاتساع
 وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ ، وقوته ، واتساع المعنى .
 من ذلك قول امرئ القيس :
 وسببه
 أمثلته

مِكرٌ مِقرٌ مُقبِلٌ مُدبرٌ معاً كجُهودِ صخرِ حطه السَّيلِ من عِلِّ
 وإنما أراد أنه يصلح للسكر والفر ، ويحسن مقبلاً مدبراً ، ثم قال « معاً »
 أى : جميع ذلك فيه ، وشبهه في سرعته وشدة جريه بجُهودِ صخرِ حطه السَّيلِ
 من أعلى الجبل ؛ فإذا انحط من عال كان شديد السرعة ، فكيف إذا أعانته
 قوة السيل من ورائه ؟ ؟

وذهب قوم - منهم عبد الكريم - إلى أن معنى قوله * كجُهودِ صخرِ
 حطه السَّيلِ من عِلِّ * إنما هو الصلابة ؛ لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر
 للشمس والريح كان أصلب .

وقال بعض من فسره من المحدثين : إنما أراد الإفراط ، فزعم أنه يرى مقبلاً
 ومدبراً في حال واحدة عند السكر والفر لشدة سرعته ، واعترض على نفسه ، واحتج
 بما يوجد عياناً ؛ فمثله بالجُهود المنحدر من قنَّةِ الجبل ، فإنك ترى ظهره في النصبه
 على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك ، ولعل هذا ما مر قط ببال
 امرئ القيس ، ولا خطر في وهمه ، ولا وقع في خَلده ، ولا رُوعه .
 ومثله قول أبي نواس :

* ألا فأسقني خمرًا وقل لي هي الخمر *

فزعم من فسره أنه إنما قال « وقل لي هي الخمر » ليلتذ السمعُ بذكرها كما
 التذت العينُ برويتها ، والأنفُ بشمها ، واليدُ بلمسها ، والقمُ بذوقها ،
 وأبو نواس ما أظنه ذهب هذا المذهب ، ولا سلك هذا الشعب ، ولا أراه

أراد إلا الخلالة والعَبَثَ الذى بنى عليه القصيدة ، ودليل ذلك أنه قال فى تمام البيت :

* وَلَا تَسْفِي سِرًّا إِذَا امْكَنَ الْجَهْرُ *

ويروى « فقد أمكن الجهر » فذهب إلى المجاهرة ، وقلة المبالاة بالناس ، والمداراة لهم فى شرب الخمر بعينها التى لا اختلاف بين المسلمين فيها .

وقد ثبت أن المأمون ذم أخاه الأمين على المنابر ، وذكر فى مذامه أنه صحب شاعراً من أمره ومن قصته أنه يجاهر بالمعاصى ، ويقول فى قصيدة أولها كذا وأنشد البيت :

فَمِئْتَنَا يَرَانَا اللَّهُ شَرًّا عَصَابِيَةِ نَجْرٍ ^(١) بِأَذْيَالِ الْفَسُوقِ وَلَا فَخْرُ

ومثل ذلك قول المفضل الضبي بن يدى الرشيد والكسائى حاضر فى معنى قول الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالتَّجُومُ الطَّوَالِعُ

وقد سأل الأمين والمأمون : ما معناه ؟ فقالا : معناه فى قوله « قمرها » تغليب المستعمل عندهم ؛ لأن القمر أكثر استعمالاً عند العرب من الشمس ، وكذلك قولهم « العمران » لما كان عمر أطول أياماً وأكثر تأثيراً ، فقال الرشيد : هكذا أخبرنا هذا الشيخ ، وأشار إلى الكسائى ، فقال المفضل : بل مراده بالقمرين جدّك إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما ، وبالتجوم الطوالع أنت وآبؤك الطيبون ، فأعجب الرشيد بذلك ووصّله ، والفرزدق ما قصد إلى شيء من ذلك [و] لا أراد ، ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين ، وإنما أراد أن كل مشهورٍ فاضلٍ فهو لنا عليكم ، ومنا لا منكم ، فنحن أشرف

(١) يروى * نجر أذيال

بيتنا ، وأظهر فضلا ، وأبعد صوتاً ، إلا أن التي جاء بها المفضل مُلححة أفادت مالا .

ويتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم :

وَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ ونحن أناسٌ نَتَّبِعُ البَارِدَ السَّخْنَا^(١)

أراد أنا نَتَّبِعُ البَارِدَ من الدماء سخنا ، كأنه يتوعدهم بقتل آخر ، فيكون قد أخذ من قول سُويْدِ بْنِ كِرَاعٍ - وهي أمه - يصف كلاباً وثوراً :

فَهَزَّ عَلَيْهِ المَوْتُ وَالمَوْتُ دُونَهُ عَلَى رَوْقِهِ مِنْهُ مُذَابٌ وَجَامِدٌ^(٢)

وقال الأصمعي : يعني بالمذاب الحار ، وبالجامد البارد ، ويجوز أن يكون أبو الطيب أراد: ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا ، وكذلك أيضاً عادت نافي الدماء ؛ فيكون قد فرع .

وزعم قوم في قوله يشفع ليني كلاب إلى سيف الدولة :

وَتَمَلَّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طَرَأُ فَسَكِيفٌ تَحْوِزُ أَنْفُسَهَا كِلَابٌ

أنه لم يرد القبيلة ، وإنما أراد أن يجعلهم كلاباً على باب التحقير لقدرهم ، والتلطف لهم ، كما جعلهم في البيت الأول ذئاباً سُرَّاقاً ، ولا أظن ذلك ، بل لا أحققه ؛ لأن في القصيدة :

وَلَوْ غَيَّرُ الأَمِيرُ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شَمُوسِهِمْ ضَبَابُ

(١) اللقان : موضع ببلاد الروم . يريد أن دماء الروم التي أسالها سيف الدولة باللقان قد بردت ، وأراد بهذا السكناية عن تقادم عهده بغزوهم ، ثم ذكر أن عادته إتباع البارد من الدماء بالساخن .

(٢) روقه : قرنه .

ولاقى دونَ نأيهم طعانا يُبلاقِ عِنْدَهَا الذُّئْبَ الغُرَابُ^(١)

إلا أن يحملوا على الشاعر التناقض ، وينسبوه إلى قلة التحصيل ؛ فذلك إليهم ، على أن هذه القصيدة قليلة النظير في شعره : تناسبا ، وطبعاً ، وصنعة ، ومثلها الرائية في وزنها وذكر القصة بعينها .

(٦٨) — باب الاشتراك

أنواع الاشتراك وهو أنواع : منها ما يكون في اللفظ ، ومنها ما يكون في المعنى ؛ فالذي يكون

في اللفظ ثلاثة أشياء : فأحدها : أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد أو مأخوذين من حد واحد ، فذلك اشتراك محمود ، وهو التجنيس ، وقد تقدم القول فيه ، والنوع الثاني : أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذي أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد ، كقول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ حَىٰ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فقوله « حى » يحتمل القبيلة ، ويحتمل الواحد الحى ، وهذا الاشتراك مذموم قبيح ، والمليح [الذى] يحفظ لكثير في قوله يشبب :

لعمري لقد حَبَّبَتْ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَىَّ ، وَمَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ

(١) الثأى : جمع ثأية ، كراى وراية ، وهى حجارة تجعل حول البيوت يأوى إليها الراعى ليلا وفيها مبارك الإبل ومرابض الغنم . يقول : لو غزا كلابا غير الأمير لثناه ضباب عن شمسهم ، وكأنه يريد وصفهم بالقوة وشدة الدود عن حياضهم ، ولوجد دون وصوله إلى بيوتهم حربا عوانا يتفانى فيها جيشه حتى يجتمع على جث صرعا الوحوش وهى المراد بالذئب والطيور وهى المعبر عنها بالغراب ؛ فأما الوحوش فتأكل عظامهم وأما الطيور فتأكل لحومهم كما قال عنتره :

لى النفوس ، وللظير اللحوم ، وللوحش العظام ، وللخيلة السلب

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَا؛ شَرُّ النَّسَاءِ الْبَحَاتِرُ
فَأَنْتِ تَرَى فُطْنَتَهُ لَمَّا أَحْسَسَ بِاشْتِرَاكِ كَيْفَ نَفَاهُ ، وَأَعْرَبَ عَنْ مَعْنَاهُ الَّذِي
نَحَا إِلَيْهِ .

ومن نوع قول الفرزدق قول كشاجم يذكر الميدان :

عَمْرَتُهُ بِفَتْيَةٍ صَبِيحٍ سُمِّحَ ، بِأَعْرَاضِهِمْ شِحَاحٍ

فنحن نعلم أنه أراد سُمِّحَ شِحَاحٍ بِأَعْرَاضِهِمْ ، ولكن فيه من اللبس ما هو
أولى من التأويل .

والنوع الثالث ليس من هذا في شيء ، وهو سائر الألفاظ المبتدلة للكلم
بها ، لا يسمى تناوؤها سرقة ، ولا تداولها اتباعاً ؛ لأنها مشتركة لا أحد من الناس
أولى بها من الآخر ، فهي مباحة غير محظورة ، إلا أن تدخلها استعارة ، أو
تصحبها قرينة تُحَدِّثُ فِيهَا مَعْنَى ، أو تفيد فائدة ، فهناك يتميز الناس ، ويسقط
اسم الاشتراك الذي يقوم به العذر ، ولو غيرت اللفظة وأتى بما يقوم مقامها كقول
ابن أحرر :

بِمَقْلَصِ دَرَكِ الطَّرِيدَةِ ، مَتْنُهُ كَصِفَا الْخَلِيقَةِ بِالْفَضَاءِ الْمَلْبِدِ^(١)

فقوله « دَرَكِ الطَّرِيدَةِ » وقول الأسود بن يَعْفَرُ :

بِمَقْلَصِ عَتِدِ جَهْرٍ شَدَّهُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانَ جَوَادِ^(٢)

(١) قال في اللسان : « وصخرة خلقاء بينه الخلق : ليس فيها وسم ولا كسر

وأنشد البيت « اهـ .

(٢) فرس عتد - بكسر التاء المثناة أو فتحها - شديد تام الخلق سريع الوثبة

معد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة .

جميعاً كقول امرئ القيس :

* بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ *

وكذلك قول أبي الطيب :

* أَجَلِ الظُّلَمِ وَرِبْقَةِ السَّرْحَانِ *

فأما ما ناسب قول الأبيرد اليربوعي يرثى أخاه :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الإِلهَ إِذَا اشْتَكَيْ
من الأجر لي فيه ، وإن عَظُمَ الأجرُ

وقول أبي نواس في صفة الخمر :

تَرَى العَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لمعانها
وتَحْسِرُ حتى ما تُقِلُّ جُفُونَهَا

فهو من المشترك الذي لا يعد سرقة .

وقد نص عليه القاضى الجرجاني أنه من المنقول المتداول المبتذل .

وأما الاشتراك في المعاني فنوعان : أحدهما : أن يشترك المعنيان وتختلف

العبارة عنهما ، فيتباعد اللفظان ، وذلك هو الجيد المستحسن ، نحو قول

امرئ القيس :

كَبِكرِ المَقَانَةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ
غَذَاهَا تَمِيرُ المَاءَ غَيْرَ محلل^(١)

وقول غيلان ذى الرمة :

نَجَلَاءِ فِي بَرَجٍ صَفْرَاءِ فِي نَعِجٍ
كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ^(٢)

فوصفا^(٣) جميعاً لوناً بعينه : فشبهه الأول بلون بيضة النعام ، وشبهه الثانى بلون

الاشترك في
المعاني وأنواعه

(١) البكر : أول بيض النعامة ، والمقانة : المخالطة ، يقال : مايقانيني خلق

فلان ، أى : ما يشاكل خلقى ويخالط نفسى ، والبياض : مفعول للمقانة ، ونائب

الفاعل وهو المفعول الأول - ضمير مستتر ، والنمير من الماء : الذى ينبجع فى الشاربة

وإن لم يكن عذبا ، وغير محلل : لم يحلل عليه فى كدر .

(٢) رواية الديوان « كحلاء فى دعج » وقد سبقتم المؤلف « كحلاء فى برج »

وذلك فى (ص ٢٩) من هذا الجزء .

(٣) فى المطبوعتين « فوصفها » وليس بشيء .

الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال «قد مسها»

ونحو قول عبدة بن الطيب يصف ثوراً وحشياً :

مُجْتَابٌ نَضَعُ جَدِيدٍ فَوْقَ نَقَبَتِهِ وَفِي الْقَوَائِمِ مِنْ خَالِ سَرَائِلِ^(١)

وقال الطرمّاح يصف ظليماً :

مُجْتَابٌ شَمَلَةٌ بَرْجُودٍ لِسَرَاتِهِ قَدَرًا فَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبُرْجُودِ^(٢)

فوصف الأول بياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبهه ظهره كأن عليه نضعاً جديداً ، وهو الثوب الأبيض ، وشبه ما في قوائمه من السواد والتخطيط بسرراويل من الخال ، وهو ضرب من الوشي .

وقال النابى : إنه مجتاب شملة برجد ، يريد ما على الظلم من قرونه ، والبرجد : كساء أسود مُحْمَل ، وجعل الشملة قدراً لسرّاته دون رجليه وعنقه ؛ فدل على بياضهن

وقال عنقرة :

صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْقَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ^(٣)

(١) نضع - بكسر فسكون - ضرب من الثياب شديد البياض ، وعم بعضهم به كل جلد أبيض أو ثوب أبيض ، قاله في اللسان .

(٢) انظر (ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٨) من هذا الكتاب ، وقول المؤلف « وجعل الشملة قدراً لسرّاته » يدل على أنه بالراء المهملة من المقدار ، وقد فسرناه هناك على أنه قد بدالين ، وهذا الذي ذكرناه هناك رواية الأغاني ، وهى أولى .

(٣) الصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق ، يعود : يأتى إلى بيضه ، كما تقول : عدت المريض . وذو العشيرة : موضع ، والأصلم : المقطوع الأذنين ، والظلمان كلها لا آذان لها ، قاله الخطيب ؛ وانظره مع كلام المؤلف .

فشبهه بعبد طويل عليه فرو أصل ، أى : قصير الذبول ، وإنما خص الفرو لأنهم كانوا يلبسونه مقلوباً ، وجعله عبداً لبياض ساقيه وعنقه وإشراهما الحمرة يعنى صفات الروم ، ولم تكن العبيد فى ذلك الوقت إلا بيضاً ؛ فهذا اشتراك فى وصف الظهر والقوائم واختلاف فى اللفظ والعبارة .

والنوع الثانى على ضربين : أحدهما : ما يوجد فى الطَّبَّاع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار ، والحسن بالشمس والقمر ، والشجاع بالأسد وما شابهه ، والسخى بالغيث والبحر ، والعزيمة بالسيف والسيول ، ونحو ذلك ؛ لأنَّ الناس كلهم - الفصيح والأعجم والناطق والأبكم - فيه سواء ؛ لأننا نجد مركبا فى الخليفة أولاً .

والآخر ضرب كان مخترعا ، ثم كثر حتى استوى فيه الناس ، وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول ، نحو قولهم فى صفة الخلد « كالورد » وفى القد « كالغصن » وفى العين « كهين المهاء من الوحش » وفى العنق « كعنق الظبي » وكأبريق الفضة أو الذهب « فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعا ، ثم تساوى الناس فيه ، إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة ، أو يخصه بقرينة ؛ فيستوجب بها الانفراد من بينهم ، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح ، والذكاء بشواظ النار ، وسيرد عليك من قوافى باب السرقات وما ناسبها كثير ، إن شاء الله تعالى .

(٦٩) - باب التغاير

وهو أن يتضاد المذهبان فى المعنى حتى يتقاوما ، ثم يصحاحا جميعاً ، وذلك من افتتان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم .

من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون إلا القود دون الدية :

لَا يَشْرَبُونَ دِمَاءَهُمْ بِأَكْفِهِمْ إِنَّ الدَّمَاءَ الشَّافِيَاتِ تُكَالُ

حد التغاير

وسببه

أمثلة من التغاير

وقال آخر وقد أخذ بثأره إلا أنه فيما زعم قتل دون من قتل له ، ويروى لامرأة حارثية :

فيقتل خير بامرئ لم يكن له بواء ، ولكن لا تكأيل بالدم

ويروى « في فتى لم يكن له وفاء » فالأول يقول : لا أخذ بالدم لبناً ، لكن أخذ بما بقدره ، فكان ذلك مكايلة ، والثاني يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير ، فتى لم يقتل به إلا نظيره بعد انتقامه ، وعسر إدراكه الثأر فقال : إن الدماء ليست مما يكأيل به في الحقيقة ، وقيل : إنما يعنى بذلك أن الإسلام لما جاء أزال المكايلة بالدم ؛ فكانوا لا يقتلون بالرئيس إلا رئيساً مثله .

ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم يفضله على الكرم المطبوع :

قَدْ بَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ قَدِيمًا
وَوَرَدَنَاهُ سَائِحًا وَقَلْبِيًّا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيًّا^(١)
فَعَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا

وقال أبو الطيب في خلافه :

لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتُهُ لَمَّا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ تَكْرِمَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا

وإلى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله :

جَبْرُ الْكَسِيرِ إِذَا يَهَاضُ جَنَاحَهُ لَجَأُ الْمَطْرَدِ مُسْتَعَاثُ الْمَمْلُوقِ

(١) أراد بالسائح : النهر ، والقلب : البئر . والبارض : أول ما يظهر من نبت الأرض ، وقيل : هو أول ما يعرف من النبات وتتناوله النعم ، وقال الأصمعي : أول ما يظهر من البهمي بارض ؛ فإذا تحرك قليلاً فهو جميم .

جَمَعَ الفضائلَ والمحامدَ والقَلاءَ خُلِقَ لَعَمْرُ أَيْكَ غَيْرُ تَخْلُقِ

وأصلُ معنى قول أبي الطيب من قول بشار :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْفِ فِ وَلكِنْ يَلْدُ طَعْمَ العَطَاءِ

وقال البحترى فى نحو ذلك :

لا يَتَعَبُ النَّائِلُ المَبْدُولُ هَمَّتَهُ وَكَيْفَ يَتَعَبُ عَيْنَ النَّاطِرِ النَّظْرُ !؟

وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه فى المعانى كثيراً ما يخالف الشعراء ويغايِر مذهبهم ، ألا ترى إلى قول على بن العباس النوبختى - وهو فى رواية الجرجانى لابن الرومى - يصف القلم ويفضله على السيف ، وكتب بذلك إلى على بن مقلة فى قصيدة :

إِنْ يَخْدُمُ القَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الأُمَمُ

كَذَا قَضَى اللهُ للأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ أَنْ السُّيُوفِ لَهَا مُذْ أَرْهَفَتْ خَدَمُ

فَالْمَوْتُ - وَالْمَوْتُ لا شَيْءَ يُعَادِلُهُ - مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ القَلَمُ

وهذا كلام مُتَقَنَّ البنية ، صحيح المعنى ، لا مَطْعَن فيه ، فجاء أبو الطيب مخالفه وذهب مذهباً آخر يشهد بصحته العيان ، ويصححه البرهان ، فقال :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي : المَجْدُ للسِّيفِ لَيْسَ المَجْدُ للقَلَمِ

اكتب بذا أبداً قبل الكتاب بها^(١) فإِذَا نَحْنُ للأَسْيَافِ كَالخَدَمِ

ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبله ويفخر :

أَلَمْ تَسْمَعَا يَا بَنِي حَكِيمٍ حَنِينَهَا إِلَى السِّيفِ تَسْتَبْكِي إِذَا لم تَعْمُرْ

(١) بذا : اسم الإشارة عائد إلى السيف ، بها : الضمير عائد إلى الأقلام .
ورواية الديوان * اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به * وهى التى تتفق مع البيت السابق (انظر الديوان : ج ٢ ص ٤١٣) .

فجعلها إذا لم تعقر حنت إلى السيف واستبكت ؛ لكثرة عاداتها ، وهذا
 غُلُو مُفْرِط ، وكان في مكان آخر يصفها بالجزع إذا رأت الضيف لعلها أنها
 تدحر له :

تَرَى النَّيْبَ مِنْ ضَيْفِي إِذَا مَا رَأَيْتَهُ ضُمُورًا عَلَى جِرَاتِهَا مَا تُجِيزُهَا
 فزعم أنها تخفى حسنها حتى إنها لا تجتر خوقا من النحر ، وهذا المعنى مأخوذ
 من بيتين مدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما :

وأبيكَ حَقًّا إِنَّ إِبْلَ مُحَمَّدٍ عَزَلُ نَوَاحٍ أَنْ تَهَبَّ شِمَالُ
 وَإِذَا رَأَيْتَ لَدَى الْفِنَاءِ غَرِيبَةً فَدُمُوعُهُنَّ عَلَى الْخُدُودِ سِجَالٌ^(١)

يقول : إذا هبت الشمال — وهى من رياح الشتاء ، وعلامات المخل — أيقن
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرف للضيفان والجيران ؛ فهى نوايح لذلك ،
 وقوله * وإذا رأيت لدى الفناء غريبة * أى : يعرفن بذلك أنها ناقة ضيف
 فتذرى كل واحدة دمعها ، لاتدرى هل هى المنحورة ، وهذا من مליح الشعر
 ولضيف المدح ، وقل كل مديح لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومن مליح التغاير قول أبو الشَّيْصِ :

أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٍ حُبًّا لِذِكْرِكَ ؛ فَلَيْلُمْنِي الْاَوْمُ
 وقول أبي الطيب فى عكس هذا :

أَحْبَهُ وَأَحَبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ ؟ إِنْ الْمَلَامَةُ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة ، وهو يعده فى باب السرقات ، قال :
 وأصله من قول أبي نُوَاس :

إِذَا غَادَيْتَنِي بِصَبُوحِ عَدْلٍ فَمَمَزُوجًا بِتَسْمِيَةِ الْحَبِيبِ
 ولأبي العلاء المعرى مثله من غير التزام :

(١) غريبة : أراد ناقة غريبة كما قال المؤلف ، أو طائفة ، أو نسمة ، أو ما أشبه ذلك.

لم يَبْقَ غَيْرُ العَدْلِ من أسبابهم فَأَحَبُّ من يدنو إلى عَدْوُلُ
يغدو فلا مُسْتَخْبِرٌ عن حالهم غَيْرِي ، ولا مُسْتَخْبِرٌ مُسْتَوَل

(٧٠) — باب في التصرف ، وتقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر : من جد وهزل ، وحلو
وجزّل ، وأن لا يكون في النسيب أربع منه في الرثاء ، ولا في المديح أفذ منه في
الهجاء ، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ، ولا في واحد مما ذكرت أبعده منه
صوتاً في سائرهما ؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم ، وحاز قَصَبَ السَّبْقِ ، كما
حازها بشار بن برد ، وأبو نواس بعده .

مق يحوز
الشاعر قصب
السبق ؟

حكى الصحاب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثني
محمد بن يوسف الحمادي ، قال : حضرت بمجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
وقد حضره البحترى ، فقال : يا أبا عباد ، أمسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال :
بل أبو نواس ؛ لأنه يتصرف في كل طريق ، ويبرع في كل مذهب : إن شاء جد ،
وإن شاء هزّل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه
فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلبياً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ،
ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ؛ فإنما يعرف الشعر
من دُفِعَ إلى مضايقه ، فقال : وَرِيَتْ بك زِنَادِي يا أبا عباد ، إن حكك ، في
عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل
عنهما فضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا
من علم أبي عبيدة ؛ فإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر ، وقد خالف البحترى
أبا نواس في الحكم بين جرير والفرزدق ، فقدم الفرزدق ، قيل له : كيف تقدمه
وجرير أشبه طبعاً بك منه ؟ فقال : إنما يزعم هذا من لا علم له بالشعر ، جرير

موازنة بين
مسلم وأبي
نواس

وبين جرير
والفرزدق

لا يعدو في هجائه الفرزدقَ ذِكْرَ القين وجمعتن وقتل الزبير ، والفرزدق يرميه في كل قصيدة بأبدة ، حكى ذلك غير واحد من المؤلفين .

فإذا كان هذا فقد حكم له بالتصرف ، وبهذا أقول أنا ، وإياه أعتقد فيهما ، وإذا لم يكن شعر الشاعر نمطاً واحداً لم يمله السامع ، حتى إن حبيباً ادعى ذلك لنفسه في القصيدة الواحدة فقال :

الجدُّ والهزلُ في تَوْشِيْعِ لِحْمَتِهَا

والنبيلُ والسخفُ ، والأشجانُ والطربُ^(١)

وقد قال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية :

لَا يَصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُصْرَفَةً إِلَّا التَّصْرَفُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

ليحي المنجم في
نقد الشعر

وأنشد الصحاب لأبي أحمد يحيى بن علي المنجم في نقد الشعر :

رُبَّ شِعْرِ نَقَدْتُهُ مِثْلَ مَا يَنْقُدُ رَأْسُ الصَّيَّارِفِ الدِّيَّانَرَا

ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معاً أباكراً

لو تَأْتَى لِقَالَةِ الشَّعْرِ مَا أَسْـسَقْتُ مِنْهُ حَلْوًا بِهِ الأَشْعَارَا

إنَّ خَيْرَ الكَلَامِ مَا يَسْتَعِيرُ النَّاسُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعَارَا

وقال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه

من عنده علم
الشعر

فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعظفت على أبي عبيدة

فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما

أردت إلا عند أدباء الكتاب : كالحسن بن وهب ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .

قال الصحاب على أثر هذه الحكاية : فله أبو عثمان ، فلقد غاص على سر

الشعر ، واستخرج أرقاً من السحر .

(١) قال الأمدى : قوله « الجد والهزل في توشيع لحمتها » بيت في غاية الحق ،

ومن يمدح وزيراً ، فلم يضمن قصيدته الهزل والسخف ؟ وإن كان هناك ما يدل على

هذا فلم ينبه عليه واعترف به ؟ اه ، والتوشيع : من قولهم « وشمت البرد » إذا

جعلت فيه ألواناً وطرائق .

وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب يظهر فيها مرماهم ،
ويستدل بها على مغزاهم ، ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب إليه من
تفضيلهم ، ويشهد لى بجودة المآز ، وفرط التثبت والإنصاف ، إن شاء
الله تعالى .

(٧١) - باب في أشعار الكتاب

والكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً ، وأملحهم تصنيعاً ، وأحلاهم ألفاظاً ،
وألطفهم معاني ، وأقدرهم على تصرف ، وأبعدهم من تكلف .

وقد قيل : الكتاب دَهَاقِينُ الكلام^(١) ، وما يزيدك على قول إبراهيم
ابن العباس الصولي بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر
من شعر إبراهيم الصولي
فقال ارتجالاً :

صَدَّ عَنِي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَا وَأَطَاعَ الْوَشَاةَ وَالْعُدَاَلَا
أَتْرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صُدُودِي وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَا

فطرب له المتوكل واهتز ووصله ، وخلع عليه وحمله ، وجدده ولاية . وقيل
له في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا ، وأى مدح أروع وأبدع من قوله في
الفضل بن سهل :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ
فِيَاظِنَهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ
* وَنَائِلُهَا لِلغَى وَسَطُوتُهَا لِلْأَجَلِ

أليس هذا الماء الزلال ، والسحر الحلال ؟؟

ولقد أجاد ابن الرومي في تناوله هذا المعنى حين قال :

مُقَبَّلُ ظَهْرِ الْكَفِّ ، وَهَابُ بطنِهَا لَهُ رَاحةٌ فِيهَا الْحَطِيمُ وَرَمَزُمُ

(١) الدهاقين : جمع دهقان - بكسر فسكون - وهو التاجر البارع ، وقال الشاعر :

إِنَّمَا الدَّلَافُ ياقوتةٌ أُخْرِجَتْ مِنْ كَيْسِ دَهْقَانَ

فظاهرهما للناس رُكْنٌ مُقْبَلٌ وباطنها عَيْنٌ من الجود عَيْلِمٌ^(١)
 إلا أن الأول أخف وزناً ، وأرشق لفظاً ومعنى ، وهذان البيتان - وإن
 كانت فيهما زيادة - فإنما هما بإزاء البيت الأوسط من أبيات إبراهيم فقط . .
 ومن تغزل إبراهيم قوله :

أراك فلا أَرُدُّ الطرفَ كَيْلًا يكون حجابَ رؤيتك الجفونُ
 ولو أنى نظرتُ بكلِّ عينٍ لما استتَفَصَّتْ محاسنَكَ العيونُ
 فهذا وأبيك البيان ، والخبر الذي كأنه العيان .

وما أجد كل حلاوة وحسن طلاوة ، إلا دون قولا [٤] :

ابْتِدَاءً بِالتَّجَنِّيِّ واقتضاءً بالتَّطَيُّيِّ
 واشتفاءً بَتَجَنِّيِّكَ لأعدائك مني
 بأنى قل لي لكي أعلمَ لم أعرضت عني
 قد تمنى ذلك أعداؤي ، فقد نالوا التمني

وأما الهجاء فقد بلغ فيه أبعاد الغايات بقوله في محمد بن عبد الملك الزيات :

فكن كيف شئت وقل ما نشاء وأرعدُ يميناً وأبرقُ شمالاً
 نجا بك لوئك منجى الذباب حتمته مقاديره أن ينالا^(٢)

ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لأحمد بن أبي دؤاد ، وقد أمر
 الواثق أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ، ولم يجعل في ذلك رخصة لأحد ،
 وكان ابن أبي دؤاد يشتغل بصلاة الضحى إذا أحسَّ بقدمه أنفةً من القيام إليه
 في دار السلطان ، وامثالاً للأمر ، فصنع ابن الزيات :

صَلَّى الضحى لما استفاد عداوتي وأراه ينسكُ بعدها ويصومُ
 لانعدٍ منَّ عداوةً مشؤومةً تركتكَ تقعدُ تارةً وتقومُ

ومن تغزله قوله ، وهو في غاية العذوبة :

(١) عيلم - بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة - أصله البحر والماء
 الكثير ، والبرُّ الكثير الماء .
 (٢) في كثير من الأصول « حتمته مقاديره أن ينالا » بدون ياء .

قام بقلبي وَقَعَدْتُ لِمَا نَفَى عَنِّي الْجَلْدُ
يا صاحب القَصْرِ الَّذِي أَسْهَرَ عَيْنِي وَرَقَدْتُ
وَأَعْطَشَنِي إِلَى فَمِّهِ يَمِجُّ خَمْرًا مِنْ بَرْدِ
إِنْ فُئِمَّ النَّاسُ فَحَسَبِي بِكَ مِنْ كُلِّ أَحَدِ

وقال يرثي جاريته سلوانة ، وهي أم ولده عمر الأصغر :

يقول لي الخلان: لوزرت قبرها فقلت: وهل غير الفؤاد لها قبر؟
على حين لم أحدث فأجهل قدرها ولم أبلغ السن التي معها الصبر
وقال أيضاً وأحسن ما شاء :

مالي إذا غبت لم أذكر بواحدة وإن مرضت فطال الشقم لم أعد
ما أعجب الشيء ترجوه فتخرمه قد كنت أحسب أني قدملات يدي

ومن شعره في هذا الباب مقطعات متفرقة تغني عن الإكثار منه ههنا .
وأما الحسن بن وهب فمن قوله :

من شعر
الحسن بن
وهب

لم تنم مقلتي لطول بكاهي ولما جال فوقها من قذاها
فالقذى كلها إلى أن ترى وجهه سليمي، وكيف لي أن تراها؟!
أسعدت مقلتي بإدائها الدمع وهجرانها الكرى مقلتها
فلعيني في كل حين دموعٌ إنما تستدرها عيناها

وقدم إليه كانون ، ومنه قينة كان يهواها ، فأمرت بإبعاد الكانون ، فصنع :

بأبي كرهت النار حتى أبعدت فعرفت ما معنأك في إبعادها
هي ضرة لك بالتماع شعاعها وبحسن صورتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك بالقلوب صنيعها بأراكيها وسيالها وعرادها
شركتك في كل الجهات بحسنها وضيائها وصلاحتها وفسادها

ومن مליح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر غيب مطر :

هطلت السماء هطلاً دراكاً جاوز المرزبان فيه السماكا

قلت للبرق إذ تألق فيه : يا زناد السماء من أوزاك^(١)
 أحيباً أحبته فجاكاً؟ فعسى ذاك أن يعود كذا كما
 أم تشبّهت بالأمير أبي العباس في جوده؟ فلست هنا كما
 وهذا هو الكلام الكتابي ، السهل ، المرسل ، الحسن الطلاوة ، والظاهر
 الحلاوة .

ومن قوله يرني حبيباً الطائي ، وكان صديقاً له جداً :
 سقى بالموصل القبر الغريباً سحائبٌ يندحبن به نحيباً
 إذا أظلنه أطلقن فيه شعيب المزب يبتعبها شعيباً
 ولطمت البروق له حدوداً وشققت الرعود له جيوباً
 فإن تراب ذلك القبر يحوي حبيباً كان يدعى لي حبيباً
 وهي قصيدة كاملة أتيت بهذا منها معرضاً .

ومن شعراء الكتاب سعيد بن حميد الكاتب ، وهو القائل في طول الليل :
 من شعر
 سعيد بن
 حميد الكاتب
 ياليل ، بل يا أبد أنأم عنك غد؟
 ياليل ، لو تلقى الذي ألقى بها أو أجد
 قصر من طولك أو أضعف منك الجلد

ورواه قوم * أنحل منك الجسد * والأول عندي أصوب ، وعلى كل حال
 فنه أخذ أبو الطيب قوله :

الم ير هذا الليل عينيك رؤيتي فتظهر فيهِ رقة ونحول
 وليس يلزم الكاتب أن يجارى الشاعر في إحكام صنعة الشعر ؛ لرغبة
 الكاتب في حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والإتيان بما يخف على
 (١) تألق : لمع ، وزناد السماء : شبه به البرق ، وأوراك : من قولهم « أوري
 الزند » إذا قدحه ليخرج نارا .

النفس منها ؛ وأيضا فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي تظرفا ، لا عن رغبة ولا رهبة ،
فهم مطلقون مُخَلَّوْنَ في شهواتهم ، مساحون في مذاهبهم ؛ إذ كانوا إنما يصنعون
الشعر تخيراً واستظرافاً ، كما قال كشاجم الكاتب :

ولئن شعرتُ فما تعدت الهجاء ولا المديحة
لكن رأيتُ الشعرَ لِلْأَدَابِ ترجمةً فصيحته

وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار الخلفاء ، والأسماء ، والمترفين من
أهل الأقدار : لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعرُ صناعته ، والمديح
بضاعته .

وقد أعرب أبو الفتح بن العميد وأعرب في قوله :

فإن كانَ مَرَضِيًّا فَقَل : شعر كاتبٍ وإن كان مسخوطاً فقل : شعر كاتب^(١)
ولو حاولتُ أن أذكر من علمت من شعراء الكتاب - سوى من ذكرت -
لبعد الأمد ، وطالت الشقة ، واحتجت إلى أن أقيم لهذا الفن ديواناً مفرداً ؛
لكنني عوّلت على ابن الزيات ، وابن وهب ؛ لإحالة الجاحظ في الفضل
عليهما ، وأنستهما بانهن ليسا بدونهما ، ولو لم آت بهذا الباب إلا بما بنيته
عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن أيده الله لكان ذلك فوق الرضا
والكفاية .

فمن ذلك قوله :

بَاكِرِ الرَّاحِ وَدَعَّ عَنكَ الْعَدْلَ وَاسِعَ فِي الصَّحَّةِ مِنْ قَبْلِ الْعَيْلِ
وَاعْتَمَ لَذَّةَ يَوْمِ زَائِلٍ فَالْمَنَايَا ضَاكِحَاتٌ بِالْأَمَلِ
مَا تَرَى السَّاقِ كَشَمْسٍ طَلَعَتْ تَحْمَلُ المَرِيخُ فِي بُرُوجِ الحَمَلِ
مَأْسَاً كَالْفِصْنِ فِي دِعْصِ نَقَاً فَاتِنَ المَقَلَّةِ زِينَتُ بِالْكَحَلِ

من شعر
أبي الحسن

(١) انظر (ج ١ ص ٣٣٥) تجد للمؤلف تعليقا على هذا البيت .

وقوله أيضا يتغزل :

مَرَّ بِنَايَهْتَرُ فِي مَشِيهِ مثل اهْتَزَّازِ الْعُصْنِ الرَّطْبِ
فمقلتي ترتعُ في حُسْنِهِ ومقلته أحرقتُ قلبي

قوله « أحرقت » وهما مقلتان كقول بعضهم ، وأنشده أبو الجراح في

طبقات الشعراء :

أشركت عيناه ظلمة في دمي يا عظم ما جنت

فقال « ظلمة » وقال « جنت » لأن التثنية جمع في الحقيقة ، والجماعة تخبر

عنها كما تخبر عن الواحد : لمكان التأنيث ، والشاهد من قول القدماء قول أحدهم :

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زَلُّ بهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ

فقال « تنهل » وكان حقه أن يقول « تنهلان » لكن العلة ما قدمت .

ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله :

أَمِنُ الزَّمَانِ زَمَانَةُ الْعَقْلِ فَاخْشَ الْآلِهَ وَحُلَّ عَنِ الْجَهْلِ
وَأَعْلَمُ بِأَنْكَ فِي الْحِسَابِ غَدًا تُجْزَى بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ فَعْلٍ

ومن تشكى أحوال الناس وقلة تقمهم وإنصافهم قوله :

أيارب ، إن الناس لَا يُنْصِفُونِي وَلَمْ يُحْسِنُوا قَرَضِي عَلَى حَسَنَاتِي
إِذَا مَا رَأَوْنِي فِي رَحَاءٍ تَرَدَّدُوا إِلَى ، وَأَعْدَائِي لَدَى الْأَزْمَاتِ
وَمَهْمًا أَكُنْ فِي نِعْمَةٍ حَزِنُوا لَهَا ذُوو أَنْفُسٍ فِي شِدَّةِ جَدِيلَاتِ
نِقَاتِي مَا دَامَتْ صِلَاتِي لَدَيْهِمْ وَإِنْ عَنْهُمْ أَخْرَجْتُهَا فَعِدَاتِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَصْرَفَ عَنْهُمْ قَالِيَا لِحَظَاتِي
وَأَلْزِمُ نَفْسِي الصَّبْرَ دَائِبًا لِعَلَّنِي أَعْيُنُ مَا أَمَلْتُ قَبْلَ مَمَاتِي
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَغَفٍّ وَصِحَّةٌ وَأَمِنْ ، ثَلَاثٌ هُنَّ طِيبُ حَيَاتِي

قوله « ثلاث » يعني ثلاث خصال أو ثلاث أحوال ، كما قال طرفه :

* فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى (١) *

ثم فسره فقال :

* فَمَنْ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِبَةٍ (٢) *

* وَكَرَّرَى إِذَا نَادَى الْمِضَافَ مُجَنَّبًا (٣) *

* وَتَقْصِيرِ يَوْمِ الدَّجَنِ (٤) *

والسبق والتقصير والسكر كلها مذكرة ، لكن أراد ما قدمت .

ومن أحسن الأشعار قوله :

خَلِيلِيَّ ، إِنْ لَمْ تُسْعِدْ أُنِي فَأَقْصِرَا فَلَيْسَ يَدَاوِي بِالْعَتَابِ الْمُتَمِيمُ
تَرِيدُ أَنْ مَنِي النَّسْكَ فِي غَيْرِ حَيْمِهِ وَغُضْنِي رِيَّانُ وَرَأْسِي أَسْحَمُ
وقوله في قصيدة طويلة :

غَرَّاهُ وَاضِحَةٌ يَنْوَسُ بَقْرُطَهَا حَيْدٌ حَكَى حَيْدَ الْغَزَالِ الْأَعْنَقِ
صَدَّتْ فَأَغْرَتْ بِالسَّجُومِ مَدَامَعِي وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ بِالْدُمُوعِ الشُّبُقِ
تَشْكُو الْبَعَادَ إِذَا بَعَدَتْ تَصَبُّرًا وَإِنْ ارْتَجَعْتَ إِلَى الزِّيَارَةِ تَفَرَّقِ
وَلَقَدْ بَيَّتَ أَخُو الْمَوْدَةِ لِأُمِّي فِي حَبْهَا لَوْمَ الشَّفِيقِ الْمَشْفِقِ
حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ فَأَبْصَرَ شَخْصَهَا أَخْزَى جِهَالَةَ لِأُمِّي الْمَسْتَحْمِقِ
كَمْ قَدْ قَطَعَتْ بِوَصْلِهَا مِنْ لَيْلَةٍ وَبَشْرَبِ صَافِيَةِ كَلُونِ الزَّبِقِ

(١) تمامه * وجدك لم أحفل متى قام عودي *

(٢) تمامه * كسيت متى ماتعل بالماء تزيد * ويروي « سبق العاذلات »

(٣) مجنبا - بالجيم الموحدة - هكذا هو في رواية ضعيفة ، والرواية الموثوق

بصحتها « مجنبا » بالحاء المهجلة ، وتمام البيت * كسيد الغضا نهمته المتورد *

(٤) البيت بتمامه هكذا :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب بهسكنة تحت الحباء العمدة

يسعى بها كالبدري ليلة ليمه سحار الحافظ رخم المنطق
آليت أترك ذا وتلك وهذه حتى يفارقتي سواد المفرق
فله سلامة هذا الطبع واندفاعه ، وقرب هذا اللفظ واتساعه ، والله رقة معانيه
وإرهاقها ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ، ولطف مواقعها من القلوب ، وسرعة
تأثيرها في النفوس ، وسيرد من شعره فيما بعد ما لاق بالمواضع التي يذكر فيها ،
إن شاء الله تعالى .

(٧٢) - باب في أغراض الشعر وصنوفه

وهو بسط لما بعده من الأبواب ، وقد فرط البسط له ، وفرغ من مقدمته
في باب حد الشعر وتبينه ، وأنا إذا ذكر هنا ما لا بد منه .

للناشيء في
صناعة الشعر

تكلم قوم في الشعر عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل من حيث لا يعلمون .
فكتب إليه أبو العباس الناشيء :

لَعَنَّ اللهُ صِنْعَةَ الشَّعْرِ ، ماذا من صنوف الجهال فيها لقينا؟
يُؤْتِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ سَهلاً لِلْسَامِعِينَ مُبِيناً
وَيَرُونَ الْحَالَ شَيْئاً صَحِيحاً وَخَسِيسَ الْمَقَالِ شَيْئاً ثَمِيناً
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ ، وَلَا يَدْرُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سَوَانَا يَلَامُونَ ، وفي الحق عندنا يُعْذَرُونَ
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا تَنَاسَبَ فِي النِّظْمِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ فَنَوْنَا
فَأَتَى بَعْضُهُ بِشَاكِلٍ بَعْضاً قَدْ أَقَامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْمُتَوْنَا
كُلُّهُ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَ
فَتَنَاهَى عَنِ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ كَادَ حَسَنًا يَبِينُ لِلنَّاطِرِينَ
فَكَانَ الْأَلْفَاظُ فِيهِ وَجُوهَ وَالْمَعَانِي رُكُوبًا فِيهِ عَيُونًا

فأثنا في المرام حَسَبَ الأمانى فيجلى بحسنه المُشدِّدِنا
 فإذا ما مدحت بالشعر حرا رمت فيه مذاهب المسهبينا
 فجعلت النسيب سهلاً قريباً وجعلت المديح صدقاً ميينا
 وتنكبت ما تهجن في السمع ، وإن كان لفظه موزونا
 وإذا ما قرضته بهجاء عفت فيه مذاهب المرثينا
 فجعلت التصريح منه دواء وجعلت التعريض داء دفيننا
 وإذا ما بكيت فيه على الغا دين يوماً للبين والظاعينا
 حُلت دون الأسي وذللت ما كا ن من الدمع في العيون مصونا
 ثم إن كنت عاتباً شبت في الوعد وبعيدا وبالصعوبة لينا
 فتركك الذي عتبت عليه حذراً آمناً ، عزيزاً مهيننا
 وأصح القريض ما فات في النظم ، وإن كان واضحاً مستبيننا
 وإذا قيل أطعم الناس طراً وإذا ريم أعجز المعجزينا

وصية
 أبي تمام
 للبحترى

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى : كنت في حدائتي أروم الشعر ،
 وكنت أرجع فيه إلى طبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضائه ،
 حتى قصدت أبا تمام ؛ فانقطعت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ، فكان
 أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ،
 واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت
 السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم ، فإن
 أردت النسيب فأجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ،
 وتوجع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت في مدح سيد
 ذى أياذ فأشهر منأقبه ، وأظهر مناسبه ، وأين معالمة ، وشرف مقامه ، وتقاض
 المعاني ، واحذر المجهول منها ، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزررية ، وكن

كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرخ نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ؛ فإن الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين : فما استحسنته العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله تعالى .

قال صاحب الكتاب : قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له ، فلم أثق بحفظي فيه ، حتى صححته فأثبتته بمكانه من هذا الباب (١) .

للناشيء أيضا
في الشعر

ومن قول الناشيء في معنى شعره الأول :

الشعر ما قوِّمت زبغَ صدره وشدّدتَ بالتهذيبِ أسرَ متونه
ورأبت بالإطّابِ^(٢) شَعْبَ صُدُوعه وفتحتَ بالإيجازِ عورَ عيونه
وجمعتَ بين قريبه وبعيده ووصلتَ بين جمه ومعيّنه
فإذا بكيت به الديارَ وأهلها أجريتَ للحزون ماء شؤونه
وإذا مدحتَ به جواداً ماجداً وقمّتهُ بالشكرِ حقّ ديونه
أصفيته بنفيسه ورصينه وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلاً في أساق صنوفه ويكون سهلاً في اتفاق فنونه
فإذا أردتَ كنايةً عن رتبةٍ باينتَ بين ظهوره وبطونه
فجعلتَ سامعه يشوب شكوكه ببيانه وظنونهُ بيقينه
وإذا عتبتَ على أخٍ في زلةٍ أدبجتَ شدتهُ له في لينه
فتركتَه مستأنساً بدّمائة مستئيساً لوغوئه وحزونه

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٨ من هذا الكتاب .

(٢) يقال « رأب الشعب » و « رأب الصدع » في معنى أصلح الفاسد .

وَإِذَا نَبَذْتَ إِلَى التِّي عُلِّقَتْهَا إِنَّ صَارَ مَتَكَ بِفَاتِنَاتِ شَوْوِنِهِ
تِيَمَّتْهَا بِلَطِيفِهِ وَدَقِيقِهِ وَشَعْفَتْهَا بِخِيَمِهِ وَكَيْمِنِهِ
وَإِذَا اعْتَذَرْتَ إِلَى أَخٍ مِنْ زَلَّةٍ وَاشْكْتَ بَيْنَ مَحِيَلِهِ وَمَبِينِهِ

وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الأغراض والصنوف واحداً فواحداً ،
إن شاء الله سبحانه وتعالى .

(٧٣) — باب النسيب

حق النسيب

حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رَسَلَهَا ، قريب المعاني سَهَلَهَا ،
غير كَزَّ وَلَا غَامِض ، وَأَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ ظَاهِرَ الْمَعْنَى ، لِيُنِ الْإِيْثَارُ^(٢) ،
رَطَبَ الْمَكْسِر ، شَفَّافَ الْجَوْهَر ، يُطْرِبُ الْحَزِينَ ، وَيَسْتَخْفُ الرِّصِينَ .

روى أبو على إسماعيل بن القاسم ، عن ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن
الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن راوية كثير^(٣) قال : كنت مع جرير
— وهو يريد الشام — فطرب ، وقال : أنشدني لأخي بني مليح — يعني كثيراً —
فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي^(٤) بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعَصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ

(١) انظر نقد الشعر لقدماء ٤٢ الآستانة .

(٢) ربما قرئت « لين الأبخار » .

(٣) في جميع أصول هذا الكتاب « عن رواه عن كثير » وهو خطأ ،
وما أثبتناه عن الأمامي (ج ٢٢٨ ٢) وقد اعترضه البكري في التنبيه ، قال « هذا
الشعر لمجنون بنى عامر ، لا لكثير ، ولا أعلم أحدا رواه له ، وقد وقع لي في ديوانه
وبعد البيتين :

فما حب ليلى بالوشيك انقطاعه ولا بالموذى يوم رد النأخ

(٤) في الأمامي « إذا ما استبيتني » والذي في الأصل موافق لرواية البكري

في التنبيه .

تجافيت عنى حين لالى حيلة^(١) وخلفت ماخلفت^(٢) بين الجوانح
فقال : لولا أنه لا يحسن بشيخ مثلى النخير لنخرت حتى يسمع هشام
على سريره . . .

وقيل لأبي السائب الخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسب ؟ فقال : أما
من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد . . . وأما الغزل فهو إلف النساء،
والتخلق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء ؛ فمن جعله بمعنى التغزل فقد
أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر^(٣) .

الفرق
بين الغزل
والنسيب

وقال الحاتمي : من حكم النسيب الذى يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون
ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم ، متصلاً به ، غير منفصل منه ، فإن القصيدة مثلها
مثل خلق الإنسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، ففى انفصل واحد عن الآخر
وبينه فى صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون^(٤) محاسنه ، وتُعقِّ معالم جماله ،
ووجدت حُذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه
الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان ، ويقف بهم على مَحَجَّة الإحسان .
ومن مختار^(٥) ما قيل فى النسب قول المرار العدوى .

من
مختار نسيب
التقديمين

- (١) فى الأمالى « حين لالى مذهب » وكذلك فى التنبيه (ص ١١٨)
(٢) فى التنبيه « وغادرت ما غادرت » والذى فى الأصل موافق لما فى الأمالى
(٣) انظر نقد الشعر ص ٤٢ .
(٤) تتخون محاسنه : أى تنقصها .
(٥) هذه الأبيات من قصيدة للسرار اختارها أبو العباس المفضل الضبي فى
« المفضليات » وفى رواية المفضليات أبيات بين بعض هذه الأبيات وبعض ؛ فلعل
المؤلف لم يقصد إلى اختيار قطعة كاملة من القصيدة يقفوا بعض أبياتها بعضاً .

وَهِيَ هَيْفَاءٌ هَضِيمٌ كَشْحُهَا فَخَمَّةٌ حَيْثُ يُشَدُّ الْمُؤْتَزَرُ
 صَلْتَةٌ الْخَدُّ طَوِيلٌ جِيدُهَا صَخَمَةُ الثَّدْيِ (١) وَمَا يَنْكَسِرُ
 يُضْرَبُ السَّبْعُونَ فِي خَلْجَالِهَا فَإِذَا مَا أَكَرَهَتْهُ يَنْكَسِرُ
 لَا تَمْسُ الْأَرْضَ إِلَّا دُونَهَا عَنِ بِلَاطِ الْأَرْضِ ثَوْبٌ مَنْعَقَرُ
 تَطَأُ الْخَزَّ وَلَا تُكْرِمُهُ وَتُطِيلُ الذَّيْلَ مِنْهُ وَتَجْرُ
 ثُمَّ تَنْهَدُ عَلَى أَمْطِهَا مِثْلَ مَا مَالَ كَثِيبٌ مَنْعَقَرُ
 عَبَقُ الْعَنْبَرِ وَالْمَسْكِ بِهَا فَهِيَ صَفْرَاءٌ كَهَرَجُونَ الْعَمْرُ
 أَمْلَحُ النَّاسِ إِذَا جَرَّدَتْهَا غَيْرَ سِمَطَيْنِ عَلَيْهَا وَسُورُ

قال عبد الكريم : هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف ، وهي أشبه

بنساء الملوك .

وأنشد لغيره :

قَلِيلَةٌ لِحْمِ النَّاطِرِينَ يَزِينُهَا شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدُ
 أَرَادَتْ لَتَنْتَاشِ الرُّوَاقِ فَلَمْ أَقْمِ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ الْوَلَائِدُ
 تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا أَخُو سَقَطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ

وأنواع النسب كثيرة ، وهذا الذي أنشدته أفضلها في مذاهب المتقدمين ،

والمحدثين طريق غير هذه كثيرة الأنواع أيضا :

فما أختار من ذلك ما ناسب قول أبي نواس :

حَلَّتْ سَعَادٌ وَأَهْلُهَا سَرَفًا قَوْمًا عِدْدِي وَمَحَلَّةٌ قَدْ فَا
 وَكَأَنَّ سَعْدِي إِذْ تَوَدَّعْنَا وَقَدْ اشْرَأَبَ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَا
 رَشًا تَوَاصِينَ الْقِيَانُ بِهِ حَتَّى عَقَدَنْ بِأَذْنِهِ شَفَا

مما يختار
 من نسب
 المحدثين

(١) رواية المفضليات « ناهد الثدي » .

لمسلم بن
الوليد

فإن هذا في غاية الجودة ونهاية الإحسان ، وما ناسب قول مسلم بن الوليد :
أَحِبُّ التِّي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا : دَعِيهِ ، التُّرْبِيَا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصَلِي
أَمَاتَتْ وَأَحْيَتْ مُهَجَّتِي فَهِيَ عِنْدَهَا مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ الْمَوَاعِيدِ وَالْمَطَلِ
وَمَا نَلْتُ مِنْهَا نَائِلًا غَيْرَ أَنِّي بِشَجْوِ الْحَبِينِ الْأَلِيِّ سَلَفُوا قَبْلِي
بَلِي ، رَبَّمَا وَكَّلتُ عَيْنِي بِنَظْرَةٍ إِلَيْهَا تَزِيدُ الْقَلْبَ خَبَلًا عَلَى خَبَلِ

للبحترى

ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحترى :

رَدَدَنْ مَا خَفَّتْ مِنْهُ الْخُصُورُ إِلَى مَا فِي الْمَآزِرِ فَاسْتَمْتَلَنْ أُرْدَا فَا
إِذَا نَضَيْنَ شُفُوفَ الرَّيْطِ أَوَانَةً قَشَرْنَ عَنِ لُؤْلُؤِ الْبَحْرِ بِنِ أَصْدَا فَا
وَالْبَحْتَرِي أَرْقُ النَّاسِ نَسِيْبَا ، وَأَمْلَحَهُمْ طَرِيقَةً ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ :

إِنِّي وَإِنْ جَانَبْتَ بَعْضَ بَطَائِئِي وَتَوَهَّمِ الْوَاشُونَ أَنِّي مُقَصِّرُ
لَيْشُوقِي سِخْرُ الْعَيْونِ الْمُجْتَلِي وَيُرُوقِي وَرَدُّ الْخُدُودِ الْأَحْمَرُ

وشعره من هذا النمط ، لا سيما إن ذكر الطيف ؛ فإنه الباب الذي شهر به ،
ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل ، وإنما يقع له من ذلك التافه

لأبي تمام

اليسير في خلال القصائد ، مثل قوله :

بِتُّ أَرْعَى الْخُدُودَ حَتَّى إِذَا مَا فَارَقُونِي بَقِيَتْ أَرْعَى التُّجُومًا
وقوله أول قصيدة :

أَرَامَةٌ ، كُنْتِ مَأْلَفَ كُلِّ رَيْمٍ لَوْ اسْتَمْتَعْتَ بِالْأَنْسِ الْمَقِيمِ
أَدَارَ الْبُؤْسِ ، حَسَنَتِكَ التَّصَابِي إِلَى فَصْرَتِ جَنَاتِ النِّعَمِ
وَمِمَّا ضَرَمَ الْبُرْحَاءَ أَنِّي شَكُوتُ فَمَا شَكُوتُ إِلَى رَحِيمِ

للمتنبي

وأما أبو الطيب فمن مليح ما سمعت له قوله :

كثيبياً توقاني العواذِلُ فِي الْمَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيْضَ الْخَلِيلِ حَارِزُهُ

قَفِي تَعْرَمُ الْأُولَى مِنَ الْإِحْظِ مُهْجَتِي بِثَانِيَةِ ، وَلِئْتِيفِ الشَّيْءِ غَارْمُهُ
سَقَاكِ وَحَيَانَا بِكَ اللَّهُ ، إِنَّمَا عَلَى الْعَيْسِ نَوَزٌ وَالْحُدُورُ كَأَمَّةٌ
فَقَدْ جَاءَ بِأَمْلَحِ شَيْءٍ وَأَوْفَاهُ مِنَ الظَّرَافَةِ وَالغَرَابَةِ .

وقوله يذکر ربعَ أحبائه :

نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمَشِي كَرَامَةَ لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُنَلِّمَ بِهِ رَكْبَا
نَذَمُ السَّحَابِ الْعُرَى فِي فَعْلِهَا بِهِ وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبِيًّا
وَقَالَ فِي ذِكْرِ الدِّيَارِ أَيْضًا :

وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تَرَابَهَا فَلَا زَلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمُنَاسِمِ
دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ بِسُمْرِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالْتِمَامِ
حَسَانُ التَّنْتِنِيِّ يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ إِذَا مَسَّنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ
وَيَبْسِمُنَّ عَنْ دُرٍّ تَقْلِدُنَّ مِثْلَهُ كَانَ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِالْمُبَاسِمِ

ورد جماعة من الكتاب على العتابي ، وهو بحلب ، وفي يده رقعة ، وقد
أطال فيها النظر والتأمل ، فقال : أرايتم الرقعة التي كانت في يدي ؟ قالوا : نعم ،
قال : لقد سلك صاحبها واديا ما سلكه غيره ، فله دره ، وكان في الرقعة قول
أبي نواس :

رَسَمُ الْكَرْمِيِّ بَيْنَ الْجَفُونِ مُحْيِلٌ لَأَبِي نَوَاسٍ
يَا نَاطِرًا مَا أَقْلَعْتُ لِحْظَاتِهِ أَيْضًا
عَفَى عَلَيْهِ بُسْكِي عَلَيْكَ طَوِيلٌ
حَتَّى تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ

[روي] الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : أغزل بيت
قول عمر بن أبي ربيعة :

فَتَضَاحَكُنْ وَقَدْ قَلَنْ لَهَا : حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدِّ

وكان الأصمعي يقول : أغزل بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ

لامرئ القيس

وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتاً أغزل

لجميل

من قول جميل بن معمر :

لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٌ وكلُّ قَتيلٍ عندهنَّ شهيدٌ
وفَضَلته بهذا البيتِ سكينة بنت الحسين بن عليّ رضوان الله عليهم ، وأثابته
به دون جماعة من حضر من الشعراء .

للأحوص

وقال بعضهم : الأحوص من أغزل الناس بقوله :

إذا قلتُ إني مُشْتَفٍ بِلِقائها وحُمَّ التَّلَاقِ بيننا زادني سَقَمًا

لجميل أيضا

وقال غيره : بل جميل بقوله :

يَمُوتُ الهوى مني إذا ما لَمِيتُها وَيَحْيَا إذا فَارَقْتُها فيَعُودُ

لجرير

وقال آخر : بل جرير بقوله :

فَلَمَّا التَقَى الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ العَصَى ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة ؛ لزيادته سقماً إذا
التقى بالحبوب .

لأبي صخر

وقال الخاتمي : أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر :

فَيَا حُبِّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الأيَامِ مَوْعِدِكَ الحَشْرُ

لأبي نواس

وقال أبو عبيدة : ما حفظت شعراً لمحدث ، إلا قول أبي نواس :

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَنَ مِنْ أَرْزَارِهِ قَمَرًا

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

بَعِينَ خَالَطَ التَّفْتِيرُ مِنْ أَجْفَانِهَا الحُورَا

وَخَدَّ سَابِرِيَّ لَوْ تَصَوَّبَ مَاؤُهُ قَطْرًا

الأسماء التي

بتغزل الشعراء

فيها

وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم ، فهم كثيراً ما يأتون

بها زوراً نحو: ليلي ، وهند ، وسلمى ، ودعد ، ولُبَيْنى ، وعَفْرَاء ، وأرْوى ،
ورَيَا ، وفاطمة ، ومَيَّة ، وعُلوة ، وعائشة ، والرباب ، ومُجمل ، وزينب ،
ونُعْم ، وأشباههن .

ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي ، أنشده الأصمعي :

وما كان طيِّباً حُبِّها غَيْرَ أَنَّهُ يُقَامُ بِسَلْمَى لِلقَوافي صُدُورُهَا^(١)

وأما عَزَّةٌ وبثينة فقد حاماها كثير وجميل ، حتى كأنما حرَّما على الشعراء . .
وربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة؛ إقامة للوزن، وتحلية للنسيب ،

كما قال جرير:

أَجْدَرُ رَوَاحُ القَوْمِ؟ بَلْ لَاتَ رَوَّحُوا نَعَمَ كُلُّ مَنْ يُعْنَى بِمُجْمَلٍ مُبْرَحٍ

ثم قال بعد بيت واحد :

إِذَا سَايَرَتْ أَسْمَاءُ يَوْمًا طَعْمَانًا فَأَسْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الطَّعْمَانِ أَمْلَحُ^(١)

ظَلِمْنَ حَوَّالِي خِيْدَرِ أَسْمَاءِ فَانْتَحَى بِأَسْمَاءِ مَوَارِئِ المِلاطِينِ أرواح

صَحَّ القَلْبُ عَنِ أَسْمَاءٍ وَقَدْ بَرَّحَتْ بِهِ وَمَا كَانَ يَلْتَقِي مِنْ تَمَاضِرِ أَبْرَحٍ

وأما قول السيد الحميري :

ولقد تكونُ بها أوانس كالدمى هُند وعَبْدَةُ والرباب وبَوْزَعٍ

فإنه ثقيل من أجل بَوْزَعٍ .

وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير ، فما ظنك بالسيد الحميري؟

وكما كانت اللفظة أخلى كان ذكرها في الشعر أشهى ، اللهم إلا أن يكون الشاعر لم

يُزَوِّرُ الأَسْمَ ، وإنما قصد الحقيقة لا إقامة الوزن؛ فحينئذ لا ملامة عليه، ما لم يجد في

الكنية مندوحة . .

وقال يزيد بن أم الحكم :

(١) الطب : العادة والسجية ، وقال الشاعر :

وما إن طبناجين ، ولكن منايانا ودولة آخرينا

(٢) يروى * . . . طعينة . . . من تلك الطعينة . . .

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبِ مَعْمُودًا إِذَا أَقْرَلَ صَحَا يَعْتَادُهُ عَيْدًا
 كَانَ أَحْوَرَ مِنْ غِرِّ لَانَ ذِي بَقْرِ أَهْدَى لِعَائِشَةَ الْعَيْنِينَ وَالْجَيْدَا
 على أن بعضهم رواه «أهدى لها شبهة العينين» وهو أجود لا محالة ، ومثل
 هذا كثير في أشعار القدماء ، ولست أرى مثله من عمل المحدثين صوابا ،
 ولا علمته وقع لأحد منهم ، إلا ما ناسب قول السيد المتقدم آنفاً ، وقول أبي
 تمام الطائي :

وإن رحلت في طعنهم وحدووجهم زيانب من أحبابنا وعواتك

من عيوب
 هذا الباب

ومن عيوب هذا الباب أن يكثر التغزل ويقل المديح ، كما يحكى عن شاعر
 أتى نصر بن سيار بأرجوزة فيها مائة بيت نسيبا وعشرة أبيات مديحا ، فقال
 له نصر : والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا إلا وقد شغلته عن مديحي
 بنسيبك ، فإن أردت مديحي فاقصد في النسيب ، فغدا عليه فأنشده :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لَأَمْ عَمِرُو؟ دَعْ ذَا وَحَبْرٌ مَدْحَةٌ فِي نَصْرِ

فقال نصر : لا هذا ولا ذاك ، ولكن بين الأمرين .

فأما مذهبه الأول في طول النسيب وقصر المديح فإن نصيبا اتبعه فيه ، ولكن
 ذلك منه إنما كان على اقتراح في القصيدة التي مدح بها بنى جبريل ، وأما المذهب
 الثاني فانتحلّه أبو الطيب في قوله :

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَيْمٌ وَمِنْ بَجْسِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ

ثم خرج إلى المدح في البيت الثاني .

ويعاب على الشاعر أن يفتخر أو يتعاطى [فوق] قدره ، كما أخذ على
 عباس قوله :

فإن تقتلونني لا تفتوتوا بمهجتى مَصَالِيَتَ قَوْمِي مِنْ حَنِيفَةٍ أَوْ عَجَلِ

وعيب على الفرزدق وهو صميم بنى تميم قوله :

يَأخْتِ نَاجِيَةَ بِنِ سَامَةَ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِيَّ إِنْ طَلَبُوا دُمِي
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ النَّسِيبُ الَّذِي يَصْنَعُ مَجَازَا كَالَّذِي فِي بَسْطِ الْقَصَائِدِ ،
فَإِنْ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَلَا مَكْرُوهَ فِيهِ .

وسمع ابنُ أبي عتيق قولَ ابنِ أبي ربيعة الخزومي :

بَيْنَمَا يَنْعَتَنِي أَبْصَرَ نِيَّ دُونَ قَيْدِ الْمَيْلِ يَعْدُو بِي الْأَعْرَ
قَالَتِ الْكُبْرَى : أَتَعْرِفُنَ الْفَتَى ؟ قَالَتِ الْوَسْطَى : نَعَمْ ، هَذَا عَمْرُ
قَالَتِ الصَّغْرَى وَقَدْ تَيْمَمْتُهَا : قَدْ عَرَفْنَاهُ ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمْرُ ! ؟
فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ لَمْ تَنْسُبْ بِي ، وَإِنَّمَا نَسَبْتَ بِنَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ
أَنْ تَقُولَ : قَالَتْ لِي فَقُلْتُ لَهَا ، فَوَضَعْتَ خَدِي فَوَطَّئْتَ عَلَيْهِ .

وكذلك قال له كثير لما سمع قوله :

قَالَتْ لَهَا أُخْتَهَا تَعَاتِبُهَا : لَا تُفْسِدَنَّ الطَّوْافَ فِي عَمْرٍ
قَوْمِي تَصَدَّقِي لَهُ لِأَبْصَرِهِ ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتُ فِي خَفَرٍ
قَالَتْ لَهَا : قَدْ غَمِزْتَهُ فَأَبِي ثُمَّ اسْبِطْرَتِ تَشْتَدُّ فِي أُثْرِي

أهكذا يقال للمرأة ؟ ؟ إنما توصف بأنها مطلوبة ممتنعة .

قال بعضهم - أظنه عبد الكريم - : العادة عند العرب أن الشاعر هو
المتغزل المماوت ، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة المخاطبة ، وهنادليل
كرم النجيزة في العرب وغيرها على الحرم .

وعاب كثير على نصيب قوله :

أَهِيْمُ بَدْعِدِ مَا حِيَّتْ ، فَإِنْ أَمْتُ فَيَا لَيْتَ شَعْرِي مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي
حتى إنه قال له : كأنك اغتممت لمن يفعل بها بعدك ، وهو لا يكتفى . .
ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب - وقد دخل على علي بن عبد الله بن
جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو

محبوس - فقال: أين هذا الجعفرى الذى يَتَدَيَّثُ فى شعره؟ قال على: فعلت أنه يريدنى لقولى:

ولما بدَا لى أنها لا تحبى وأنَّ هَوَاهَا ليس عنى بمُنْجَلِي
تمنيت أن تهوى سواى ، لعلها تذوق صبايات الهوى فترقَّ لى
فما كان إلا عن قليل وأشغفت بحبِّ غَزَالٍ أدعج الطرف أ كحل
وعذبها حتى أذاب فؤادها وذوَقَهَا طَعْمَ الهوى والتذلل
فقلت لها: هذا بهذا ، فأطرت حِيَاءً ، وقالت: كل من عايب ابْتلى
فقلت: أنا هو جعلت فداك ، وأنا الذى أقول فى الغيرة:

ربما سرنى صدودك عني وطلابيكِ وامتناعك مني
حدراً أن أكون مفتاح غيرى فإذا ما خلوت كنت التمنى

ويعاب ما ناسب قول الآخر ، وهو جميل:

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلى
لأن الصواب قول عباس ، أو مسلم:

أبكى وقد ذهب الفؤاد ، وإنما أبكى لفقدي لا لفقدي الذهاب

طرد
الخيال

فأما طرد الخيال والمجازاة فى المحبة فهو مذهب مشهور ، وقد ركبته جلة الشعراء ، ورواه رواية: منهم طرفة ، ولييد ، ثم جرير ، ثم جميل ، فقال طرفة ، وهو أول من طرقه:

فقلْ خيَالِ الحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إليها ، فإنى واصل حبل من وصل
وقال لمبيد فى مثل ذلك:

فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشتر واصل خلة صرامها
يقول: اقطع المزار من تعرض وصله للقطيعة - ويقال: تعرض الشيء ، إذا فسد ، حكاة الخليل - فإن شر من وصلك من قطعك بلا ذنب ، يريد

الذي تعرض وصله ، ومن الناس من رواه * وخير واصل خلة صرامها *
يقول : إن خير مَنْ وصل الخلة من قطعها باستحقاق ، يعني نفسه ..

وقال جرير

طَرَقْتِكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ ، وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزِّيَارَةِ ، فَأَرْجِي بِسَلَامٍ
عَلَى أَنْ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مُحْرِمًا ، فَلِذَلِكَ طَرَدَ الْخِيَالَ ، كَأَنَّهُ تَجَرَّجَ وَلَيْسَ
طَرْدَ عَتَبٍ .

وقال جميل :

وَلَسْتُ - وَإِنْ عَزَّتْ عَلِيٌّ - بِقَائِلٍ لَهَا بَعْدَ صَرِيمٍ : يَا بُثَيْنُ صَلِينِي
وَجَرَى عَلَى سَنَنِ هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ ، وَاعْتَقَدُوا هَذَا الْمَذْهَبَ قَوْلًا
وَفِعْلًا ، حَتَّى تَعْدَاهُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْقَتْلِ ، مِثْلَ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ رَغْبَانَ ، وَنَصْرِ
الْخَابِزِ أَرَزْ (١) وَمَنْ شَا كُلَّهُمَا مِنَ الشُّطَارِ ، إِلَّا أَنْ أَصَلَ هَذَا الْمَذْهَبَ عِنْدَ
قِدَامَةِ فَاسِدٍ ، وَعَابَ عَلَى نَابِغَةَ بَنِي تَغْلِبٍ - وَاسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَدْوَانَ ، أَحَدَ بَنِي
زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلِبٍ - قَوْلَهُ :

بَجَلْنَا لِبِخْلِكَ لَوْ تَعْمَلِينَ وَكَيْفَ يَعْيبُ بِجَيْلٍ بِجَيْلًا ؟
لأن الواجب عنده في التغزل أن يكون على خلاف هذا ، وكل ما لا يليق
بالحُبُوبِ فَهُوَ مَكْرُوهٌ فِي بَابِ النَّسِيبِ .

قالت عزة لكثير يوماً - ويقال بثينة - ما أردت بنا حين قلت :

وَدِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَنْكَ بَكْرَةٌ وَأَنْيَّ هِجَانٌ مُصْعَبٌ مُمَّ نَهْرُبُ
كَلَانَا بِهِ عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقْلُ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ
نَكُونُ لَدِي مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نُظَلَبُ

من الأمانى
غير المقبولة

(١) هو الخبززي .

إذا ما وردنا منهلًا صحاح أهلنا ، فلا ننفك نرمتي ونضرب
 لقد أردت بنا الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ ! فخرج من
 عندها خجلًا

وإنما اقتدى بالفردق حيث يقول ، وهذا من سوء الاتباع :

ألا ليتنا كنا بغيرين لا نرذ على حاضرٍ إلا نسلُّ ونقذف
 كلانا به عرثٌ يخافُ قِرافهُ على الناسِ مَطْلَى الأشاعرِ أخشفُ
 بأرضٍ خلاءٍ وحدنا وثيابنا من الرِيْطِ والديباحِ درعٌ وملحفُ
 ولا زادٍ إلا فضلتان : سِلافهُ وأبيضُ من ماء الغامةِ قرقفُ
 وأشلاه لحم من حُبَارَى يصيدُها إذا نحنُ شدنا صاحبٌ متألفُ
 لنا ما تمنينا من العيشِ مادعًا هديلاً بنعانٍ حَمَامٍ هتفُ

وإذا كان بغيراً فما هذه الأمنية التي كلها للحيوان الناطق ؟ لولا أنه ردها إلى
 نفسه حقيقة ، وإلا فما أملح الجملَ نَشْوَانِ بصيدِ الحُبَارَى بالبازي .
 ومعاب هذا الباب كثيرة ، وفيما قدمت منها دليل على باقيها .

اشتقاق
 التشبيب

واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبية ، وأصله الارتفاع ، كأن
 الشباب ارتفع عن حال الطفولية ، أو رفع صاحبه ، ويقال : شبَّ الفرسُ ، إذا
 رفع يديه وقام على رجليه .

قال الجاحظ : يقال شَبَّتِ النارُ شَبوباً ، وشَبَّ الفرسُ بيديه فهو يشب
 شبياً ، ويقال : مالكٌ عَضاضٌ ولا شباب ، انقضى كلامه .

وجوز أن يكون من الجلاء ، يقال : شبَّ الخمارُ وَجَهَ الجارية ، إذا جلاه
 ووصف ما تحته من محاسنه ؛ فكأن هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في صفته
 إياها وجلاها للعيون ، ومنه الشب الذي يحتلى به وجوه الدنانير ، ويستخرج
 غشها ، ومنها : شبيت النار ، إذا رفعت سننها وزدتها ضياء .

وأشد الأصبى لعكاشة بن أبي مسعدة :

* يَدْفَعُ عَنْهَا كُلَّ مَشْبُوبٍ أَغْرَ *

قال : المشبوب الذى إذا رأيتَه فزَعَتَ لحسنه . . قال ابن دريد : شببت فى الشعر شبيباً ، مثل نسبت نسيباً ، والنسيب أكثر ما يستعمل فى الشعر .

(٧٤) - باب فى المدح

سبيل الشاعر
فى المدح

وسبيل الشاعر - إذا مدح ملكاً - أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقيية ، غير مبتذلة سوقية ، ويحتمل - مع ذلك - التقصير والتجاوز والتطويل ؛ فإن الملك سامة وضجراً ، ربما عاب من أجلها ما لا يعاب ، وحرّم من لا يريد حرمانه ، ورأيت عمل البحرى - إذا مدح الخليفة - كيف يُقلُّ الأبيات ، ويبرز وجوه المعانى ، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته ، وبلغ مراده .

وقد حكى عن عمارة أن جدّه جريراً قال : يا بَنِيَّ ، إذا مدحتم فلا تطيلوا للمادحة ؛ فإنه ينسى أولها ، ولا يحفظ آخرها ، وإذا هجوتم فخالفوا .

قال عبد الكريم : وهذا ضد قول عقيل بن عُلقمة المرادى ، وحكى غيره قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم ، فقال له عبد الرحمن : أبا فراس ، دعنى من شعرك الذى ليس يأتى آخره حتى يُنسى أوله ، وقال : قل فى بيتين يعلقان بالرواة ، وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلى ، فغدا عليه وهو يقول :

وأنت ابن بطحَاوى قُرَيْشٍ ، وإن تشأ

تَكُنْ من ثَقِيفِ سَيْلِ ذِي خَدْرِ غَمْرٍ (١)

(١) فى الديوان « تنل من ثقيف سبيل ذى حدب غمر » .

وأنت ابنُ سَوَّارِ اليدين إلى العلى
تكفت بك الشمسُ المضيئةُ للبدرِ^(١)
فقال : أحسنت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وإذا كان الممدوح ملكاً لم يبال الشاعر كيف قال فيه ، ولا كيف
أطرب ، وذلك محمود ، وسواء المذموم ، وإن كان سوقة فإياك والتجاوز به
خطته ؛ فإنه متى تجاوز به خطته ؛ كان كمن نقصه منها ، وكذلك لا يجب أن
يقصر عما يستحق ، ولا أن يعطيه صفة غيره ؛ فيصف الكاتب بالشجاعة
والقاضي بالحلمة والمهابة ، وكثيراً ما يقع هذا لشعراء وقتنا ، وهو خطأ ، إلا أن
تصحبه قرينة تدل على صواب الرأي فيه ، وكذلك لا يجب أن يمدح الملك
ببعض ما يتجه في غيره من الرؤساء ، وإن كان فضيلة .

وذلك مثل قول البحترى يمدح المعتز بالله :

لا العذلُ يرَدُّعُه ولا التَّعْنِيفُ عن كرمِ يَصُدُّه
فإنه مما أنكره عليه أبو العباس أحمد بن عبد الله ، وقال : مَنْ ذا يعنف
الخليفة على الكرم أو يصدده ؟ هذا بالهجاء أولى منه بالمدح .

وعيب على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان :

وقد جعلَ اللهُ الخِلافةَ منهمُ لأبيض لا عارى الخِوان ولا جَدْب
وقالوا : لو مدح بها حَرَسِيًّا لعبد الملك لكان قد قصَّرَ به .

قلت أنا : وإن كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى ، كقول

ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير :

يلبسُ الجيشَ بالجِوشِ ويسقى لبِنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلنجِ
لأن هذا - وإن لم يعدُّ به ممدوحة العرب في سقى اللبن - فقد زاده رتبة عرف
بها أنه ملك . وأجود منه في معناه قولُ حسان في آل جَفَنَةَ :

(١) في الديوان :

وأنت ابن فرج ماجد لعقيلة تلقت له الشمس المضيئة بالبدر

يَسْتَقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
ويروى « مسكا » .

وعابوا على الأحوص قوله للملك :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

فقالوا : إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإنما تمدح
بالإعراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبدله .
ومن هذا النوع قول كثير :

رَأَيْتَ ابْنَ لَيْلَى يَعْتَرِي صَلْبَ مَالِهِ مَسَائِلُ شَتَّى مِنْ غَنَى وَمُضْرِمِ

مَسَائِلُ إِنْ تَوَجَّدَ لَدَيْكَ تَجَدُّ بِهَا يَدَاكَ ، وَإِنْ تُظَلِّمَ بِهَا تَتَّظَلَّمُ

لأن هذا إنما يقع لمن دون الخليفة والملك ، وإنما أخذه من قول زهير في هَرَمِ
أَبْنِ سَنَّانٍ ، وَلَيْسَ بِمَلِكٍ ، وَلِذَلِكَ حَسَنُ قَوْلِهِ :

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا ، وَيُظَلِّمُ أَحْيَانًا فَيُظَلِّمُ

يريد أنه يُسألُ أَحْيَانًا مَا لَيْسَ قَبْلَهُ فَيَحْتَمِلُهُ ، هَذَا ، وَقَدْ قَالَ الصَّوْلِيُّ فِي

شرح قول^(١) حبيب :

لَوْ يَفَاجِي رُكْنَ الْمَدِيحِ كَثِيرًا بِمَعَانِيهِ خَالِهِنَ^(٢) نَسِيبًا

طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالْتَدُّ ، حَتَّى فَاقَ وَصَفَ الْدِيَارِ وَالنَّشِييبَا

سألت عون بن محمد الكندي : لم خص كثيرا ؟ فقال : سمعته يقول : أمدح

الناس زهير والأعشى ، ثم الأخطل وكثير .

(١) البيتان في الديوان (ص ٢٦) بتقديم الثاني على الأول من قصيدة يمدح

بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثعري .

(٢) رواية الديوان * لوفادى ذكر المديح كثيرا * وكان في الأصول

كلها « بمعانين » وهو خطأ ، وبه ينكسر وزن البيت .

وحكى غير الصولى أن مروان بن أبى حفصة كان يقدم كثيراً فى المدح على جريرو والفرزدق .

ومما قدم به زهير قوله :

لو كان يقعدُ فوقَ النجمِ من كرمِ قومٍ بأولهم أو مجدهم قعدوا
 قومٌ سنانُ أبوم حين تَنسُبُهُم طابوا وطابَ من الأولاد ما ولدوا
 إنسٌ إذا أمنوا، حين إذا فزعوا، مرزأونَ بهاليلٍ إذا جهدوا
 مُحسَدونَ على ما كان من نعمٍ لا ينزعُ اللهُ عنهم ماله حسدوا

ويروى * غرُّ بهاليل فى أعناقهم صيدٌ * وقدمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال فى كتابه نقد الشعر : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك ؛ إنما هى العقل والعفة والعدل والشجاعة ؛ كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا ، وبما سواها مخطئاً .

فقال زهير :

أخى ثقةً لا يهلكُ الخمرُ مالهَ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نَادُهُ
 لأنه قد وصفه بالعفة لقلته إمعانه فى اللذات وأنه لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء لإهلاكه ماله فى النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العقل ، ثم قال :

تراد إذا ما جئته مُتهللاً كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أراد أن فرحه بما يعطى أكثر من فرحه بما يأخذ ، فزاد فى وصف السخاء منه : بأن جعله يهش ، ولا يلحقه مَضض ، ولا تَكَرُّهُ لفعله . ثم قال :

فمن مثل حِصْنٍ فى الحُرُوبِ ومثله لِإنكارِ ضميمٍ أو لخصمٍ يُجَادِلُهُ

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوفى ضروب المدح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة ، وزادها ما هو وإن كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس من لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال « أخى ثقة » فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمنا ، وقد تفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها وكل داخل في جلته مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ، والصدع بالحجة ، والعلم ، والحلم عن سفاهة الجهلة ، وغير ذلك مما يجري هذا الجرى ، وهي من أقسام العقل ؛ وكذا كرم القناعة ، وقلة الشهوة ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك ، وهي من أقسام العفة ؛ وكذا كرم الحماية ، والأخذ بالثأر ، والدفع عن الجار ، والنكاية في العدو ، وقتل الأقران ، والمهابة ، والسير في المهامه والتفقر الموحشة ، وما شاكل هذا ، وهو من أقسام الشجاعة ؛ وكذا كرم السماحة ، والتغابن ، والانضمام ، والتبرع بالنائل ، والإجابة للسائل ، وقري الأضياف ، وما جانس هذه الأشياء ، وهي من أقسام العدل .

وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملهات ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإيعاد ؛ وعن تركيب العقل مع السخاء البر ، وإنجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب العقل مع العفة التنزه ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف ، والإخلاف ، وما جانس ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم ؛ وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ، وما شاكل ذلك .

قال : وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسَطَّ بين طرفين مذمومين .

مدح أبو العتاهية عمر بن العلاء ^(١) فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم ، فغار الشعراء لذلك ، فجمعهم ثم قال : عجبا لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض ، إن أحدكم يأتينا لمدحنا فينسب في قصيدته بصديقتة بخمسين بيتا فما يبالغنا حتى تذهب لذادة مدحه ورونق شعره ، وقد أتى أبو العتاهية فنسب في أبيات يسيرة . ثم قال :

إني أمنتُ من الزمانِ وربِّه لما علقتُ من الأميرِ حبَّالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لحدَّوا له حرَّ الحدودِ نعالاً
إن المطايا تشتكيك ؛ لأنها قطعتُ إليك سباسباً ورمالاً
فإذا وردنَ بنا وردنَ خفافاً وإذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقالاً ^(٢)

ومن مליح ما لأبي العتاهية في المدح قوله :

فتى ما استغاد المال إلا أفاده سواء كأن الملك في كفه حلم
إذا ابتسم المهدي نادى يمينه : ألا من أتانا زائراً فله الحكم
وله أيضاً في معنى بيتي الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم ^(٣) :

(١) كان عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي مدحا ، ومدحه أبو العتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعض الشعراء ؛ وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفي ؟ وأى شيء مقدار شعره ؟ !! فبلغه ذلك ، فأحضر الرجل وقال : إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ، ويتعاطاه فلا يحسنه ، حتى يشب بخمسين بيتا ، ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأن المعاني تجمع له ، مدحني فقصر التشبيب ، ثم قال . . . وذكر الأبيات التي أنشدها المؤلف ، هذه رواية الأغاني هذا ، وقد اتفقت نسخة الأغاني في ترجمة أبي العتاهية (٣ / ١٤٤) و ترجمة بشار (٣ / ٤٦) على أنه « عمرو » بفتح العين وبالواو ، مع ذكر أبيات بشار فيه ستأتي في ص ١٨٤ من هذا الجزء ولا تستقيم إلا بقراءته بضم العين وفتح الميم .

(٢) في الأغاني (٣ / ١٤٤ بولاق) « فإذا وردن بنا ووردن محفة » وقال :

أخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

(٣) انظر ص ١٢٨ و ١٢٩ من هذا الجزء .

فَمَا مِثْلُ بَيْتَيْهِ فِي الْعَالَمِينَ أَعَزُّ بِنَاءً وَلَا أَرْفَعُ
فَبَيْتٌ بِنَاهُ لَهُ هَاشِمٌ وَبَيْتٌ بِنَاهُ لَهُ تَبَعٌ
وَلَوْ حَاوَلَ الدَّهْرُ مَا فِي يَدَيْهِ لَعَادَ وَعِرْنَيْنُهُ أَجْدَعُ

ومن المديح المنصوص عليه قول زهير :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهُمَا وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَإِنْ جِئْتَهُمُ الْفَيْتَ حَوْلَ بِيُوتِهِمْ مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
عَلَى مُكْثَرِيهِمْ حَقٌّ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُتَلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَدْلُ
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَسَكَى يُدْرِكُوهُمْ فَلَمْ يَقْعَلُوا وَلَمْ يُلِيمُوا وَلَمْ يَالُوا
فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَتْهُ آبَاهُ آبَاءُهُمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتَغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ
وَكذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
لَيْثٌ بَعَثُ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا
يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طَعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقًا
فَضَّلَ الْجَوَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ فَلَا يُعْطَى بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزَقًا
هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَعْصِي بِخُطْبَتِهِ وَسَطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقًا
لَوْ نَالَ حَتَّى مِنْ الدُّنْيَا بِمَكْرُمَةٍ أَفُقَ السَّمَاءَ لَنَالَتْ كَفَّهُ الْأَفْقًا

وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما اختاره قدامة وغيره ، وكذلك ماناسب حسن الروية ، وسرعة الخاطر بالصواب ، وشدة الحزم ، وقلة الغفلة ، وجودة النظر للخليفة ، والنيابة عنه في المنعِلات بالرأى أو بالذات ، كما قال أبو نواس :

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَإِنَّمَا كَفَيْتَهُ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ بِالْكَفِّ تَشِيرُ

ما يمدح به
الكاتب
والوزير

وبأنه محمود السيرة ، حسن السياسة ، لطيف الحس ، فإن أضاف إلى ذلك
البلاغة ، والخط ، والتفنن في العلم ؛ كان غاية .

وأفضل ما مدح به القائد : الجود ، والشجاعة ، وما تفرع منهما ، نحو ما يمدح به القائد
التخرق في الهيئات ، والإفراط في النجدة ، وسرعة البطش ، وما شاكل ذلك .
ويمدح القاضي بما ناسب العدل والإنصاف ، وتقريب البعيد في الحق ،
وتباعد القريب ، والأخذ للضعيف من القوى ، والمساواة بين الفقير والغني ،
وانبساط الوجه ، ولين الجانب ، وقلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج
الحقوق ، فإن زاد إلى ذلك ذكر الورع ، والتحرج ، وما شاكلهما ، فقد
بلغ النهاية .

وصفات القاضي كلها لاثقة بصاحب المظالم ، ومن كان دون هذه الثلاث^(١)
الطبقات سوى طبقة الملك فلا أرى لمدحه وجها ، فإن دعت إلى ذلك ضرورة
مدح كل إنسان بالفضل في صناعته ، والمعرفة بطريقته التي هو فيها ، وأكثر
ما يعول على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة ، فإن أضيف إليها فضائل
عرضية أو جسمية : كالجمال ، والأبهة ، وبسطة الخلق ، وسعة الدنيا ، وكثرة
العشيرة ؛ كان ذلك جيداً ، إلا أن قدامة قد أبى منه ، وأنكره جملة ، وليس
ذلك صواباً ، وإنما الواجب عليه أن يقول : إن المدح بالفضائل النفسية
أشرف وأصح ، فأما إنكار ما سواها كرامة واحدة فما أظن أحداً يساعده فيه ،
ولا يوافقه عليه .

وقد كره الخذاق أن تمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات وروى لغيره :

(١) هذا استعمال كوفي ، وقد قال عنه الزمخشري : إنه « بمعزل عن الصواب »
والصحيح عند البصريين أن يقال « ثلاث الطبقات » فيعرف المعدود ويضيف
إليه العدد .

لَيْسَ فِيهَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنْكَ فَاثِي (١)
أَنْتَ نَعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَبَقَاءَ لِلنَّاسِ

وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام ، وهو الخليفة ، يريد الصلاة ، ونظر في المرأة فأعجبته جماله ، وكان حسن الوجه ، فقال : أنا الملك الشاب ، ويروي « الفتى » فتلقته إحدى حظاياها ، فقال لها : كيف ترينني ؟ فتمثلت بالبيتين المتقدم ذكرهما ، فتطير بهما ورجع ، فخم فما بات إلا ميتاً تلك الليلة .

سليمان بن
عبد الملك
يعجبه جماله

وروى عن بعض الملوك أنه قال : ما لهؤلاء الشعراء قاتلهم الله ، ربما ذكرونا شيئاً نحن أكثر ذكراً له منهم فينغصون به علينا أوقات لذتنا !! ؟ يعني بذلك الموت .

ومن أشنع ما في ذلك قول أبي تمام :

فَلَيْطُلَّ عَمْرُه فُلُومَاتٍ فِي طَوْسٍ مَقِيَا لَمَاتٍ فِيهَا غَرِيْبَا

فما الذي دعاه إلى ذكر الموت ههنا إلا النكد والنفاضة ؟ .

أجمع الناس على تقديم قول كعب بن زهير يمدح رسول الله صلى الله

عما يقدم قول
كعب بن زهير
في الرسول

عليه وسلم :

تَحْمَلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِيًّا لَيْلَةَ الظُّلْمِ

وَفِي عِطَافَيْهِ أَوْ أَثْنَاءَ رَبِطَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمٍ

والجهال يروون البيت الأول لأبي دهبيل الجمحي ، ويناسبه قول

العجاج :

يَحْمِلُنَ كُلَّ سُودِدٍ وَفَخْرٍ يَحْمِلُنَ مَا نَذْرِي وَمَا لَا نَذْرِي

قال الأصمعي : وأصله قول الحارث بن حلزة :

(١) البيتان في الأغاني (٣ / ١٢٢ بولاق) منسوبين لموسى شهوات ، يقولهما في عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان موسى قد سأل بعض آل الزبير حاجة فدفعها عنها ، وقضاها له عبد الله بن عمرو بن عثمان من غير مسألة منه .

وفعلنا بهم^(١) كما علم الله وما إن للحائنين دِماء
قال : ولم يقل قطُّ شاعر « كما يعلم » أحسن من هذه الثلاثة المعاني^(٢) .

قال أبو العباس المبرد : من الشعراء من يجمل المدح ، فيكون ذلك وجهاً
حسناً ؛ لبلوغه الإرادة مع خلوه من الإطالة ، وبعده من الإكثار ، ودخوله
في الاختصار .

وذلك نحو قول الخطيئة^(٣) :

للخطيئة

تُزور فتى يُعْطِي على الحمدِ مالهُ وَمن يُعْطِ أثمانَ المكارمِ يُحمَدِ
تُزور فتى يُعْطِي على الحمدِ مالهُ وَيَعْلَمُ أن المرءَ غيرُ مُخلدِ
يَرى البخلَ لا يُبقي على المرءِ مالهُ وَيَعْلَمُ أن المرءَ غيرُ مُخلدِ
ورواه غيره * أن المال غير مُخلد * .

كسوبٌ ومُتلافٌ إذا ما سألته تهلّلَ وأهتزَّ أهتزَّ أَر المهنّدِ
متى تأتيه تَعشُو إلى ضوءِ ناره نَجِدُ خيرَ نارٍ عِنْدَها خيرُ مُوقِدِ

(١) سقط لفظ « بهم » من الصريتين ، وهو كما ترى ، وورد الشطر الثاني
فيهما * وما إن للحائنين ذماء * على أن الحائنين بالحاء المعجمة جمع حائِن ؛
وذماء بالذال معجمة أيضاً ، والصواب أن الحائنين بالحاء مهملة جمع حائِن وهو
الهالك وفعله حان يحين حيناً ، ودماء بكسر الدال مهملة ، والمعنى وفعلنا بهم فعلا
بليغا لا يحيط به إلا علم الله تعالى ، ولا دماء للمتعرضين للهلاك ، أى : لم يطلب
بئارهم ودمائهم .

(٢) سبق (في ص ١٣٥) الاعتراض على هذا التعبير .

(٣) هكذا وردت رواية الأبيات في أصول هذا الكتاب ، والبيت الثاني
منها لا وجود له في الديوان (ص ٢٤) ولا معنى لبقائه قط ؛ لأنه من زيادات النساخ
لا غير إذ هو عبارة عن تكرير صدر الأول وعجز الثالث .

تصرف في أبياته هذه في أصناف المديح ، وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاقتصار في البيت الأخير .

ومثله قول الشماخ :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْعَلِيَاءِ ^(١) مَنْقَطَعِ الْقَرِينِ
إِذَا مَارَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

انتهى كلامه .

لشماخ

ومن أفضل مامدح به الملوك وأكثره إصابة للغرض ما ناسب قول ابن هرمة للمنصور :

لَهُ لِحْظَاتٌ عَنْ حِفَافِي سَرِيرِهِ ^(٢) إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ
فَأُمُّ الذِي أَمَّنْتَ آمَنَةَ الرَّدَى وَأُمُّ الذِي أَوْعَدْتَ بِالْأَسْكَالِ ثَاكِلٌ ^(٣)

وقول أبي العتاهية في مدح الهادي :

يَضْطَرُّ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا حَرَّكَ مُوسَى الْقَضِيبَ أَوْ فِكْرَا
وَكذَلِكَ قَوْلُ الْحَزِينِ السَّكَنَانِي فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَدْ وَقَدَّ عَلَيْهِ بِمِصْرَ ، وَيُرْوَى لِلْفَرَزْدَقِ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَقِيلَ : بَلْ قَالَهَا فِيهِ الْعَيْنُ الْمُنْقَرِي ، وَقِيلَ : بَلْ الْأَبْيَاتُ لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمَةَ ^(٤) فِي قُشَمِّ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَانَ رِيحُهُ عَيْقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم : من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النيرى في أمير المؤمنين الرشيد :

الشعراء
بباب المعتصم

(١) في الديوان (ص ٩٦) « إلى الخيرات » .

(٢) المصريتين « خفافى » وهو تصحيف .

(٣) في المصريتين « فأما . . وأما » وهو تحريف .

(٤) في سائر الأصول « داود بن مسلم » تحريف ، وانظر ج ٢ ص ٢٥ من

إن المسكارم والمعروف أوديةٌ أحلَكَ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
 إِذَا رَفَعْتَ امْرَأً فَاللهُ رَافِعُهُ وَمِنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّضِعُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللهِ مَعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
 إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تُخْلِفْ أَنْامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرُهُ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسَعُ
 فليدخل ، فقال محمد بن وهب : فينا من يقول خيراً منه ، وأنشد :

ثلاثة تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ^(١)
 يَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كِلِّ نَائِلَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمَامَةُ الذِّكْرُ
 فأمر بادخاله وأحسن صلته .

أمدح
 بيت

قالوا : لما حضرت الخطيئة الوفاة قال^(٢) : أبلغوا الأنصار أن أخام أمدح
 الناس حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُرُ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ
 قال ثعلب : بل قول الأعشى :
 فَتَى لَوِيبَارِي الشَّمْسِ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرَ السَّارَى لِأَثْقَى الْمَفَالِدَا
 أمدح منه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بل بيت جرير :

السُّمُّ خَيْرٌ مِنْ رَكِبِ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ
 أَسِيرٌ مَا قِيلَ فِي الْمَدْحِ وَأَسْهَلُ .

وقال غيره : بل قول الأخطل :

شَمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

وقال دعبل : بل قول أبي الطمَّحان القَيْنِي :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَمَ الْعِقْدَ ثَاقِبَهُ^(٣)

(١) حفظى «تشرق الدنيا بطاعتهم» (٢) في المصريتين «قالوا» وليس بشيء .

(٣) حفظى * ... حتى نظم الجزع ثاقبه *

قال : وقد تنازع في هذا البيت - يعني بيت أبي الطمحان - قوم ، وفي بيت
حسان في آل جفنة ، وبيت النابغة :

فإنك شمسُ والملوك كواكبُ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ
وبيتُ أبا الطمَّحان أشعرُها .

قال الخاتمي : بل بيت زهير :

تراه إذا ماجتْهُ مُتَهَلِّلاً كأنك تُعْطِيهِ الذِي أَنْتَ سائله

وحكى على بن هارون عن أبيه أنه قال : أجمع أهل العلم على أن بيتي أبي
نُوَاس أجود ما للمولدين في المدح ، وهما قوله :

أنتَ الذي تأخذ الأيدي بِحُجْرَتِهِ إذا الزمان على أبنائه كَلَحَا
وكَلَّتْ بالدهرِ غَيْمًا غَيْرَ غافِلَةٍ من جُودِ كَفِكَ تَأْسُوكُلِّ ما جَرَحَا

روى الخاتمي عن محمد بن عبد الواحد عن أحمد بن يحيى قال : سمعت ابن

الأعرابي يقول : أمدح بيت قاله مولدٌ قول أبي نواس :

تَغَطَّيْتُ من دَهْرِي بظِلِّ جَناحِهِ فَعَيْني ترى دَهْرِي وليس يراني
فلو تسأل الأحداثُ عني ما دَرَّتْ وأين مكاني ما عرفن مكاني

قال صاحب الكتاب : نحن إلى الإنصاف أحوج منا إلى المكابرة

والخلاف ، أبو نواس ذهب مذهباً لطيفاً يخرج له فيه العذر والتأويل ،

وإلا فما في صفة الخمول أشد مما وصف ، لا سيما على رواية من روى :

* فلو تسأل الأيام عني *

ومن جيد ما سمعته لمحدث - وأظنه لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان

ابن وهب ، ورأيت من يرويه لأبي الحسين أحمد بن محمد الكاتب - :

إذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ لم يحمد الأجدان : البَحْرُ والمَطْرُ
ولو أضاءت لنا أنوارُ غُرَّتِهِ تضامل النيران : الشَّمْسُ والقمر

وإن مضى رأيه أو حادَّ عزمته تأخر الماضيان : السيفُ والقَدَرُ
 من لم يبت حَذِرًا من خوفِ سَطْوَتِهِ لم يدر ما المرزحجان : الخوف والحذر
 ينال بالظنِّ ما يَعميَا العِيَانُ به والشاهدان عليه العَيْنُ والأثر
 كأنه وزمامُ الدهرِ في يده يرى عواقب ما يأتي وما يَدْرُ
 وقال خلف الأحمر : أغلب المدح أ كثره مَلَقًا كقول زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كأنك تُعْطِيهِ الذي أنت سائلُهُ
 أخو ثقةٍ لا يُهْلِكُ الخمرُ مَالَهُ ولكنه قد يهلك المالَ نَائِلُهُ
 غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدَوَةٌ فوجدته قعوداً لديه بالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
 يُفَدِّينَهُ طَوْرًا ، وطورًا يَلْمَنَهُ وأعيى فما يدرين أين نَحَاتِلُهُ
 فأعرضن منه عن كريم مُرَزِّبٍ عَزُومٍ على الأمر الذي هو فاعله
 وقال طُفَيْلُ الغنوى :

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلت بنا نعلمنا في الواطئين فزلت
 أبوا أن يملؤنا ولو أن أمنا تلاقى الذي لا قوه منا مللت

وقال الأصمعي : أخلب الشعر قول حمزة بن بيض :

تقولُ لي والعُيونُ هاجمة : أقيم علينا يوماً ، فلم أقيم
 أي الوجوه انتجعت ؟ قلت لها : لا أي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل حاجباً سُرَادِقِهِ هذا ابنُ بيضٍ بالباب يبتسم
 قد كنتُ أسلمتُ فيك مُقْتَبِلًا فهاتِ إذ حلَّ أعْطِنِي سَلَمِي

وسأل الرشيد المفضل الضبي : أي بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال :

أغرُّ أبلجُ تاتمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارُ
 هكذا روايته فيه .

قال شرحبيل بن معن بن زائدة : كنت أسير تحت قبة يحيى

ابن خالد ، وقد حج مع الرشيد ، وعديله أبو يوسف القاضي ، إذ

أتاه أعرابي من بني أسد كان يلقاه إذا حج فيمدحه ، فأنشده شعراً أنكر يحيى
منه بيتاً فقال : يا أخا بني أسد ، ألم أنهك عن مثل هذا الشعر ؟ ألا قلت كما
قال الشاعر :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ
هُمُ يَمْنَعُونَ الجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا
بِهَائِلُ فِي الإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
هُمُ القَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دَعَا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ
أُسُودٌ لَهَا فِي غَيْلِ خَفَانٍ أَشْبِلُ
لِجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاكِينَ مَنْزِلُ
كَأُولِهِمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
أَجَابُوا ، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

فقال أبو يوسف : لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه ؟ فقال
يحيى : يقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى ، وأوماً إلى ، فكان قوله أسر
إلى من جليل الفوائد ، ثم التفت إلى وقال : يا شرحبيل ، أنشدني أجود ما قاله
ابن أبي حفصة في أبيك ، فأنشدته :

نِعْمَ المَنَاخُ لِرَاغِبٍ وَلِرَاهِبٍ
مَعْنُ بِنُ زَائِدَةَ الذِي زِيدَتْ بِهِ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ اللِّقَاءِ فَإِنَّمَا
يَكْسُو الأَسِرَّةَ وَالمَنَابِرَ بِهَجَّةٍ
تَمَضَى أَسِنَّتُهُ وَيُسْفِرُ وَجْهَهُ
نَفْسِي فَذَاكَ أبا الوَلِيدِ إِذَا بَدَا
مَنْ تَصِيبُ جَوَاحِجِ الأَزْمَانِ
شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمَ طِعَانِ
وَيَزِينُهَا بِجَهَارَةٍ وَبِيَانِ
فِي الحَرْبِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الأَلْوَانِ
رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالرِمَاحِ دَوَانِ

فقال يحيى : أنت لا تدري جيد ما مدح به أبوك ، أجود من هذا قوله :

تَشَابَهَ يَوْمَاهُ عَلَيْنَا فَأَشْكَلَا
أَيُّومٌ نَدَاهُ القَمَرُ ، أَمْ يَوْمٌ بَأْسِهِ ؟
فَلَا نَحْنُ نَدْرِي أَىُّ يَوْمِيهِ أَفْضَلُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَغْرُ مُحَجَّلُ

بما عيب
في المديح

ومأ أخذ على الكميت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :
فاعتتب القول من فؤادى والشعر إلى من إليه مُعْتَبَب
إلى السراج المنير أحمد لا يَعْدِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهَبَ
عنه إلى غيره ولو رفع الناس إلى العيون وارتقبوا
وقيل : أفرطت ، بل قصدت ، ولو عَنَّفَنِي الْقَاتِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الْأَرْضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْعَيْبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ الضَّجَاجَ وَالصَّخْبَ
قالوا : مَنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَطْتَ ، أَوْ
يَعْنِفُهُ ، أَوْ يَثْلِبُهُ ، أَوْ يَعِيبُهُ ، حَتَّى يَكْثُرَ الضَّجَاجُ وَالصَّخْبُ ؟ !! وَهَذَا كُلُّهُ خَطَأٌ
مِنْهُ ، وَجَهْلٌ بِمَوَاقِعِ الْمَدْحِ ، وَقَالَ مَنْ احْتَجَّ لَهُ : لَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَإِنَّمَا أَرَادَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَرَى عَنْهُ بِذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفًا
مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ .

ومن الشعراء من ينقل المديح عن رجل إلى رجل ، وكان ذلك دأب البحتری ،
وفعله أبو تمام في قصائد معدودة ؛ منها :

* قَدْ كَ أَنْتَبَ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ *

نقلها عن يحيى بن ثابت إلى محمد بن حسان ، فأما الذى قال : « هُنَّ بِنِيَاتِي
أَنْكَحَهُنَّ مِنْ شَتَّى » فهو معذور إن لم يُثَبِّ ، فأما إن أثيب فذلك منه قلة
وفاء ، وفرطُ خيانية .

(٧٥) - باب الافتخار

والافتخار هو المدح نفسه ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل
ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار ؛ فمن
أبيات الافتخار قول الفرزدق :

يقال فيه
ما يقال في
المديح

أفخر بيت
قاله شاعر

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَامُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
قال أحمد بن يحيى : أفخرُ بيت قالته العرب قول امرئ^(١) القيس :
ما ينكرُ الناسُ منَّا حينَ نملكهم كانوا عبيدًا وكُنَّا نحنُ أربابًا ؟
وقال دعبل بن علي : أفخر الشعر قول كعب بن مالك :

و بيئرِ بدرٍ إذ يردُّ وجوههم جبريل تحتَ لوائنا ومحمد
وقال الحاتمي : قول الفرزدق :

تَرَى النَّاسَ إِنْ سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلَقْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْ مَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
قال : ويتلوه قول جرير :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا
وقال آخرون : بل بيت الفرزدق :

و نحن إذا عدتْ معدُّ قديمها مكان النواصي من وجوه السوابق
وقال غيرهم : بل قوله لجرير :

وإذا نظرت رأيت فوقك دارمًا والشمسُ حيثُ تقطع الأبصارًا
وقيل : بل قول ابن ميادة - واسمه الرماح بن أبرد - :

ولو أن قيسًا قيسَ عيلانٍ أقسمتْ على الشمسِ لم يطلعْ عليك حجابها
وأفخر بيت صنعه محدث عندهم بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً هتكنَّا حجابَ الشمسِ أو قطرتْ دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ ذراً منبرٍ صلتى علينا وسلماً
ويروى

* هتكننا سماء الله أو مطرت دما *

(١) لم أجد هذا البيت في ديوانه ، ولا عثرت عليه فيما نحلته امرؤ القيس .

ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مَنَا يَعِشُ بِحُسَامِهِ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
ونحنُ وصِفْنَا دونَ كلِّ قبيلةٍ ببأسٍ شديدٍ في الكتاب المنزَّلِ
وإنَّا لنلهو بالحروب كما همت فتاةٌ بعقدٍ أو سخابٍ قرَّ نفلِ

يعنى قول الله عز وجل : (قلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسِّ شَدِيدٍ) فدعوا في خلافة أبي بكر إلى قتال أهل الردة من بني حنيفة ، وبسبب هذا الشعر وأشباهه طلبه الرشيد أشد طلب ، وقال : كيف يفتخر على مضر ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر ؟ فهذا افتخار بالشجاعة خاصة .

ومن افتخر بالكثرة أوس ابن مفرء قال :

ما تطلعُ الشمسُ إلَّا عند أولنا ولا تغيَّبُ إلَّا عند آخرانا

وقد أنكر قدامة أن يمدح الإنسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه ؛
لأن كثيراً من الناس لا يكونون كأبائهم ، والذي ذهب إليه حسن .

وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله :

ما بقوى شرفُ بل شرفوا بي و بنفسى فخرتُ لا يجْدُودى

مما أنكره
الجرجاني

وإنما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول :

وما سوِّدَت عَجلاً ما تُرُّ غيرهم ولكن بهم سادت على غيرهم عجلُ

قال : وهذا معنى سوء يقصر بالمدوح ، ويغض من حسبه ، ويحقر من شأن سلفه ، وإنما طريقة المدح أن يجعل المدوح يشرف بآبائه ، والآباء تزداد شرفاً به ؛ فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيباً ، وإذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين ، بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم ؛ لأن شرف الوالد جزء من ميراثه ، ومنتقل إلى ولده كانتقال ماله ، فإن رعى وحرس ثبت

وازداد ، وإن أهمل وضيم هلك وبأد . وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة ، وللولد منه القسم الأوفر ، والحظ الأكبر .

قال صاحب الكتاب : والذي يقع عليه الاختيار عندي ما ناسب قول المتوكل الليثي : من المختار في الفخر

إنا وإن أحسابنا كرمتم^(١) لسنا على الأحساب نتكل^(١)
نبيي كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفرى :

فإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن ورائته أبا الله أن أسمو بأب ولا أب
ومن أفخر ما قال المولدون قول إبراهيم الموصلي يفتخر بولائه من خزيمة بن حازم النهشلي :

إذا مضى الحمراء كانت أرومتي وقام بمجدي حازم وابن حازم
عطست بأنفي شامحاً وتناولت يداي الثرياً قاعداً غير قائم

ومن قول السيد أبي الحسن يفخر بقومه بني شيبان :

يا آل شيبان لا غارت نجومكم^(١) ولا خبت ناركم من بعد توقيد
أتم دعائم هذا الملك مذكر كضت قبل الخيول لإبرام وتوكيد
للمنعمون إذا ما أزمة أزمتم والواهبون عتيقات المزويد
سيوفكم أقدت كسرى مرار به^(١) في يوم ذي قار إذ جاءوا لموعود

وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المنتحل .

ومما عابه الأصمعي وغيره قول عامر بن معشر بن أسحم يصف أسيراً أسروه :

من شعر
أبي الحسن
في الفخر

مما عابه
الأصمعي

(١) في نسخة « لسنا وإن أحسابنا كرمتم . . . يوماً » .

فَظَلْ يَخَالِسُ الْمَذَقَاتِ فِينَا يُقَادُ كَأَنَّهُ جَمَلٌ رَيْبِقُ

وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يخالس القليل الممدوق من اللبن ، وإنما ذلك من الجهد .

ومن أجود قصيدة افتخر فيها شاعر قصيدة السَّمَوَالِ بن عادياء اليهودي (١) فإنها جمعت ضروب المادح وأنواع المفاخر ، وهي مشهورة .

(٧٦) - باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق ؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل « كان » أو « عدمنا به كيت وكيت » وما يشاكل هذا ، ليعلم أنه ميت .

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التمتع ، بين الحسرة ، مخلوطاً بالتلف والأسف والاستعظام ، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً ، كما قال النابغة في حِصْنِ بنِ حَذِيفَةَ بنِ بَدْرٍ :

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ بَحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُنُوحُ
ولم تلفظ الموتى القبور ، ولم تزل نجوم السماء ، والأديم صحيحُ
فعمّا قليل ثم جاء نعيه فظل ندي الحى وهو ينوحُ

فهذا وما شاكلة رثاء الملوك والرؤساء الجيلة ، وإلى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية حين قال :

* مَاتَ انْخِلِيفَةُ أَيُّهَا الثَقْلَانِ *

(١) التي أو لها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فرفع الناس رءوسهم ، وفتحوا عيونهم ، وقالوا : نَعَاهُ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ،
ثم أدركه اللين والفتره فقال :

* فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ *

يريد : إني بمجهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار في رمضان نهارا
وكل أحد يفتكر ذلك على ، ويستعظمه من فعلي ، وهذا معنى جيد غريب في
لفظ ردىء غير مُعَرَّبٍ عما في النفس .

ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرثي معن بن زائدة ، ويروى لابن
أبي حفصة :

المختار من
جيد الرثاء

فِيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ ؟
بلى قد وسعت الجود والجود ميت
فتي عيشَ في معروفه بعد موته
من الأرضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاءِ مَضْجَعًا
وقد كان منه البر والبحرُ مُتْرَعًا
ولو كان حياً ضُمَّتْ حَتَّى تَصَدَّعَا
كما كان بعد السيل مجراه مَرْتَعَا

وما قصر أبو تمام في رثائه محمد بن حميد بالقصيدة التي يقول فيها :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ
فَتَى كَمَا فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ
وما مات حتى مات مضرب سيفه
فتى مات بين الطعن والضرب ميمته
فَجَاجَ سَبِيلِ الشَّعْرِ وَالشَّعْرِ النُّعْرُ
دَمَا ضَحِكْتَ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالنُّشْرُ
من الضربِ وَاغْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّعْرُ
تقوم مقام النصر إذ فاته النصرُ
إِلَيْهِ الْحِفَاظُ الْمُرُّ وَالْخَلْقُ الْوَرُّ
هو الكفريوم الروع أودونه الكفرُ
وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ
فَأَثْبَتَ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ (١)

وقد أجاد أيضا في القصيدة التي رثى بها إدريس بن بدر السامى يقول فيها :

(١) في نسخة « في مستنقع الموت رحله » .

ولم أنس سعى الجودِ خلفَ سريره بأكسفِ بالِ يَسْتَقِلُّ وَيَظْلَعُ
وتكبيره خمسا عليه مُعَالِفاً وإن كانَ تكبيرَ المُصَلِّينَ أَرْبَعُ
وما كنت أدري - يعلم الله - قَبَلَهَا بأن الندى في أهله يتشيع

وليس في ابتداءات المراثي المولدة مثل قوله :

أصم بك الناعى وَإِنْ كانَ أَسْمَعَا وأصبحَ مَعْنَى الجودِ بَعْدَكَ بَلَقَعَا
يرثي بها محمد بن حميد ، وجعل خاتمتها :

فإن أترم عن عمر تدانى به المدى فخانك حتى لم تجد عنه مَنزَعَا
فما كنت إلا السيفَ لاقى ضريبة فَقَطَّعَهَا ثمَّ انْدَنَى فَتَقَطَّعَا

وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء ، ومثله عبد السلام بن رغبان ديك الجن ، وهو أشهر في هذا من حبيب ، وله فيه طريق انفرد بها ، وذلك أنه قتل جاريته واتهم بها أخاه ، ثم قال يرثيها :

يامهجة جثمَّ الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويتُ من دمها التراب ، وربما روى الهوى شفتيَّ من شفثيها
حكمت سيفي في مجال خناقها ومدامعى تجرى على خديها
فوحقُّ نعلها لما وطىء الحصى شىءُ أعزُّ عليَّ من نعلها
ما كان قتلها لاني لم أكن أخشى إذا سقط الغبارُ عليها
لكنْ بخلت على الأنام بحسنها وأنفتُ من نظر العيونِ إليها

وقال أيضا فيها على بعض الروايات :

أشفقتُ أن يردَ الزمانُ بَعْدَهُ أو أبتلى بَعْدَ الوصالِ بِهَجْرِهِ
فقتلته ، وله على كرامة ملء الحشا ، وله الفؤادُ بأسره
قمرُ أنا أستخرجته من دجنه لبليتي وزففتُه من خدره
عهدى به ميثما كأحسن نائم والحزنُ ينجرُ دمعتي في نحره

الذي أعرف « ينحر مقلتي » وهو أصح استعارة .

لو كان يدرى الميتُ ماذا بعده بالحىُّ مِنْهُ بِنكى لهُ في قَبْرِهِ

غُصَصُ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ وَيَكَادُ يَخْرُجُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ

والرواية الأخرى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه قتله أيضاً ، فصنع فيه

هذه الأبيات ، فصنعت فيه أخت الغلام :

يا ويح دِيك الجن ، بل تَبًّا له ماذا تَصَمَّنْ صَدْرُهُ مِنْ غَدْرِهِ

قتلَ الذي يهوى وعُمِّرَ بعده يارَبِّ لا تَمُدُّ له في عُمرِهِ

ويكون الرثاء مجملاً كالمذبح الجميل فيقع موقعاً حسناً لطيفاً : كقول ابن المعتز

يكون الرثاء
مجملاً

في المعتضد :

قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ قَدَّمُوا إِمَامًا الْخَيْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ

وَصَلَّوْا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَأَنَّهُمْ صُفُوفٌ تُقَامُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ

وقال في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

قَدِ اسْتَوَى النَّاسُ وَمَاتَ السَّكَالُ وَصَاحَ صَرَفُ الدَّهْرِ : أَيْنَ الرِّجَالُ !

هَذَا أَبُو العَبَّاسِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الجِبَالُ

يَا نَاصِرَ المَلِكِ بَارِئُهُ بَعْدَكَ لِمَالِ طَوَّالِ

وذكر غير واحد أن أرتى بيت قيل :

أرتى
بيت

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطَيْبُ ثُرَابِ القَبْرِ دَلَّ عَلَى القَبْرِ

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة ، والأمم

السالفة ، والوعول الممتنعة في قلال الجبال ، والأسود الخادرة في الغياض ، وبحمر

الوحش المتصرفة بين القفار ، والنسور ، والعقبان ، والحيات ؛ لبأسها وطول

أعمارها ، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر .

من عادة
القدماء في
الرثاء

قال أبو علي : فأما المحدثون فهم إلى غير هذه الطريقة أميل ، ومذهبهم في
 الرثاء أمثل ، في وقتنا هذا وقبله ، وربما جرّوا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذاً
 بسنتهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه أبا البيداء الأعرابي وخلف بن حيان الأحمر
 ومراثيه فيهما فأثبتان وقافية مشهورات : إحداهن قوله :

لَا تَبِيلُ الْعَصْمِ فِي الْمَضَابِ وَلَا شَفْوَاءُ تَعْدُو فَرَخَيْنِ فِي لُجْفِ

والثانية قوله : * لو كان حَيٌّ وَاثِلًا مِنَ التَّلَفِ *
 * لو كان حَيٌّ وَاثِلًا مِنَ التَّلَفِ *
 * لو كان حَيٌّ وَاثِلًا مِنَ التَّلَفِ *
 * لو كان حَيٌّ وَاثِلًا مِنَ التَّلَفِ *

والثالثة قوله في أبي البيداء :

هَلْ مَخْطَى يَوْمَهُ عُمْرٌ بِشَاهِقَةٍ تَرَعَى بِأَخْيَافِهَا شَتَا وَطُبَاقَا

وكما صنع ابن المعتز يري أباة بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل :

رُبَّ حَتَفٍ بَيْنَ أَثْنَاءِ الْأَمَلِ وَحَيَاةِ الْمَرْءِ ظِلٌّ مُنْتَقِلٌ

وهي أيضاً معروفة ، ولولا اشتهار هذه القصائد ، ووجودها ، وخيفة التطويل
 بها ؛ لأثبتها في هذا الموضع .

وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في
 المدح والهجاء ، وقال ابن الكلبي - وكان علامة - : لا أعلم مرثية أولها نسيب
 إلا قصيدة دريد بن الصمة :

أرثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمَّ مَعْبِدٍ بِعَافِيَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ ؟

وعن علي بن سليمان ، عن أبي العباس الأحول ، أن القصيدة التي لأبي قحافة
 أعشى باهلة ، إنما هي لابنة المنتشر ، واسمها الدعجاء .

قال : وقال علي بن سليمان : حدثني أبي أن أولها :

هَاجَ الْفَوَادَ عَلَى عِرْفَانِهِ الذِّكْرُ وَذَكَرَ خَوْدِ عَلَى الْأَيَّامِ مَا يَذَرُ

قَدْ كُنْتُ أَذْكَرُهَا وَالِدَارِ جَامِعَةٌ وَالدهرفيه هَلَاكُ النَّاسِ وَالشَّجَرُ

هكذا أنشده النحاس والذي أعرف « وذكر ميت » وأعرف أيضاً « والدهر فيه هلاك الناس والغير » كذلك أنشدني الموصلي في الأغاني ، ثم عطف النحاس فقال : هذان البيتان لا يُعرَفَانِ في أول هذه القصيدة ؛ وما يزيد الاسترابة بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشبيب إلقصيدة دريد ، وأنا أقول : إنه الواجب في الجاهلية والإسلام ، وإلى وقتنا هذا ، ومن بعده ؛ لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة ؛ وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة ، وحين أخذ ثأره ، وأدرك طلبته . وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء « تركت كذا » أو « كبرت عن كذا » و « شغلت عن كذا » وهو في ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء ، وكان الكميت ركاباً لهذه الطريقة في أكثر شعره ؛ فأما ابن مقبل فمن جفاء أعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على ما في النفس ، ثم عطف وقال :

فَدَعُ ذَا ، وَلَسَكِنْ عَلِقَتْ حَبْلَ عَاشِقٍ لِإِحْدَى شَعَابِ الْحَيْنِ وَالْقَتْلِ أُرَيْبِ
وَلَمْ تُنْسِنِي قَتْلِي قَرِيشٍ ظَمَانًا تَحْمَلْنَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تُغْرِبُ
يَطْفَنَ بَغْرِيْدٍ يِعْلَلُ ذَا الصَّبَا إِذَا رَامَ أَرْكُوبَ الْغَوَايَةِ أَرْكَبُ
مِنْ الْهَيْفِ مِبْدَانَ تَرَى نَطْفَاتَهَا بِمَهْلَكَةِ أَخْرَاصِهِنَّ تَذْبُذِبُ

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير ما ختم به هذا الجلف ، على تقدمه في الصنعة ، إلا أن تكون الرواية « ظعائن » بالرفع .

ومما عيب به الكميت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ ، وَبُورِكَ بِهِ - وَهُ أَهْلٌ - بِذَلِكَ يَثْرِبُ
لَقَدْ غَيَّبُوا بَرًّا وَحَزْمًا وَنَائِلًا عَشِيَّةَ وَاوَاهُ الضَّرِيحِ الْمُنْصَبُ

مما عيب في
الرثاء

حكاه الجاحظ وغيره ، وأظن أن المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين ، فأما الأول فحيد .

ومن العجب أن يقول عبدة بن الطيب في تأبين قيس بن عاصم :
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
 تَحِيَّةٌ مِنْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً إِذَا زَارَ عَنْ شَحَطِ بِلَادِكَ سَمَامَا
 فَإِنْ كَانَ قَيْسٌ هَلَكُهُ هُلَاكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا
 ويقول الكميت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول ، فهلا
 قال مثل قول فاطمة رضى الله عنها :

أُغْبِرَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَتَوَّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُظْلَمَ الْعَصْرَانِ
 فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفَا عَلَيْهِ كَثِيرَةَ الرَّجْفَانِ
 فليبيكه شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلِيبيكه مُضْرٌّ وَكُلُّ يَمَانِي
 وليبيكه الطَّوْدُ الْمُعْظَمُ جَوْهُ والبيتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
 يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ الْمُبَارِكِ صَنُوهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنَزَّلُ الْقُرْآنِ
 صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرم وعظم .

والنساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة ، وأشدهم جزعاً على هالك ؛ لما ركب
 الله عز وجل في طبعهن من الخورِ وضعف العزيمة .

على الجزع
 يفي الرثاء

وعلى شدة الجزع يبني الرثاء ، كما قال أبو تمام :

لَوْلَا التَّفَجُّعُ لَادَعَى هَضْبُ الْحَمَى وَصَفَا الْمَشَقَرُّ أَنَّهُ مَحْزُونٌ

فانظر إلى قول جميلة بنت مرة ترثي زوجها كئيباً ، حين قتله أخوها جساس ،
 ما أشجى لفظها ، وأظهر الفجعة فيه !! وكيف يثير كوامن الأشجان ، ويقدهح
 شررَ النيران ، وذلك :

يا ابنة الأقبام إن لمتِ فلا تعجلى باللوم حتى تسألى

فإذا أنت تَبَيَّنْتَ التي عندها اللومُ فلو مبي واغذلي
 إن تكن أختُ امرئٍ عليمٍ على جزعٍ منها عليه فافعل لي
 فعلُ جَسَّاسٍ على ضنِّي بهِ قاطعُ ظهري ومُدُنٍ أجلي
 لو بعينٍ فُدَيْتَ عيني سِوَى أختها وانفقاتٍ لم أخفلِ
 تحملُ العينُ قذَى العينِ كما تحملُ الأمُّ قذَى ما تفعلِ
 إنني قاتلةٌ مقتولةٌ فلعل الله أن يرتاح لي
 يا قتيلاً قَوْضَ الدهرُ بهِ سَقَفَ بَيْتِي جميعاً من عِلِ
 ورماني فقدُه من كَثَبِ رَمِيَةِ المِصْمِي بهِ المُستأصِلِ
 هدمَ البيتَ الذي استحدثتهُ وسعى في هدمِ بيتي الأولِ
 مَسَّنِي فَقَدُ كَلَيْبِ بِالظَى من ورأى وَاظَى مُسْتَقْبِلِي
 لَيْسَ من يبيكي ليومينِ كمن إنما يبيكي ليومٍ ينجلي
 دَرَكُ النَّارِ شافيهِ^(١) وفي دركي نأرى ثَمَكُلُ المثلِ
 ليقه كان دمي فاحتلبوا دِرراً منه دمي من أكلِ

أشد الرثاء
صعوبة

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلاً أو امرأة ؛ لضيق الكلام عليه فيهما ، وقلة الصفات ، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب - وهو فحل مجود إذا ذكر الحدوثون - في قوله يذكر أم سيف الدولة :

صلاة الله خالقنا حَنُوطٌ على الوَجْهِ المَكْفَنِ بالجِمالِ

فقالوا : ماله ولهذا العجوز يصف جاهلها ؟ وقال صاحب بن عباد : استعارة حداد في عرس ، فإن كان أراد صاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف ، وإن كان أراد استعارة المكفن بجمال العجوز فقد اعترض في موضع اعترض إلى

(١) يروى * يشنقى المدرك بالنار . . * ويروى أيضا * درك النار

لشافيه . . *

مواضع كثيرة في هذه القصيدة ، على أن فيها ما يمحو كل زآةٍ ، ويعني على كل إساءة
قال الصاحب بن عباد : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل
مع فساد الحس على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكا في
أمه بقوله :

رَوَاقُ العزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ . وَمُلْكُ عَليِّ ابْنِكَ فِي كَمَالٍ

ولعل لفظة الاسبطرار في مرثي النساء من الخذلان الصفيق الرقيق ، وأنا
أقول : إن أشد ما هجَّنَ هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها بفوقك ؛
فجاء عملا تاما لم يبق فيه الافضاء .

الجمع بين
التهنئة والتعزية

ومن صعب الرثاء أيضا جمع تعزية وتهنئة في موضع ، قالوا : لما مات معاوية
أجتمع الناس بباب يزيد ، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية ، حتى
أتى عبید الله بن همام السُّلُوي فدخل فقال : يا أمير المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ،
و بارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ، فقد رزئت عظيمًا ، وأعطيت جسيما ،
فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزئت ، فقد فقدت خليفة الله ،
وأعطيت خلافة الله ، فقارقت جليلا ، ووهبت جزيلا ؛ إذ قضى معاوية تحبه ،
ووليت الرياسة ، وأعطيت السياسة ، فأورده الله موارد السرور ، ووقفك
لصالح الأمور .

فاصبرُ يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقَةٍ واشكُرْ حِبَاءَ الذي بالملكِ أصفاكا
لارزءُ أصبحَ في الأقوامِ نعلهُ كما رزئتَ ولا عُقبِي كعقبيا كما
أصبحتَ واليَ أمرِ الناسِ كلهم فأنتَ ترعاهمُ واللهُ يرعاكا
وفي معاويةَ الباقي لنا خلفٌ إذا بُعيتَ ولا نسمعُ بمنعَاكا^(١)
ففتح للناس باب القول .

(١) في عامة الأصول «إذا بعيت ولا نسمع بمنعَاكا» وهو تحريف ولا يتم معه معنى

وعلى هذا السنن جري الشعراء بعده ؛ فقال أبو نواس يعزى الفضل بن الربيع
عن الرشيد ، ويهنته بالأمين :

تَعَزَّى أبا العباس عن خَيْرِ هَالِكٍ بِأَكْرَمِ حَيٍّ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ
حوادثُ أيامٍ تَدُورُ صروفُهَا لَهْنٌ مَسَاوِيٌّ مَرَّةً وَمَحَاسِنُ
وفي الحى بالميت الذى غَيَّبَ الثَّرَى فلا المَلِكُ مَغْبُونٌ ولا الموتُ غَابِنُ

ويروى : * فلا أنت مغبون *

واتبعه أبو تمام بالقصيدة التى أولها :

* مَا لِلدُّمُوعِ تَرُومٌ كُلُّ مَرَامٍ *

يقولها للوائق بعد موت المعتصم ، صرَّفَ الكلام فيها كيف شاء ، وأظن
كما أراد ، واحتج فيها فأسهب ، وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية من
الشعراء ، وأراد ابن الزيات مجاراته فعلم من نفسه التقصير فاقتصر على قوله :

قد قلتُ إذ غَيَّبُوكَ واصطفقت عليك أيدٍ بالتربِ والطينِ
أذْهَبُ فنعم المَعِينُ كنتَ على الدُّ نِيَا وَنِعَمَ الظَّهِيرِ للدينِ
لَنْ يَجْزِيَنَّ اللهُ أمةً فقدتْ مثلكَ إلا بمثلِ هارونِ

ومن جيد ما رثى به النساء وأشجاء وأشدّه تأثيراً فى القلب وإثارة للحزن قول
محمد بن عبد الملك هذا فى أم ولده :

ألا من رأى الطِفْلَ المَفَارِقَ أُمَّهُ بُعَيْدَ الكَرْمَى عَيْنَاهُ تَبْتَدِرَانِ
رَأَى كُلَّ أُمٍَّّ وَأَبْنَهَا غَيْرَ أُمَّهُ يَبِيحَانِ تَحْتَ اللَّيْلِ يَنْتَجِبَانِ^(١)
وَباتَ وَحِيداً فى الفِراشِ تَحْتَهُ بِلَابِلُ قَلْبٍ دَائِمٍ الخَفَقَانِ

(١) فى الأصول « ينتجبان » وهو تصحيف

يقول فيها بعد أبيات :

ألا إن سَجَلًا واحدًا قد أرقتهُ
من الدمع أو سَجَلَيْنِ قد شَفَيَانِي
فلا تَلَحِّيَانِي إن بكيت ؛ فإنما
أداوى بهذا الدمع ما تريانِ
وإن مكانًا في الثرى خُطَّ لَحْدُهُ
لمن كان في قلبي بكل مكان
أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى
فهل أنما إن عَجْتُ مُنْتَظِرَانِ

ومن أشجى الشعر رثاء قوله في هذه القصيدة :

فهبني عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنِّي
جَلِيدٌ ، فَمَنْ بِالصَّبْرِ لِأَبْنِ ثَمَانٍ ؟؟
ضَعِيفِ الْقُوَى لَا يَعْرِفُ الْأَجْرَ حِسْبَةَ
وَلَا يَأْتِسِي بِالنَّاسِ فِي الْحَدَثَانِ
أَلَا مَنْ أَمْنِيهِ الْمَنَى فَأَعُدَّهُ
لِعَثْرَةِ أَيَّامِي وَصَرَفِ زَمَانِي
أَلَا مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ أَوْ كَرَّمَتْ مَجْلِسِي
وَأِنْ غَبِثُ عَنْهُ حَاطِنِي وَرَعَانِي
فَلَمْ أَرْ كَالْأَقْدَارِ كَيْفَ تَصِيْبُنِي
وَلَا مِثْلَ هَذَا الدَّهْرِ كَيْفَ رَمَانِي

فهذه الطريق هي الغاية التي يجري حُذَّاقُ الشعراء إليها ، ويعتمدون في الرثاء عليها ، ما لم تكن المرثية من نساء الملوك ، وبنات الأشراف ، وغير ذوات محارم الشعراء ؛ فإنه يتجافى عن هذه الطريقة إلى أرفع منها ، نحو قول أبي الطيب :

وَأَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ قَدَدْنَا (١)
لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وقوله في هذه القصيدة :

مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً
كَأَنَّ الْمَرَّوَّ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ
وَنَحْوُ قَوْلِهِ لِأَخْتِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :
يَأْخُتَ خَيْرَ أَخٍ ، يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ
أَجِلُّ قَدْرِكَ أَنْ تُدْعَى مُوَأَثَّةً
وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ
كِنَايَةً بِهِمَا عَنِ أَشْرَفِ النِّسَبِ

ورثاء الأطفال أن يذكر مخايلهم ، وما كانت الفراسة تُعطيهم فيهم ، مع
تَحَزَن لمصائبهم ، وتفجع بهم ، كالذي صنع أبو تمام في ابني عبد الله بن طاهر .

٧٧ - باب الاقتضاء والاستنجاز

حسب الشاعر أن يكون مدحه شريفاً ، واقتضاؤه لطيفاً ، وهجاؤه إن هجا
عفيفاً ؛ فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمات ، وداعية القطيعة
والهجران ، وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء ، والاقتضاء في العتاب ، وأنا
أرى غير هذا المذهب أصوب ؛ فالأقتضاء طلب حاجة ، وباب التلطيف فيه
أجود ؛ فإن بلغ الأمر العتاب فإنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة ، وفيه
توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء ، إلا أن الناس خلطوا هذين البابين ،
وساوا بينهما .

ما يستوجبه
الاقتضاء

فمن أحسن الاقتضاء - على ما تخيرته ، ونحوت إليه - قول أمية بن
أبي الصلت لعبد الله بن جدعان :

أحسن المختار
في الاقتضاء

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت فرع لك الحسب المهذب والسناء
خليل لا يفيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
فأرضك كل مكرمة بنتها بنو تيم وأنت لها سماء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء
تباري الريح مكرمةً وجوداً إذا ما الكلب أجحّره الشتاء

فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يُلبّن الصخر ، ويستنزل القطر ، ويحط

العُصم إلى السهل ؟؟

ومثله قول الآخر :

لأشكرنك معروفاً هممت به إن اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك إن لم يُمضِه قَدْرٌ فالشيء بالقَدْرِ المحتوم مَصْرُوفٌ
وأما ما نسب قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه؛ إذ يقول
له مستبطاً :

أبا موسى ، سقى أرضَكَ دَانَ مُسْبِلِ القَطْرِ
وزادَ اللهُ في قَدْرِكَ ما أُخْلِتَ من قَدْرِي
لقد كُنْتُ أَرْجِيكَ لما أُخْشِيَ من الدهرِ
فقد أصبحتَ من أوكَدِ أسبابِي إلى الفقرِ
أرضي لِي بأن أرضِي بتقصيرِكَ في أَسْرِي؟
وقد أفنيت ما أفنيتُ في شُكْرِكَ من عَمْرِي
مواعيِدُ كما أُخبتُ سرابَ المَهْمِ القَفْرِ
فمن يومٍ إلى يومٍ ومن شهرٍ إلى شهرٍ
فلم أُحْصِلْ على قِيَمَةٍ ما قَلَّمتُ من ظَفْرِي
لعلَّ اللهُ أن يصنَع لي من حيث لا أدري
فألقاكَ بلا شُكْرٍ وتلقاني بلا عِذْرِ
ولا أرجوكَ في الحَالِينَ لا العِسرَ ولا اليَسْرَ

فهذا هو العتاب الممض ، والتوبيخ الذي دونه الجلد بالسوط ، بل

بالسيف !!

ومما صنعتَه في العتاب على هذا الشكل بعد اليأس المستحكم على ما شرطته :

رَجَوْتُكَ للأمرِ المَهْمِ وفي يَدِي بَقَايَا أُمَّتِي النَّفْسَ فيها الأمانِيَا
فساوتَ بي الأيامَ حتى إذا انقضتْ أو آخر ما عندي قطعْتَ رَجائِيَا
وكنْتُ كَأَنِّي نازِفُ البِئْرِ طالِباً لإجماعِها أو يَرْجِعُ الماءَ طافِيَا
فلا هو أبقى ما أصابَ لِنَفْسِهِ ولا هي أعطته الذي كان راجِيَا

ومن أملاح مارأيته في الاقتضاء والاستبطاء قول أبي العتاهية لعمر بن العلاء^(١)
وابن المعتز يسمى هذا النوع مزحاً يراد به الجد ، وهو :

أصابتْ علينا جودك العين يا عمرُ فنحن لها نبغى التمامَ والنشرُ
سنزقيك بالأشعار حتى تملها فإن لم تُفِقْ منها رقيقناك بالسورُ
وكنت أنا صنعت في استبطاء :

أحسنتَ في تأخيرها مِنَّةً لو لم تُؤخِّرْ لم تكنْ كامله
وكيفَ لا يحسن تأخيرها بعدَ يَقِينِي أنها حاصله؟
وَجَنَّةُ الفردوس يُدعى بها آجلَةً للمرء لا عاجله
لكنما أضعف من همتي أيامِ عمرٍ دونها زائله

والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء ؛ لأنه يكون مثله بسبب الحاجات ، وقد
يكون بسبب غيرها كثيراً ، والاقتضاء لا يكون إلا في حاجة .

٧٨ - باب العتاب

عقب العتاب - وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء - فإنه باب من أبواب
الخدیعة ، يسرع إلى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطیعة والحقاء ، فإذا
قل كان داعية الألفة ، وقيد الصحبة ، وإذا كثر خشن جانبه ، وثقل صاحبه .
للعتاب طرائق وللعتاب طرائق كثيرة ، وللناس فيه ضروب مختلفة ؛ فمنه ما يمازجه
الاستعطف والاستئلاف ، ومنه ما يدخله الاحتجاج والاتصاف ، وقد يعرض
فيه المن والإجحاف ، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف .
أحسن الناس وأحسن الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة
طريقاً في أبو عبادة البحتري الذي يقول :

يُرَبِّبُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبَرُ قَدْرَكَ أَنْ أُسْتَرِيبَا

(١) انظر ص ١٣٣ السابقة ثم انظر ص ١٨٤ الآتية .

وأكره أن أتمادى على سبيل اغترار فألقى شعوباً
 أ كذّب ظني بأن قد سخّطت وما كنت أعهد ظني كذوباً
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذمّ الزمان وأشكو الخطوباً
 ولا بدّ من لومة أنتجى عليك بها مخطئاً أو مصيباً
 أيصبح وردي في ساحتك طرقاتاً ومرعاًي مَحَلّاً جديباً!
 أبيع الأحبّة ببيع السّوام وآسى عليهم هم حبيبا حبيبا
 ففي كل يومٍ لنا موقفٌ يشقُّ فيه الوداعُ الجيوباً
 وما كان سُخْطُك إلا الفراقَ أفاضَ الدموعَ وأشجى القلوبا
 ولو كنت أعلم ذنباً لمآ تخالجنى الشكُّ في أن أتوباً
 سأصبرُ حتى ألقى رضا ك إماماً بعيداً وإماماً قريباً
 أراقبُ رأيك حتى يصحَّ وأنظر عَظْفَكَ حتى يؤوباً^(١)
 والذي يقول أيضاً :

وأصيد إن نازعته اللحظَ ردّه كليلاً، وإن راجعته القولَ جمّجماً
 ثنّاه العدى عنى فأصبح مُعْرِضاً وأوهمه الواشون حتى توّهما
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوّعّرت رُباه وطلقاً ضاحكاً فتجهمّما
 أمتخِذْ عِنْدِي الإساءةَ محسنٌ وممتقمٌ منى امرؤ كان منعماً ؟
 ومكتسب في الملامة ما جدُّ يرى الحمد غنماً والملامة مغرماً
 يخوفنى من سوء رأيك معشرٌ ولاخوف إلا أن تجور وتظلمما
 أعيدك أن أخشاك من غير حادثٍ تبيّن أو جرّم إليك تقدّما
 ألسن الموالى فيك غرّ قصائدٍ هي الأنجُم اقتادت مع الليل أنجمما
 ثناء كأن الروض فيه مُنورٌ ضحّاً، وكان الوشى فيه مُمنمماً

للبحترى في
 العتاب أيضاً

(١) في الديوان « حتى يشوبا » والمعنى واحد .

ولو أنى وَقَرَّتْ شعري وَقَارَهُ
وأجَلتُ مدحى فيك أن يَتَهَمَّضَا
لأَ كَبَرْتُ أن أومى إليك بأصبع
تضرَّعَ أو أدنى لمعدرةٍ فما
وكان الذى يأتى به الدهر هَيِّنَا
على وَلَوْ كانَ الحِمَامَ المُقَدَّمَا
ولكننى أَعْلَى محَلِّي أن أرى
مُدِلًا وأستحييك أن أتَعَطَّمَا
فهذا عتاب كما قال :

عِتَابٌ بِأَطْرَافِ القَوَافِي كَأَنَّهُ
طِعَانٌ بِأَطْرَافِ القِنَا المُتَكَسِّرِ

وقد نحوت أنا هذا النحو فى كلمة عاتبت بها القاضى جعفر بن عبد الله
الكوفى قلت فيها :

للمؤلف فى
العتاب

وقد كنت لا آتى إليك مُخَاتِلًا
ولكن رأيت المدح فيك فريضةً
فقلت بما لم يخف عنك مكانه
ولو غيرك الموسوم عنى بريبة
فلا تتخالجك الظنون فإنها
فوالله ما طوّلت باللوم فيكم
ولا ملت عنكم بالوداد ، ولا انطوت
بلى ربما أكرمت نفسى فلم تهن
ولم أرض بالخط الزهيد ، ولم أكن
فبايذت لأنّ العداوة بايذت
أوذُ بأُ كُفَايِ الرجاء ، وأتقى

لديك ، ولا أثنى عليك تصنعاً
على إذا كان المديح تطوعاً
من القول حتى ضاق مما توسعاً
لأعطيت منها مدعى القول ما دعى
مأثم ، وأترك فى اللئيم مَوْضِعَا
لساناً ، ولا عرضت للذم مَسْمَعَا
جبالى ، ولا ولى ثنائى ، مودعاً
وأجلتها عن أن تذلّ وتخضعاً
ثقيلاً على الإخوان كلاً مُدْفِعَا
وقاطعت أن الوفاء تقطعاً
شمت العدا ، إن لم أجد فيك مَطْمَعَا

ومن معاتبات أبى تمام قوله لابن عبد الملك الزيات :

لئن هممى أوجدننى فى تقلى
وإن رمت أمراً مُدْبِرَ الوجه إنى
مآلاً لقد أفقدنى منك مَوْثِلًا
لأترك حظاً فى فئالك مُقْبِلًا

لأبى تمام فى
العتاب

وإن كنت أخطو ساحة المحل إني
كذلك لا يلتقي المسافر رَحْلُهُ
ولا صاحب التطواف يَعمُرُ منها
ومن ذا يداني أو ينأى؟ وهل فتى
فَمُرِنِي بِأَمْرِ أَحْوَذِي - فإني

أرى الناس قد أترّوا وأصبحت مُرِمِلاً
فسيانٍ عندي صادفوا لي مَطْعِناً
ومن قصيدة أخرى لأبي تمام :

تَقَطَّعتِ الأسبابُ إن لم تُغرِّها
سوى مَطْلَبٍ يُنضِي الرجاء بطوله
وقد تألف العين الدجى وهو قَيْدُهَا
ولى عِدَّةٌ تَمضي العُصور وإنها
سِنُونٌ قَطَعْنَها نَ عَشراً كانَ ما
وإنَّ جزيلات الصنائع لامرئ
وإنَّ المعالي يُسْتَرَمُّ بناؤها
ولو حارَدت شَوْلٌ عذرتُ لِقاحها
منحتكها تشفى الجوى وهو لَأَعْبَجُ
تردُّ قوافيها إذا هي أرسلتُ
وكيف إذا حَلَّتْها بِجَلِيهَا
أَكابَرنا ، عطفاً علينا ؛ فإننا

وقال ابن الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل يعاتبه في قصيدة جيدة مختارة :

(١) في الديوان (٢٥٩) « ولى همّة تضي العصور . . . لحامل » .

(٢) أى : كأن الندى قطعناه مراحل .

لأبي تمام في
العتاب أيضا

قوى أو يصلها من يمينك واصل
وتخلقُ إخالق الجفون الوسائلُ
ويُرَجى شِفَاءُ السِّمِّ والسِّمُّ قاتلُ
كعهدك من أيامِ مِصرَ كَحَائِلُ (١)
قطعنا لقربِ العهدِ منها مراحلُ (٢)
إذا ما الليلي نا كَرَّتْهُ مَعاقِلُ
سريعاً ، كما قد تسترم المنازلُ
ولمكن حُرِّمتُ الدَّرَّ والصَّرْعُ حافلُ
وتبعث أشجان الفتى وهو ذاهِلُ
هوامِلَ مجدِّ القومِ وهى هوامِلُ
تكون وهذا حُسْنُها وهى عاقلُ !!
بنا ظمأً بَرَحُ وَأَنْتُمْ مَنَاهِلُ

لابن الرومي
يعاتب إسماعيل
ابن بلب

عَقِيلَ الندى ، أطلق مدائحَ جمة
وَكُنْتَ متى تُنشدُ مديحاً ظلمته
عذرتك لو كانت سماءَ تَقَشَّعَتْ
ولكنها سُقياً حُرِمْتَ رَوِيها
وأكلأُ معروف حميت مَرِيعا
فيالك بجرأ لم أجد فيه مَشْرَباً
مديحي عصاً موسى ، وذاك لأنني
فياليت شعري إن ضَرَبْتُ به الصِّفَا
كتلك التي أبدت ثرى البحر يا بسا
سامدحُ بعض الباخرين لَعَلَّه
خواسي حَسْرَى قد أبت أن تسرَّحاً
يكن لك أهجى كلما كان أمدحاً
سحائبها أو كان روضاً تَصَوَّحاً
وعارضها مُلتي كلاكِ جُنْحاً
وقد عاد منها الحزنُ والسَّهْلُ مَسْرَحاً
وإن كان غَيْرِي واجداً فيه مَسْبَحاً
ضَرَبْتُ به بحر الندى فَتَصَحَّضَحاً
أحدث لي فيه جدأولَ سِيحاً
وَشَقَّتْ عُيوناً في الحجارة سُفْحاً
إذا أطرَدَ المقياسُ أن يَتَسَمَّحاً

فهذا هو الذي لا يبلغ جودة ، ولا يجارى سبباً ، على أن البحترى قد تقدم

إلى بعض المعنى في قوله للفتح بن خاقان :

غَمَامٌ خَطَانِي صَوْبُهُ وَهُوَ مُسْبِلٌ
وَبَحْرٌ عَدَانِي فَيْضُهُ وَهُوَ مُنْقَمٌ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الأَرْضَ شَرْقاً وَمَغْرِباً
وَمَوْضِعٌ رَحِلِي مِنْهُ أَسْوَدٌ مَظْمٌ
وَمَا بَخَلَ الفَتْحُ بن خاقان بالندي
ولكنها الأقدارُ تُعْطِي وَتَحْرِمُ

وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة ، وفي عتابه شدة ، وكان كثير
التحمال ، ظاهر الكبر والأنفة ، وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة :

للمتنبى يعاتب
سيف الدولة

يا أعدل الناسِ إلا في معاملتي
أعيدُها نظراتِ مِنْكَ صادِقَةً
فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخِصْمُ والحَكْمُ
أَنْ تَحْسَبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحْمَهُ وِرمُ
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره
إذا استوت عندَهُ الأنوارُ والظلمُ
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعتُ كلماتي مَنْ به صَمَمُ

أَنَامُ مِلاً جُفُونِي عَنْ شِوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ النَّاسُ جِرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ
وَجَاهِلٌ مَدَّةً فِي جِهَلِهِ ضَحَكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فِرَّاسَةٍ وَفَمٌ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة ، غير أنه من جهة الواجب والسياسة غاية في القبح والرداءة ، وإنما عرّضَ بقوم كانوا ينتقصونه عند سيف الدولة ويعارضونه في أشعاره ، والإشارة كلها إلى سيف الدولة ، ثم قال بعد أبيات :

يَا مَنْ يَعْزُ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجِدَانَنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمٌ
إِنْ كَانَ سَرِّكُمْ مَا قَالِ حَاسِدُنَا فَمَا لُجْرُحٌ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلْمُ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَاعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً إِنْ الْعَارِفِ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَمٌ
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرْمُ؟!
مَا بَعْدَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ مِنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَا وَذَانَ الشَّيْبِ وَالْهَرْمُ
لَيْتَ الْغَمَامِ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيمُ
أَرَى النَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَّحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ
لَنْ تَرُكْنَ ضَمِيرًا عَنِ مِيَامِنَا لِيَحْدِثَنَّ لِمَنْ وَدَعْتَهُمْ نَدَمٌ

وإنما قال أولاً * ليحدثن لسيف الدولة الندم * ثم بدله ، وليس هذا عتاباً ، ولكنه سباب ، وبسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس إنشادها ، وهذا الغرور بعينه .

فأما عتاب الأكفاء ، وأهل المردات ، والمتعشقين من الظرفاء ، فبآية أخرى جارية على طرقاتها .

عتاب
الأكفاء

قال إبراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد تغير عليه لما وزر :

للصولي يعاتب
ابن الزيات

وَكُنْتَ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّوْمَانِ فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرَبًا عَوَانَا
وَكُنْتُ أَدْمُ إِلَيْكَ الزَّوْمَانِ فَأَصْبَحْتُ فِيكَ أَدْمُ الزَّوْمَانَا
وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِلنَّائِبَاتِ فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا

وهذا عندي من أشد العتاب وأوجبه .

لأبي الحسن

وَمَنْ أَكْرَمَ الْعِتَابِ قَوْلُ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ أَدَامَ اللَّهُ سَيَادَتَهُ وَسَعَادَتَهُ :
وَأِنِّي لِأَطْرَى كُلَّ خِلٍّ صَحِيْبَتُهُ وَأَنْتَ تَرَى شَتْمِي بِغَيْرِ حِيَاءِ
سَتَعْلَمُ يَوْمًا مَا أَسَاتَ لِصَاحِبِ تَسْكُرُهُمْ أَخْلَاقِي وَحُسْنُ وَقَائِي

لسعيد بن حميد

ومن مליح ما سمعت قول سعيد بن حميد يعاتب صديقاً له :

أَقْلِيلُ عِتَابِكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلُ وَالذَّهْرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ
لَمْ أَبْكِ مِنْ زَمَنِ ذَمَّتْ صُرُوفُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ
وَلِكُلِّ نَائِبَةِ أَلَمَتْ مُدَّةُ وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلُ
فَالْمُنْتَمُونَ إِلَى الْإِخَاءِ عَصَابَةٌ إِنْ حُصِّلُوا أَفْنَاهُمْ التَّحْصِيلُ
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ الْمَنِيَةِ وَالرَّدَى يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَنَحْوِلُ
وَلَيْنَ سَبَقْتُ لَتَبْكِينَ بِحَسْرَةٍ وَلِيَكْتَرَنَّ عَلَيَّ مِنْكَ عَوِيلُ
وَلَتُفْجَعَنَّ بِمَخْلِصٍ لَكَ وَامِقٍ حَبِيلُ الْوَفَاءِ بِمَجْبَلِهِ مَوْضُولُ
وَلَيْنَ سَبَقْتُ، وَلَا سَبَقْتُ، لِيَمْضِينَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ لَدَى خَلِيلُ
وَلِيَذْهَبَنَّ بِهَاءِ كُلِّ مَرُوءَةٍ وَلِيُفْقَدَنَّ جَمَاهَا الْمَاهُولُ
وَأَرَاكَ تَكْلَفَ بِالْعِتَابِ وَوُدُّنَا صَافٍ، عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ
وَدُّدًا لِذَوِي الْإِخَاءِ جَمَالُهُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهَجَّةٍ وَقَبُولُ
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ فَعَلَامَ يَكْتَرُ عَتْبُنَا وَيَطْوِلُ

إلى ههنا أو ما أبو الطيب بقوله :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسُحْمًا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمَفْتَرِقَ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمُرُ

أمُ اغْمِضُ بينَ الجلدِ واللحمِ غمضةً بمبرد رومي يَقُطُّ النواصيا
 فأما سرقاتُ الهجاءِ فإنها كلامٌ تهاداه اللثامُ تهاديا
 أمُ اخْبِطْ خَبِطَ الفيلُ هامةً رأسه بِجَرْدٍ فلا يُبْقِي من العظمِ باقيا
 وعندى الدهيمِ لو أحلُّ عقالها فتصيح لم تعدم من الجنِ حاديا
 شبه لسانه بمبرد رومي لمضائه ، وشبه القصيدة التي لو شاء هجاهم بها بالدهيم
 وهي الداهية ، وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبَّانِ الدَّهْلِي التي حملت رءوس
 بنيه معلقة في عنقها ، فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية .

لجرب

وقال جرير لبنى حنيفة ، وكان ميلهم مع الفرزدق عليه :
 أبني حنيفة أخكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا
 أبني حنيفة إني إن أهجكم أدع اليمامة لا توارى أرنبا
 « أحكموا » كفوا ، من حكمة اللجام .

وقال أيضا لتيمة الرباب رهط عمر بن لجأ :

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيَّ لا أبأ لكُم لا يلقينكم في سِوَاةٍ مُعْمَرُ

وكان علي بن سليمان الأخفش في صباه يعبث بابن الرومي لما يعلم من طيرته ،
 فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمى له بأقبح الأسماء ، فيمنعه ذلك من
 التصرف ، فقال يتوعده :

لابن الرومي

قولوا لِنَحْوِيْنَا أبا حسن إنَّ حُسَامِي متى ضربتُ مَضِي
 وإنَّ نَبِيَّي متى هَمَمْتُ بأنَّ أرميَ نَصَلَتْهَا بِجَمْرٍ غَضِي
 لا تَحْسَبَنَّ الهجاءُ يحفلُ بالـرفعِ ولا خفضِ خافضٍ خفضا
 ولا تَحَلْ عَوْدَتِي ككبادتِي سأسعطُ السمَّ من عصى الخفضا
 أعرف في الأشقياء لي رجلاً لا ينتهي أو يصير لي غرضاً
 يُليحُ لي صَفْحَةَ السَّلامَةِ والسَّلَامِ ، ويُخفي في قلبه المرضا

يضحى مَغِيظًا عَلَيَّ أَنْ غَضِبَا لَلَّهِ عَلَيْهِ وَنَلْتُ مِنْهُ رِضَا
 وَلَيْسَ تُجِدِي عَلَيْهِ مَوْعِظِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ حَيْثَهُ فَقَضَى
 كَأَنِّي بِالشَّقِيِّ مُعْتَدِرًا إِذَا القَوَافِي أَذَقْنَهُ مَضَا
 يَدْشُدُّنِي العَهْدَ يَوْمَ ذَلِكَ وَالعَهْدُ خِفَارٌ إِذَا لَهُ قَبِضَا
 لَا يَأْمَنُ السَّفِيهَ بِادْرَتِي فَإِنِّي عَارِضٌ لِمَنْ عَرِضَا
 عِنْدِي لَهُ السُّوْطُ إِنْ تَلَوَّمْ فِي السَّيْرِ وَعِنْدِي اللِّجَامُ إِنْ رَكِضَا
 أَسْمَعْتُ أَنبَاءَ صِيتِي أَبَا حَسَنِ وَالنَّصِيحَ لِاشِكِ نَصِيحٍ مِنْ مَحَا
 وَهُوَ مُعَانِي مِنَ السَّهَادِ فَلَا يَجْهَلُ فَيَشْرِي فِرَاشَهُ قَضَا
 أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا غَفْرَتُ لَهُ إِنْ وَاحِدٌ مِنْ عُرُوقِهِ نَبِضَا

وكذلك قد فعل ، وقد مزقه بالهجاء كل ممزق ، وجعله مثلة بين أصحابه ،
 على أن الأخفش كان يتجلد عليه ، ويُظهر قلة المبالاة به ، وهيهات ! وقد وسمه
 سمة الدهر ، وسامه سوم الخسف والقهر . ومما قلته في هذا الباب :

للمؤلف في
 الوعيد

يَا مُوجِبِي شَتْمًا عَلَيَّ أَنَّهُ لَوْفَرَكَ البَرغوثَ مَا أَوْجَعَا
 كُلُّهُ لَه مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَآفَةُ النَحْلَةِ أَنْ تَلْسَعَا

وقلت من قصيدة خاطبت بها بعض بني مناد :

مَنْ بِصَحْبِ النَّاسِ مَطْوِيًّا عَلَيَّ دَخِلَ لَا يَصْحَبُوهُ ؛ فَخَلُّوا كُلَّ تَدَخِيلِ
 لَا تَسْتَطِيلُوا عَلَيَّ ضَعْفِي بِقُوَّتِكُمْ إِنْ البَعُوضَةَ قَدْ تَعَدُّو عَلَيَّ الغَيْلِ
 وَجَانِبُوا المَرْحَ ؛ إِنْ الجِدَّ يَتَّبِعُهُ وَرُبَّ مُوجِعَةٍ فِي إِثْرِ تَقْبِيلِ

ومنها بعد أبيات لا تليق بلموضع خوف الحشو :

يَا قَوْمَ لَا يَلْقَيْنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ فِي المَهْلَكَاتِ ؛ فَإِنِّي غَيْرُ مَغُولِ
 لَا تَدْخُلُوا بِالرِّضَا مِنْكُمْ عَلَيَّ غَرَرٍ فَتُخْرِجُوا اللَّيْثَ غَضَبَانًا مِنَ الغَيْلِ
 إِلَّا تَكُنْ حَمَلَتْ خَيْرًا ضَامِرًا كُنْ نَابِطًا شَرًّا نَاكِحَ الغُولِ

(٨٠) — باب الهجاء

خير الهجاء

يروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : خَيْرُ الهِجَاءِ ما تَنسُدُهُ العِذْرَاءُ في خَدْرِها فلا يَقْبَحُ بِمَثَلِها ، نحو قول أوس :

إِذَا نَاقَةٌ شَدَّتْ بِرِجْلِ وَنَمْرُقٍ إِلَى حَيِّكُمُ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلًّا هَا

واختار أبو العباس قول جرير :

لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَ

ومثل قوله :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِتْكَ مِنْ نَمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

الهجاء
للقذع

وبين الاختيارين تناسب في عفة المذهب ، غير أن بيت جرير الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل ، فقد حكى محمد بن سلام الجُمَحِيُّ عن يونس بن حبيب أنه قال : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وهو الإقذاع عندهم .

عقوبة الهجاء
في الإسلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم « من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هَدْرٌ » ولما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخطيئة من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له : إياك والهجاء المقذع ، قال : وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف ، وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم ، فقال : أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ، ولكن حَبَانِي هؤلاء فدحتهم وحرمني هؤلاء فدكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئاً ، وصرفت مدحى إلى من أرادته ورغبت به عن كرهه وزهد فيه ، يريد بذلك قصيدته المهموزة التي يقول فيها :

وَأَنْتِ العِشَاءُ إِلَى سُهَيْلٍ أَوِ الشُّعْرَى فَطَالَ بِي الإِنَاءُ

وهي أخبث ما صنع . وفيها أو من أجلها قال خلف الأحمر : أشد الهجاء أبلغ الهجاء أعفه وأصدقه ، وقال مرة أخرى : ما عفا لفظه وصدق معناه ، ومن كلام صاحب الوساطة : فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسهّل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن .

ومما يدل على صحّة ما قاله صاحب الوساطة وحسن ما ذهب إليه إعجاب الخُذّاق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في تشكيكه وتهزله وتجاهله فيما يعلم :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء
فإن تكن النساء محبّبات فحق لكلّ محصنة هداء

وإن هذا عندهم من أشد الهجاء وأمضه .

ولما قدم النابغة بعد وقعة حسبي سأل بنى ذبيان : ما قاتم لعامر بن الطفيل وما قال لكم ؟ فأنشده ، فقال : أفخستم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ، ولكني سأقول ، ثم قال :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإنّ مطيّة الجهل^(١) السبب
فكن كأبيك أو كأبي برّاء تصادفك الحكومة والصواب^(٢)
فلا يذهب بلبك طائشات^(٣) من الخيلاء ليس لمن باب

(١) في إحدى روايات الديوان * فإن مظنة الجهل . . . وفيه « الشباب »

(٢) في الديوان * توافقك الحكومة

(٣) في الديوان * فلانذهب بلبك طاميات * والطاميات : المرتفعات ، والخيلاء : التكبر والاختيال ، وقوله « ليس لمن باب » معناه لا يتكسفن عنه ولا مفرج له منهن .

فإنك سوف تحلمُ أو تنأهى^(١) إذا ما شبت أو شاب الغرابُ
فإن تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من سبب بعيد^(٢) ولكن أدركوك وهم غضابُ

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شقاً عليه ، وقال : ما هجاني أحد حتى هجاني
النابغة ، جعلني القوم رئيساً ، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي !

وروي أن شاعراً مدح الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأحسن عطيته ،
فعوتب على ذلك ، فقال : أترون [أني] خفت أن يقول إني لست ابن فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ؟ ولكن
خفت أن يقول : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولست كهلي ، فيصدق
ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتب ، ومحفوظاً على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر :
أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني ، وقد وقع الحسن بن زيد بن
الحسين بن علي في بعض ما قال جدّه ، قال فيه ابن عاصم المديني ، واسمه محمد بن
حمزة الأسلمي :

له حقٌ ، وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسنُ الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، وترك الفحش فيه أصوب ،
إلا جريراً فإنه قال لبنيه : إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة ، وإذا هجوتم فخالقوا ، وقال
أيضاً : إذا هجوت فأضحك . وسلك طريقته في الهجاء سواء على بن العباس
ابن الرومي ، فإنه كان يطيل ويفحش ، وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح ؛

مذاهب
الشعراء في
الهجاء

(١) في الأصول . . سوف تحم . . والتصويب عن الديوان .

(٢) في الديوان * فما إن كان من نسب بعيد *

لاتساع الظن في التعريض ، وشدة تعلق النفس به ، والبحث عن معرفته ، وطلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء تصريحا أحاطت به النفس علما ، وقبلته يقينا في أول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو ممل يعرض ، هذا هو المذهب الصحيح ، على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه ؛ فأما إن كان لا يوقظه التلويع ، ولا يؤلمه إلا التصريح ؛ فذلك ، ولهذا العلة اختلف هجاء أبي نواس ، وكذلك هجاء أبي الطيب فيه اختلاف ؛ لاختلاف مراتب المهجوين .

لربيعه الرقي في
الهجاء

فن التفضيل في الهجاء قول ربيعة بن عبد الرحمن الرقي :

لشتان ما بينَ اليزيديين في الندى يزيدِ سليمٍ والأغرِّ ابنِ حاتمِ
فهمُ الفتى الأزديُّ اتلافُ ماله وهمُ الفتى القيسيُّ جمعُ الدراهمِ
فلا يحسبُ التتمامُ أني هجَوتهُ ولكنني فصَّلتُ أهلَ المكارمِ

لزياد الأعجم

ومن الاستحقار والاستخفاف قول زياد الأعجم :

فقم صاغراً يا شيخَ جرمٍ فأبما يقال لشيخِ الصدقِ : قم غيرَ صاغِرِ
فمن أتمُّ ؟ إنا نسينا منَ أتمِّ ويربحكم من أي ريحِ الأعاصِرِ !!
أأتم أولى جئتكم مع النملِ والدِّبَا فطارَ ، وهذا شيخكم غيرُ طائرِ
فضى اللهُ خلقَ الناسِ ثمَّ خلقتُم بقيَّةَ خلقِ اللهِ آخرَ آخرِ
فلم تسمعوا إلا بمن كان قبلكم ولم تدركوا إلا مدق الحوافِرِ

للطرماح

وأخذ الطرماح منه هذا المعنى فقال :

وما خلقت تيممٌ وعبدٌ مناتها وضبةٌ إلا بعدَ خلقِ القبائلِ

لجرب

ومن الاحتقار أيضاً قول جربير في التيمم :

ويُقضى الأمرُ حينَ تعيبُ تيممٌ ولا يُستأذنونَ وهمُ شهودُ
فإنك لو رأيتَ عبيد تيمم وتيمماً قالت : أيُّهمُ العبيدُ ؟

لأبي هفان في
التهم

ومن مليح التهم والاستخاف قول أبي هفان :

سُلَيْمَانُ مَيْمُونُ النَّقِيَّةِ حَازِمٌ وَلَكِنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ الْمَزَامِ
أَلَا عَوْدُوهُ مِنْ تَوَالِي فُتُوْحِهِ عَسَاهُ تَرُدُّ الْعَيْنَ عَنْهُ التَّمَامِ

وفيه يقول ابن الرومي :

قَرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيَتَلَفُهُ
كَمْ يَبْعُدُ الْقَرْنَ بِاللِقَاءِ ؟ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلَفُهُ ؟
لَا يَعْرِفُ الْقَرْنَ وَجْهَهُ ، وَيَرَى قَفَاهُ مِنْ فَرَسَخٍ فَيَعْرِفُهُ

أخذ معنى البيت الأخير من قول الخارجي وقد قال له المنصور : أى أحمبى
كان أشد إقداماً فى مبارزتكم ؟ فقال : ما أعرف وجوههم ، ولكن أعرف
أقفاءهم ، فقل لهم يدبروا لأعرف .

أجود الهجاء

وأجود ما فى الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من
بعضها مع بعض ، فأما ما كان فى الخَلْقَةِ الجِسْمِيَّةِ من المعايب فالهجاء به دون
ما تقدم ، وقدامة لا يراه هجوا البتة ، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات
من النقص والفساد لا يراه عيباً ، ولا يعد الهجوبه صوابا ، والناس - إلا من
لا يُعَدُّ قِلَّةً - على خلاف رأيه ، وكذلك يوجد فى الطباع [وقد جاء] ما أكد
ذلك من أحكام الشريعة .

لأبي الحسن
فى الهجاء

وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبها بعض من رأى ذلك فيه
صوابا ، فقال :

وَخَلَّ لَا سَبِيلَ لَصَرْمِ حَبْلِهِ تَعَرَّضَ لِي بِحَتْفٍ فَرَطَ جَهْلِهِ
رَدَى الظَّنَّ لَا يَأْوِي خَلْقَ وَلَا يُؤْوِي إِلَيْهِ لِسُوءِ فَعْلِهِ
يُصَدِّقُ هَاجِسًا يَغْرَى ، وَيُغْرَى بِتَكْذِيبِ الْعِيَانِ لضعفِ عَقْلِهِ
وَيَشْنَأُ كُلَّ ذِي دِينٍ وَعِلْمٍ وَأَصْلُ ثَابِتِ لِفْسَادِ أَصْلِهِ

وكان السيد أبو الحسن في هذا الباب الذي سلكه من الهجاء كما قال وليُّ
إحسانه :

إذا لم تجد بداً من القولِ فانتصفِ بحد لسان كالحسام المهندِ
فقد يدفع الإنسانُ عن نفسه الأذى بمقوله ، إن لم يدافعه باليدِ

ويقال : إن أهجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بني يربوع رهط أهجى بيت
جرير :

قوم إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمْ قالوا لأهمهم : بُولى على النارِ

لأنه قد جمع فيه ضروباً من الهجاء : فنسبهم إلى البخل بوقود النار لثلاث
يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل
بالحطب ، وأخبر عن قتلها وأن بولةً تطفئها ، وجعلها بولة عجوز ، وهى أقل من
بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أهمهم وإبتذالها في مثل هذا الحال ، يدل بذلك على
العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك بيخلمهم
بالماء ، وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الأنصارى : إنه رماهم في هذا البيت
بالجوسية ؛ لأن الجوس لاترى إطفاء النار بالماء ، ولا أدرى أنا كيف هذا والبول
ماء غير أنه ماء نجس قدر ؟

وقيل لبني كليب : ما أشد ما هُجِيتُمْ به ؟ قالوا : قول البعيث :

ألسنتَ كليبياً إذا سيمَ خطةً أقر كإقرارِ الحليمةِ للبعلِ
وكلَّ كليبىَّ صحيفةً وجهه أذل لأقدامِ الرجالِ من النعلِ

وكان النابغة الجعدى يقول : إني وأوسا لتبتدر باباً من الهجاء ، فمن سبق
منا إليه غلب صاحبه ، فلما قال أوس بن مغراء :

لعمرك ما تبلى سرايلُ عامرٍ من اللؤمِ مادامت عليها جلودُها

قال النابغة : هذا والله البيت الذى كنا نتدره . والذى أراه أنا على كل

حال أن أشد الهجاء ما أصاب الغرض ، ووقع على النكته ، وهو الذي قال
خلف الأحمر بعينه .

(٨١) باب الاعتذار

وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره المقدار
إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ؛ فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجيباً ،
وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يمسح أعطافه ، ويستجلب رضاه ،
فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ ، لا سيما مع الملوك وذوى
السلطان ، وحقه أن يطف برهانه مدججاً في التضرع والدخول تحت عفو الملك ،
وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل ، ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب
سلطانه أو رئيسه ، ويُحِيلُ الكذب على الناقل والحاسد ، فأما مع الإخوان
فتلك طريقة أخرى

وقد أحسن محمد بن علي الأصبهاني حيث يقول :

العدرُ يلحقه التحريف والكذب وليس في غير ما يرضيك لي أرب
وقد أسأتُ فبالنعمَى التي سَلَفَتْ إلا مَنَنْتَ بعفوِ مالهُ سَبَبُ

وقال إبراهيم بن المهدي للمأمون في أبيات يعتذر إليه :

اللهُ يعلمُ ما أقولُ فإنها جهد الألية من مُقرِّ خاضع
ما إن عصيتك والغواة تمدني أسبابها إلا بِبِدْيَةِ طائع

وقد سلك أبو علي البصير مذهب الحجة وإقامة الدليل بعد إنكار الجناية ،

فقال :

لم أجنِ ذنباً فإن زَعَمْتَ بأن جَنَيْتُ ذنباً فغيرُ معتمدِ
قد تطرفُ الكفُّ عينَ صاحبها ولا يرى قطعها من الرشدِ

ونحوت أنا هذا النحو فقلت :

للمؤلف

للأصبهاني في
الاعتذار

لإبراهيم بن
المهدي

لأبي علي البصير

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ دَعَابَةً بَتَّ عَلَى نَارِهَا
وَإِنْ تَأْذَيْتُ فَيَارِبَمَا تَأْذَتْ الْعَيْنُ بِأَشْفَارِهَا

وأجّل ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائد النابغة الثالث :
اعتذارات النابغة الذبياني إحداهن :

* يادار مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسِّنْدِ (١) *

يقول فيها :

فلا لعمرُ الذي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَاهُرِيْقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرَ تَمَسَّحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسِّنْدِ
ما قلت من سَيِّءٍ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ إِذَا فَلَارَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي
إِذَا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مَعَاقِبَةً قَرَّتْ بِهَاعَيْنُ مِنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ (٢)
إِلَّا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيَّتْ بِهَا (٣) كَانَتْ مَقَالَتَهُمْ قَرَعًا عَلَى الْكَبِدِ
نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ
والثانية :

* أَرَسِمًا جَدِيدًا مِنْ سَعَادٍ تَجَنَّبُ (٤) *

(١) عجزه * أقوت وطال عليها سالف الأمد *

(٢) في الديوان « بالفند » وهو بفتحيتين : الكذب.

(٣) في الديوان شقيت بهم قرعا على كبدي .

(٤) لم أقف على هذا المطلع في نسخ الديوان التي بين يدي ، ولا في غيرها من
المراجع ، وكل ما وقفت على قوله أن بعض الرواة يذكر هذه الأبيات من كلمة أولها :

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب

فبت كان العائدات فرشن لي هراسا به يعلى فراشي ويقشب

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجاً بإحسانهم إليه :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبَةً وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّي خيَانَةً لمبلقك الواشي أعشُ وأكذب
ولكنني كنتُ امرأً إلى جانبِ من الأرض فيه مُستَرَادٌ ومهرب
ملوك وإخوان إذا مالقيتهم أَحَكَّمُ في أموالهم وَأَقْرَبُ
كفعلك في قوم أراك اصطفتهم فلم ترَهُمْ في شكرهم لك أذنبوا
فلا تَتَرُكْنِي بالوعيد كما نني إلى الناس مَطْلِي به القار أجرب
وذلك أن الله أعطاك سَوْرَةً ترى كل مَلِكٍ دونها يتذبذب
فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهن كوكب
والثالثة :

* عفا ذو حسي من فرّتنا فالقوارع^(١) *

يقول فيها بعد قَسَمِ قَدَمِهِ على عاداته :

لَسَكَلَفْتَنِي ذَنْبَ امرئٍ وتركته كذى العرِّ يُكْوِي غيره وهوراتع
فإن كنت لاذوا الضغن عنى مُكذِّبٌ ولا حَلِيفِي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بقول أقوله وأنت بأمرٍ لا محالة واقع
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خِلْتُ أن المنتأى عنك واسع
وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء : قال سَلَمُ الخاسِرُ يعتذر إلى

المهدى :

إني أعوذ بخير الناس كلهم وأنت ذاك بما نأتى ونجتنب
وأنت كالدهر مَبْتُوثًا حَبَائِلُهُ والدهرُ لا مَلَجًا منه ولا هَرَبُ
ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أَصْرِفُهُ في كل ناحية ما فاتك الطلَبُ

لسلم
الخاسر

(١) عامه * فشطاً أريك فالتلاع الدوافع *

فليس إلا أنتظاري منك عارفةً فيها من الخوف منجاةً ومنقلبُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله
بن عبد الله
بن طاهر

وإني وإن حدثت نفسي بأنتي أفوتك إن الرأى مني لعازبُ
لأنك لي مثل المكان المحيط بي من الأرض أسيئتني المذاهبُ

وإلى هذه الناحية أشار أبو الطيب بقوله :

للمتني

ولسكنك الدنيا إلى حبيبة فما عنك لي إلا إليك ذهابُ
إلا أنه حرف الكلم عن مواضعه .

لعلى بن جبلة

وأختار العلماء لهذا الشأن قول علي بن جبلة :

وما لمرىءٍ حاولته عنك مهربُ ولو رفعت في السماء المطالعُ
بلى هاربُ لا يهتدي لمكانه ظلامٌ ولا ضوء من الصبح ساطعُ

لأنه قد أجاد مع معارضته النابغة ، وزاد عليه ذكر الصبح ، وأظنه اقتدى بقول الأصبعي في بيت النابغة : ليس الليل أولى بهذا المثل من النهار وفي هذا الاعتراض كلام يأتي في موضعه من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

وأفضل من هذا كله قول الله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) .

لأبي الهول
الحميري

ووجد الفضل بن يحيى على أبي الهول الحميري فدخل إليه فأنشده :

كسأني وعيدُ الفضلِ ثوباً من البلى وإيعاده الموتُ الذي ماله رُدُّ
ومالي إلى الفضل بن يحيى بن خالد من الجرم ما يخشى على مثله الحقد
فجدُّ بالرضا لا أبتغي منك غيرهُ ورأيك فيما كنت عودتني بقدُّ

فقال له الفضل على مذهب الكتاب في تحرير الخطاب : لا أحتمل والله قولك : « ورأيتك فيما كنت عودتي » فقال أبو الهول : لا تنظر أعزك الله إلى قصر باعي ، وقلة تمييزي ، وافعل بي ما أنت أهله ، فأمر له بجال جسيم ، ورضى عنه ، وقرَّبه .

وفي اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون من المحو ، كأنك محوت آثار الموجدة ، من قولهم : اعتذرت المنازل ، إذا درست ، وأنشدوا قول ابن أحرر :

اشتقاق
الاعتذار

أَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتٍ فَقَدْ جَعَلْتُ
أَطْلَالَ الْفِكَ بِالْوَدِّ كَاءَ تَعْتَذِرُ^(١)

والثاني : أن يكون من الأقطاع ، كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة ، ويقولون « اعتذرت المياه » إذا انقطعت . وأنشدوا للبيد :
شهُورُ الصَّيْفِ وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ نَطَاقُ الشَّيْطَانِ مِنَ السَّمَاءِ
والقول الثالث : أن يكون من الحجز والمنع . . . قال أبو جعفر : يقال « عذرت الدابة » أي جعلت لها عذاراً يحجزها من^(٢) الشَّرَادِ ، فعني « اعتذر الرجل » احتجز ، وعذرتة : جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعتب عليه ، ومنه « تعذَّر الأمر » احتجز أن يُقضى ، ومنه « جارية عذراء » .

(١) قبل هذا البيت قوله :

بان الشباب وأفنى ضعفه العمر لله درك أي العيش تنتظر؟ !

هل أنت طالب شيء لست مدركه؟ أم هل لقلبك عن ألافه وطر؟

(٢) العذار - بوزن الكتاب - الاجام ، ويحجزها : يمنعها ، والشراد -

بكسر الشين - النفار والجماح .

(٨٢) — باب سيرورة الشعر ، والحظوة في المدح

الذين
سار شعرهم
في الجاهلية
وفي الإسلام

كان الأعشى أسيرَ الناسِ شعراً ، وأعظمهم فيه حظاً ، حتى كاد يُنسى الناسَ أصحابه المذكورين معه ؛ ومثله زهير ، والنابغة ، وامرؤ القيس ؛ وكان جرير نابغة الشعر مظفراً ، قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه رزق من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه ، وهو :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَصْيَافُ كَلْبَهُمْ قالوا لأهمهم : بُولِي على النار

وقال هو :

والتَّغْلَبِيُّ إِذَا تَنَحَّنَحَ لِلْقَرَى حَكَ أَسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَلَا

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته . قال الأصمعي : فحكاه له بسيرورة الشعر قال الحسين بن الضحاك الخليع : أنشدت أبا نواس قولي :

وشاطريّ اللسان مخلق التـكـريه شاب المـجـونَ بالنـسـكِ

إلى أن بلغت إلى قولي :

كأنا نُصَبُ كأسه قمرٌ يكرعُ في بعض أنجم الفلك

فنفر نفرة منكورة ، فقلت : مالك فقد أفزعتني ؟ !! فقال : هذا معنى مليح

وأنا أحقُّ به ، وسأرى لمن يروى ، ثم أنشدني بعد أيام :

إذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلتُهُ يقبلُ في داجٍ من اللَّيْلِ كوكبا

فقلت : هذه مصالته يا بأعلى ، فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأنا في الحياة ؟ !!

وأنت ترى سيرورة بيت أبي نواس كيف نُسِيَ معها بيت الخليع ، على أن

له فضل السبق ، وفيه زيادة ذكر القمر ، وقد أربى ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله :

بين الخليع
وأبي نواس

أَبْصَرْتَهُ وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْ أَمْلِي خَمْسٍ
وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يُقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

ولكن بيت أبي نواس أملاً للفم والسمع ، وأعظم هيبة في النفس والصدر
ولذلك كأن أسير .

وفي زماننا هذا قوم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .
وليس في العرب قبيلة إلا وقد نيل منها ، وهجيت ، وعيرت ؛ فخط الشعر بعضاً
منهم بموافقة الحقيقة ، ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ، ولا صادف
موضع الرمية .

فن الذين لم يحك فيهم هجاء إلا قليلاً على كثرة ما قيل فيهم : تميم بن مرة ،
وبكر بن وائل ، وأسد بن خزيمه ، ونظراؤهم من قبائل اليمن .

قبائل
لم يحك هجاؤهم
إلا قليلاً

ومن الذين شقوا بالهجاء ، ومزقوا كل ممزقٍ على تقدمهم في الشجاعة والفضل
أحياء من قيس : نحو غني و باهلة ابني أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، واسم غني
عمرة ، وكانوا موالى عامر بن صعصعة : يحملون عنهم الديات والنواب ، ونحو محارب
ابن خصفة بن قيس عيلان ، وجسر بن محارب^(١) حالفوا بني عامر بن ربيعة بن عامر
ابن صعصعة على لوم الحلف ، ومن ولد طابحة بن إلياس بن مضر : تميم وعسكل ابنا
عبد مناة بن أد ، صادف الشعر سباء كان وقع عليهم في الجاهلية ، فاستهانت العرب
بهم ، وانطبع الهجاء فيهم ، وعدى بن عبد مناة ، كانوا قطينا لحاجب بن زرارة ،
وأراد أن يستملكهم ملك رق بسجل من قبل المنذر ، والحبيطات ، وهم ولد الحارث
ابن عمرو بن تميم ، وسمى الحارث الحبيط لعظم بطنه ، شبهوه بالجل الحبيط ،
وهو الذي انتفخ بطنه مما رعى اتخلاً ؛ فأما سؤل فقد قال فيهم أبو زياد

قبائل شقيت
بالهجاء

(١) في الأصول « حسي بن مخالف » وجسر بن محارب : ابن خصفة بن قيس

الكلابي : كرام من كرام من صعصعة ، لم يحالفوا ، ولم يدخلوا في صغار ، وإنما كلمة عامر بن الطفيل التي حدثت هي التي شأمتهم ، يريد قوله « أَعْدَّة كغدة البعير وموت في بيت سلوية » قلت : أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يصنع بقول السموأل بن عادياء :

ونحن أناس لا نرى القتل سببةً إذا ما رأتهُ عامرٌ وسلول
والسموأل في زمان امرئ القيس ، وبين امرئ القيس ومبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة

قال الجاحظ : لم تمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم الدين حظوا بالمديح ، وكان عبد العزيز بن مروان أحظى في الشعر من كثير من خلفائهم ، قال : ولم يكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد ، وقد كان يزيد بن يزيد وعمه معن بن زائدة ممن أحظاه الشعر ، ولا أعلم في الأرض نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً . قلت أنا : أما هذه النعمة فقد أحلها الله مضاعفة عند السيد أبي الحسن ، وقرنهاً منه بالاستحقاق ، فقرت مقرها ، ونزات منزلها المختار لها ، وأحيا الله لبني شيبان حمداً لم يشبهُ ذم ، وجوداً لم يعقبه فدم ، مما زاد على يزيد ، ولم يدغ لمن معنى في الجود .

وقال غيره : كان عمر ^(١) بن العلاء ممدوحاً ، وفيه يقول بشار بن برد :

(١) هذا الاسم قد وقع في ترجمة أبي العتاهية من الأغاني (٣ / ١٤٤ بولاق) مع الأبيات السابق ذكرها في ص ١٣٣ من هذا الجزء « عمرو بن العلاء » بفتح العين وسكون الميم وبالواو الفارقة ، وكذلك وقع في ترجمة بشار بن برد من الأغاني (٣ / ٤٦) مع ثلث وثلاث هذه الأبيات وبيتين من أبيات أبي العتاهية ، وكذلك في مهذب الأغاني (٨ / ٤٨) ولكن أبيات بشار لا تستقيم إلا على قراءته بضم العين وفتح الميم وبدون واو ، وهو الصواب . وانظر - مع ذلك - ص ١٨٤ الآتية

قل للخليفة إن جنته نصيحا ولا خير في التهم
 إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمراً ثم نم
 فتى لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم
 دعاني إلى عمرٍ جوده وقول العشيبة بجرٍ خضم
 ولولا الذي زعموا لم أكن لأمدح ريجانة قبل شم

وله يقول أبو العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالا
 وقد مرت الأبيات فيما مضى من هذا الكتاب (٢) .

قال أبو عبيدة : لم يمدح أحد قط بنى كليب غير الخطيئة بقوله :

لعمرك ما المجاور في كليب بمقصي الجوار ولا مضاع
 هم صنعوا لجارهم وليست يد الخرقاء مثل يد الصنّاع
 ويحرم سرّ جارهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

مفاخر
 تميم

كانت قيس تفتخر على تميم ؛ لأن شعراءهم تضرب المثل بقبائل قيس ورجالها
 فأقامت تميم دهرًا لا ترفع رءوسها حتى قال لمبيد :

أبني كليب كيف تنفي جعفرٌ وبنو ضبيينة حاضرو الأجياب
 قتلوا ابن عروة ثم لطوا دونه حتى يحاكمهم إلى جواب
 يرعون منخرق اللديد كأنهم في العز أسرة حاجبٍ وشهاب
 متظاهري حلق الحديد عليهم كبنى زُرارة أو بني عتاب
 قوم لهم عرفت معدّ فضلها والفضل يعرفه ذوو الألباب
 وقال زبان بن منصور الفزاري :

فجاءوا يجمع محزئيل كأنهم
 بنو دارم إذ كان في الناس دارم

فتكلمت تميم وافتخرت ؛ لمكان هذين الشاعرين العظيمى القدر فى قيس ،
فدل هذا على أن قيساً أحظى بالمدح من تميم .

الأوابد
من الشعر

والأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال ، وأكثر ما تستعمل الأوابد
فى الهجاء ، يقال : رماها بأبدة ، فتكون الأبدة هنا الداهية ، قال الجاحظ :
الأوابد الدواهى ، ومنه أوابد الشعر ، حكاه عن أبى زيد ، وحكى :
الأوابد الإبل التى تتوحشُ فلا يُقدر عليها [إلا] بالعفر ، والأوابد الطير التى
تقيم صيفاً وشتاءً ، والأوابد الوحش ؛ فإذا حملت أبيات الشعر على ما قال
الجاحظ كانت المعانى السائرة كالإبل الشاردة المتوحشة ، وإن شئت
المقيمة على من قيلت فيه لا تفارقه كاقامة الطير التى ليست بقواطع ، وإن
شئت قلت : إنها فى بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش فى نفارها
من الناس .

المجدودون
فى التكسب
بالشعر

وأما المجدودون فى التكسب بالشعر والحظوة عند الملوك فمنهم : سلم الخناس
مات عن مائة ألف دينار ، ولم يترك وارثاً ، وأبو العتاهية صنع :

تعالى الله يا سلمُ بنَ عمروِ أذَلَّ الحِرْصُ أعْناقَ الرِّجالِ

وكان صديقه جداً ، فقال سلم : ويلى من ابن الفاعلة ، جمع القناطير من
الذهب ونسبى إلى ماترون من الحرص ، ولم يرد ذلك أبو العتاهية ، لكن
دعاه يعجبه كما يفعل الصديق مع صديقه ، ومروان بن أبى حفصة : أُعْطِيَ
مائة ألف دينار غير مرات ، وكان لا يقابل إلا بالكثير ، وهو لعمري من
ذوى البيوتات ، والمعرقين فى التكسب بالشعر ، وكان أبو نواس محظوظاً
لا يدرى ما وصل إليه ، لكنه كان مثلاً فاسمياً ، وكان يتساجل فى الإنفاق
هو وعباس بن الأحنف وصرير الغوانى ، وكان البحترى مَلِيّاً قد فاض
كسبه من الشعر ، وكان يركب فى موكب من عبيده ، وأبو تمام فإ وفى

حقه مع كثرة ما صار إليه من الأموال ؛ لأنه تبذل ، وجاب الأرض ، وكذلك أبو الطيب .

(٨٣) - باب ما أشكل من المدح والهجاء

لرجل
سعدى
أنشدنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الحسين بن إبراهيم
الأمدى ، لرجل من بنى عبد شمس بن سعد بن تميم :

تَضَيَّفَنِي وَهَنَا ، فَقُلْتَ : أَسَابِقِي إِلَى الزَادِ؟ سَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعَ
وَلَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ عُرْيَانٌ جَائِعٌ

لم يرد أنه يسبق ضيفه إلى الزاد فيكون قد هجا نفسه ، ولكنه وصف ذنباً
لقيه ليلاً ، فقال : أتسبقني أنت إلى الأكل ؟ أى : تأكلنى ، سَلَّتْ إِذْنُ أَصَابِعِي
إِنْ لَمْ أُرْمَكْ فَأَقْتَلِكْ فَأَكُلْ مِنْ لَحْمِكَ !! ثم قال على جهة المثل : لم تلق
للسعدى - يعنى نفسه - ضيفاً بقفرة لا مستعتب فيها - يعنى الذئب - إلا وهو جائع ،
يقول : فهو لا يبقى على لآنى بغيته .

ومن أناشيدهم :

عما أنشدوه

أَبُوكَ الَّذِي نُبِدَّتْ يُحْبِسُ خَيْلَهُ غَدَاةَ الْفَدَى حَتَّى يَجِفَّ لَهَا الْبَقْلُ

قالوا : إذا أخذ مطر الصيف الأرض أنبتت بقلا فى أصول بقل قد يبس
فذلك الأخضر هو النشر ، وهو الغمير ، فتأكله الإبل ، فيأخذها الشهاًم ، ولا
سهاًم فى الخليل ؛ فعابه بالجهل بالخليل .

وقال الأصمى : هذا القول خطأ ، بل مدحه بمعرفة الخليل ؛ لأن النشر مؤذٍ
لكل من يأكله وإن لم يكن ثم سهاًم .

وقال سليمان بن قنفة فى رثاء الحسين بن على رضى الله عنهما ، وذكر آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويروى للفرزدق :

لسليمان
ابن قنفة

أُولَئِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِيْمُوا سَيُوفَهُمْ ولم تكثر القتلى بها حين سُلِّتِ
 أراد لم يغمدوا سيوفهم إلا بعد أن كثرت بها القتلى ، كما تقول : لم أضربك
 ولم تجن على إلا بعد أن جنيت على ؛ وقال آخرون : أراد لم يسلوا سيوفهم
 إلا وقد كثرت بها القتلى ، كما تقول : لم ألقك ولم أحسن إليك إلا وقد
 أحسنت إليك ، والقولان جميعاً صحيحان ؛ لأنه من الأضداد .

كعم الكلب

وينشدون قول الآخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ

ويروى :

دُفِعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ أَلَا كَلُّ كَلْبٍ - لَا أَبَالَكَ - نَابِحٌ

قالوا : فالمدح أن يكون إنما يكعمه لثلاثا يَعْقِرُ الضيوف ، والذم أن يكون
 ذلك لثلاثا ينبح فيدل عليه الضيف ، وأنا أعرف هذا البيت في هجاء محضٍ للراعى
 هجأ به الخطيئة ، وهو :

أَلَا قَبِحَ اللَّهُ الْخَطِيئَةَ ؛ إِنَّهُ عَلَى كَلٍ مِنْ وَافِي مِنَ النَّاسِ سَالِحٌ

ويروى : * على كل ضيف ضافه فهو سالح *

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ

بِكَيْتٍ عَلَى مَذْقِ خَيْبِثِ قَرِيئَتِهِ أَلَا كَلَّ عَبْسِيَّ عَلَى الزَّادِ نَائِحٌ

وأنشدنا أبو عبد الله :

تَجَنَّبُكَ الْجِيُوشُ أبا خبيدٍ ووجد على منازلِكَ السحابُ

تجنب
الجيوش

ويروى : * أبا ربيب * قال : إن دعا له فإنما أراد أن يعاقب من الجيوش ،
 وأن يجوده السحاب فتخصب أرضه ، وإن دعا عليه قال : لا بقى لك خير تطمع
 فيه الجيوش ، فهي تتجنب ديارك لهمهم بقسلة الخير عندك ، ويدعو على
 محلته بأن تدرسها الأمطار .

وقال غيره : معناه جاد على مملكتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك أشد لهمك وغمك ، ويكون المعنى حينئذ كقول الآخر :

وخيِّفَاءَ ألقى الغيثُ فيها ذراعَهُ فسرَّت وساءتْ كُلُّ مَاشٍ ومصرم
أى : فسرت كل ماشية ، وساءت كل فقير .

وأنشد [أبو عبد الله] أيضا :

إني على كل إيسارٍ ومَعْسَرَةٍ أدعو حبيشاً كما تدعى ابنةُ الجبل
وروى المبرد : * أدعو حنيفاً *

ابنة
الجبل

يريد أنه يجيب بسرعة كالصَّدى ، وهو ابنة الجبل ، وقيل : ابنة الجبل الصخرة المنحدرة من أعلاه ، وزاد أبو زيد في روايته بيتاً ، وهو :

إِنْ تدعه مَوْهِنًا يَعْجَلُ بِجَابَتِهِ عَارِي الأشاجع يَسْمَى غَيْرَ مُشْتَمِلِ

فهذا مدح لا محالة ، ومنهم من حمّله على قول الآخر :

كَأَنِّي إِذْ دَعَوْتُ بَنِي حَنِيفِ دَعَوْتُ بدعوتى لهمُ الجبالا

ورواه قوم : * بنى سليم *

فن مدح جملة كالأول في سرعة الإجابة ، ومن ذمَّ نسبهم إلى الثقل عن إجابته مثل الجبال .

ومن الدعاء الذى يدخل في هذا الباب قول الآخر :

تَفَرَّقَتْ غَمَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لها : يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذَّنْبَ وَالضَّمْعَا

قيل : إنهما إذا اجتمعا لم يؤذيا ، وشغل كل واحدٍ منهما الآخر ، وإذا تفرقا آذيا ، وقيل : إن معناه فى الدعاء عليها قتل الذئب الأحياء عَيْثَمَا ، وأكل الضبع الأموات ، فلم يبق منها بقية .

ومن لطيف ما وقع فى هذا الباب قول النابغة الذبياني :

يَصُدُّ الشَّاعِرَ الثَّنِيَّانُ عَنِّي صُدُّودَ الْبَكْرِ عَنْ قَوْمِ هِجَانَ

الثنيان

لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفحل ، لكن أراد التصغير بالذي هاجاه ،
فجعله ثانياً ، وقال الآخر :

وَمَنْ يَفْخَرُ بِمِثْلِ أَبِي وَجَدِّي يَجِيءُ قَبِيلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانِي
أراد وهو ثان من عنانه ؛ لأنه يسبق متمهلاً .

ذو فجرات

وقال ابن مقبل :

إِذَا الرِّفَاقُ أَنَاخُوا حَوْلَ مَنْزِلِهِ حَلَمُوا بِذِي فِجْرَاتٍ زَنْدُهُ وَارِي

قال ابن السكيت « بذى فجرات » أى : يتفجر بالسخاء والعتاء ، ويدل

على ما قال ابن السكيت أن لصيق هذا البيت :

جَمُّ المَخَارِجِ ، أَخْلَاقُ الكَرِيمِ لَهُ ، صَلَّتِ الجَبِينِ ، كَرِيمِ الخَلَالِ مِفْوَارِ

بيضة البلد

وعما يمدح به ويذم قولهم « هو بيضة البلد » فمن مدح أراد بها أصل الطائر ،

ومن ذم أراد أنها لأصل لها ، قالت أخت عمرو بن عبدود فى على بن أبى طالب

رضى الله عنه لما قتل أخاها :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ تَقَدَّ بِكَئِثٍ عَلَيْهِ آخِرَ الأَبَدِ

لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَأ يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ البَلَدِ

فهذا مدح كما تراه .

وقال الراعى النميرى يهجو عدى بن الرقاع العاملى :

لَوْ كُنْتَ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجْوُكُمْ يَا ابْنَ الرِّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ

تَأْتِي قِضَاعَةُ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ البَلَدِ

وأشد بعض العلماء :

وَإِنِّي لظَلَامٌ لِأَشْعَثِ بَائِسٍ عَرَانَا ، وَمَقْرُورِ بَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ

وَجَارٍ قَرِيبِ الدَّارِ ، أَوْ ذِي جِنَايَةِ غَرِيبٍ بَعِيدِ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَفْرُ

يظنه السامع هجا نفسه بظلم هؤلاء الذين ذكر ، وإنما مدحها بأنه يظلم

الناقة فينحر فصيلها من غير علة ولا داء ، إلا لضيافة هذا الأشعث ، والجار ،
وأشباههما .

(٨٤) — باب في أصول النسب ويوتات العرب

أصل
الأنساب

أول النسب بعد آدم صلى الله عليه وسلم من نوح عليه السلام ؛ لأن جميع
من كان قبله قد هلك ، وإنما بقي من ولده سام ، وحام ، ويافت ؛ فولد يافت
الصقالبة ورجان والأشبان ، وكانت منازلهم أرض الروم ، من قبل أن تكون
الروم ، ومن ولده الترك ، والخزر ، ويأجوج ومأجوج ؛ وولد حام كوش
وكنعان وقوط ؛ فأما قوط فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده ، وأما
كوش وكنعان فأجناس السودان ، والنوبة ، والزنج ، والزعارة ، والحبشة ،
والقبط ، وبربر من أولادها ؛ وولد سام إرم ، وإرفخشذ ، فعاد بن عوض بن
إرم ، وطسم وجديس ابنا لاوذ بن إرم ، ومنهم العاليق ، ومنهم فراعنة مصر ،
والجبابرة ، ومنهم ملوك فارس ، وأجناس الفرس كلها ولده ، وعمود بن عابر بن
سام ، وماش بن إرم نزل بيبابل ، و [من] ولده نمرود الذي فرق الله الألسنة في
زمانه ، وهو الذي بنى الصَّرحَ بيبابل ، ويقال : إن النبط من ولد ماش ؛ ويقال
أيضاً : إنهم من ولد شاروخ بن فالغ بن إرفخشذ ، والأنبياء كلها عربها ومجميها ،
والعرب كلها يمينها ونزاريتها من ولد سام بن نوح ، حكى جميع ذلك ابن قتيبة ،
ومن ولد إرفخشذ قحطان بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ ، وكان مسكن قحطان
اليمين ، فكل يمانٍ من ولده ، فهم من العرب العاربة . ويقطن بن عابر ، وهو
أبو جرهم ، وكانت مساكن جرهم اليمين ، ثم نزلوا مكة فسكنوا بها ، وتزوج
إسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم ؛ فهم أحوال العرب المستعربة .

طبقات
العرب

قال الزبير بن بكار : العرب ست طبقات : شعب ، وقبيلة ، وعمارة ،

وبطن ، وفخذ ، وفصيصة : فمضر شعب ، وربيعة شعب ، ومذحج شعب ، وحمير شعب ، وأشباههم ، وإنما سميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها ، وسميت القبائل لأن العائر تقابلت عليها : أسد قبيلة ، ودودان بن أسد عمارة ، والشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون تجمع الأخاذ ، والأخاذ يجمع الفصائل : كنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة .

أصل تسمية
الطبقات

وزعم أبو أسامة — فيما رأيت بخطه ، وقد عاصرتة ، وكان علامة باللغة — أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خَلَقِ الإنسان الأرفع فالأرفع ؛ فالشعب أعظمها ، مشتق من شعب الرأس ، ثم القبيلة من قبلته ، ثم العمارة ، قال : والعمارة الصدر ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيصة ، قال : وهى الساق ، أو قال : للمفصل ، الشك منى أنا ، قال : والحى أعظم من الجميع ؛ لاشتمال هذا الاسم على جملة الإنسان .

وأما أبو عبيدة فجعل بعد الفخذ العشيرة ، قال : وهم رَهْطُ الرجل دنياً^(١) ثم الفصيصة ، قال : دون ذلك بمنزلة المفصل من الجسد ، وهم أهل بيت الرجل ، فأما البيوتات فكل يدعى لنفسه سابقة ، ويمتُُّ بفصيصة ، غير أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء ، وتداوله الرواة .

قال ابن الكلبي : كان أبى يقول : العدد من تميم فى بنى سعد ، والبيت فى بنى دارم ، والفرسان فى بنى يربوع ، والبيت من قيس فى غطفان ، ثم فى بنى فزارة ، والعدد فى بنى عامر ، والفرسان فى بنى سليم ، والعدد من ربيعة [فى بكر] والبيت والفرسان فى شيبان .

(١) فى الأصول « دينا » بتقديم الياء على النون ، والصواب العكس كما أثبتناه

مفاخر
القبائل

قال ابن سلام الجعفي : كان يقال : إذا كنت من تميم ففاخر بمخظلة ،
وكاثر بسعد ، وحارب بعمر ، وإذا كنت من قيس ففاخر بغطفان ، وكاثر
بهوازن ، وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر ففاخر بشيبان ، وكاثر بشيبان ،
وحارب بشيبان .

فرسان
العرب

قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ولا أعد ولا أكثر
فرساناً من بني ثعلبة بن عكابة ، وكان يقال له : الأغر والحصن ، وبنوه شيبان ،
وذهل ، وقيس ، وتيم الله . قال : ففارس غطفان الربيع بن زياد العبسي ، وفاتكها
الحارث بن ظالم ، وحاكمها هرم بن قطبة^(١) ، وجوادها هرم بن سنان المري ،
وشاعرها النابغة الذبياني ، وفارس بني تميم عتيب^(٢) بن الحارث بن شهاب أحد
بني يربوع ، وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبري ، وفارس دارم عمرو
ابن عمرو بن عدس ، وفارس سعد فدكي بن أعبد المنقري^(٣) ، وفارس الرباب
زيد الفوارس بن حصن الضبي ، وفارس قيس عامر بن الطفيل ، وفارس ربيعة
بسطام بن قيس .

بيوتات
العرب

قال أبو عبيدة : بيوت العرب ثلاثة : بيت قيس في الجاهلية بنو فزارة
ومركزه بنو بدر ، وبيت ربيعة بنو شيبان ، ومركزه ذو الجدين ، وبيت تميم
بنو عبدالله بن دارم ، ومركزه بنو زرارة .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد اليوم إلى الزبير قان بن بدر من
بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد ، وبيت بني ضبة بنو ضرار بن

(١) ويقال « قطنه » انظر (ج ١ ص ٥٣) .

(٢) هكذا في النسخ ، والمحفوظ « عتيبة » وشاهده قول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

(٣) هو جد عمرو بن الأهم لأمه ؛ فإن أم عمرو ميا بنت فدكي بن أعبد .

عمرو^(١) الرديم ، وبيت بنى عدى بن عبد مناة آل شهاب من بنى ملكان ، وبيت التميم آل النعمان بن جساس .

قال : وليس فى العرب جساس غيره .

قال الجحى : فارس اليمن فى بنى زبيد عمرو بن معدى كرب ، وشاعرها امرؤ القيس ، وبيتها فى كندة الأشعث بن قيس ، لا يختلف فى هذا ، وإنما اختلف فى نزار .

قال : وأما الشرف [ف] ما كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم إلى عهد النبى واتصل فى الإسلام .

قال أبو إياس البصرى : كان بيت قيس فى آل عمرو بن ظرب العدوانى ، ثم فى غنى فى آل عمرو بن يربوع ؛ ثم تحول إلى بنى بدر ، فجاء الإسلام وهو فيهم .

وقال الأخفش على بن سليمان : فرعا قريش هاشم وعبد شمس ، وفرعا غطفان بدر بن عمرو بن لوزان وسيار بن عمرو بن جابر ، وفرعا حنظلة رياح وعلبة ابنا يربوع ، وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وبكر ابنا كلاب ، وفرعا قضاة عذرة والحارث بن سعد .

(٨٥) — باب مما يتعلق بالأنساب

قال أبو عبيدة : قريش البطاح قبائل : كعب بن لؤى بن عبد مناف قريش البطاح وبنو عبد الدار وعبد العزى ابنا قصى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو مخزوم ابن يقظة ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو جمح وسهم ابنا هصيص بن كعب ، وبعض بنى عامر بن لؤى .

(١) قال المجد فى القاموس : « والرديم كأمير : لقب فارس منهم » اهـ .

قريش
الظواهر
ألقاب لبعض القبائل
الأحباش

وقريش الظواهر : بنو محارب والحارث ابنا فِهْرِ ، وبنو الأذرم بن غالب ابن فِهْر ، وعامة بنى عامر بن لؤى ، وغيره .

كان يقال : مازن غسان أرباب الملوك ، وحمير أرباب العرب ، وكندة كندة الملك ، ومذحج مذحج الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل ، والأزد أسد البأس ، والدُّهْلان : أحدهما ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة ويشكر ، والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة ، واللاهزمتان : إحداهما عِجْل وتيم اللات ، والأخرى قيس بن ثعلبة وعَنْزَةَ ، وكلهم من بكر بن وائل ، إلا عنزة بن أسد بن ربيعة .

الأحباش : حلفاء قريش .

المطيون
الأحلاف

قال ابن قتيبة : هم بنو المُصْطَلِق ، والحياض بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمية : اجتمعوا بذنب حُبْشَى - وهو جبل بأسفل مكة - فتحالفوا بالله إنا ليدٌ على غيرنا ما سَجَا ليلٌ وأوضح نهار ، وما أرسى حبشى مكانه ^(١) .

وقال حماد الراوية : إنما سُمُّوا بذلك لاجتماعهم ، والتحابس : هو التجمع في كلام العرب .

المطيون : عبد مناف ، وزهرة ، وأسد بن عبد العزى ، وتيم ، والحارث ابن فِهْر ، وعبد قُصَى .

الأحلاف

الأحلاف : مخزوم ، وعدى ، وسهم ، وجمح ، وعبد الدار .

سموا أولئك المطيبين لخلق صنعته لهم أم حكيم فغمسوا أيديهم فيه ، وسموا الآخرون أحلافا لجزور نحره ، فدافوا دمه في جفنة فمسه بأيديهم ولعقوا منه ، وسموا «الأحلاف» و«لعقة الدم» .

الأراقم

والأراقم : جُشَم ، ومالك ، وعمرو بن ثعلبة ، ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل ، قال أبو علي : ليس في العرب نصرانى غيره .

(١) في القاموس « ووضح نهار ، ومارسا - إلخ » .

البراجم : خمسة بطون من بني حنظلة : قيس ، وغالب ، وعمرو ، وكلفة ، والظليم ، وهو مرة ؛ تبرجموا على إخوتهم يربوع وربيعه ومالك ، وكلهم أبوهم حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم بن مرة .

الثعلبات : ثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وثعلبة بن عدى بن فزارة ، وأضاف إليهم قوم ثعلبة بن يربوع .

الرباب : هم ضبة بن أد بن طابخة ، وتيم ، وعدى ، وعوف — وهو عكَلٌ — وثور ، وكل هؤلاء بنو عبد مناة بن أد بن طابخة^(١) :

الأجارب : خمس قبائل من بني سعد : وهم ربيعة ، ومالك ، والحارث — وهو الأعرج — وعبد العزى ، وبنو حمار .

الحرام : بنو كعب بن سعد بن زيد مناة .

الضباب : هم أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسِل ، وحسَيْل ، بنو معاوية بن كلاب ، كذا زعم ابن قتيبة وغيره .

وقال أبو زيد السكلابي ، وهو أعلم بقومه : هم بنو عمرو بن معاوية بن كلاب ، وإنما سموا ضباباً لأنه سمي فيهم ضبا وحسلا وحسيلا ، فقال له الرجل وسمعه يهتف بهم : والله ما بنوك هؤلاء إلا الضباب ، فسمو الضباب إلى اليوم ؛ قال : ومن ولد عمرو بن معاوية بن كلاب : ضب ، وحسل ، وحسيل ، وحصن ، وحصين ، وخالد ، وعبد الله ، وقاسط ، والأعراف ، وتولب ، وشقيق ، وخزيم ، والوليد ، وزهير ؛ فهؤلاء أربعة عشر لم تدرج منهم قبيلة ، وهم الضباب جميعاً .

(١) قال المرتضى : « والرباب أحياء ضبة ، وهم تيم وعدى وعكَل ، وقيل : تيم وعدى وعوف وثور وأشيب ، وضبة عمهم . سمو بذلك لتفرقهم ؛ لأن الربة الفرقة ولذلك إذا نسبت إلى الرباب قلت ربي ، فترده إلى واحده » ١ هـ .

الأكابر

الأكابر : شيبان ، وعامر ، وجليحة ، والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب
ابن علي بن بكر بن وائل .

بنو أم البنين

بنو أم البنين : عامر ، والطفيل ، وربيعة ، وعبيدة ، ومعاوية ، بنو مالك
ابن جعفر بن كلاب ، هكذا عند أكثر الناس ، قالوا : وإنما اضطرت^(١) القافية
ليبدأ فجعلهم أربعة وهم خمسة .

وقال أبو زيد الكلبي ، وهو أعلم بقومه : إن بني أم البنين أربعة ،
كما قال ليبيد : ابتكرت عامراً ملاعب الأسنمة ، وثنت بالطفيل ، ثم تزوج عليها
مالك سلامة السَّامِيَّة ، فغارت أم البنين وأسقطت له ثلاثة ذكوراً ، وجاءت السامية
بثلاثة ، وهم : سلمى ، وعبيدة ، وعتبة ، فأدار مالك الخيلة على أم البنين وأخيها
زهير بن خِدَاش بن زُهَيْر ، حتى أخذ عليها حكماً بأن لا تسقط ولداً وكانت حاملاً
فولدت معاوية مَعُوذَ الحِمْيَرِ^(٢) ، ثم ثَنَّتْ بربيعة أبي ليبيد ، وزعم بعض شيوخه
الذين أخذ عنهم أنه سمي مَعُوذَ الحِمْيَرِ^(٢) من أجل أنه تولى حكماً عن زهير بن
عمرو على أخيه ، وروى أبيات معاوية التي من أجلها سمي مَعُوذَ الحِمْيَرِ^(٢)

(١) في قوله أمام النعمان بن المنذر :

نحن بني أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعه
وانظر هذا الكتاب (ج ١ ص ٥١) .

(٢) مَعُوذَ الحِمْيَرِ - بالذال المعجمة كما في اللسان عن ابن بري - والذي في
القاموس وشرحه « مَعُوذَ الحِمْيَرِ » بالذال مهجلة ، ومنهم من يلقبه « مَعُوذَ
الحملاء » جمع حليم - باللام - ومنهم من يلقبه « مَعُوذَ الحِمْيَرِ » والذي في القاموس
أولى ، قال : « مَعُوذَ الحِمْيَرِ لقب معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب لقوله :

أعود مثلها الحِمْيَرِ بعدى إذا ما الحق في الأشياخ نابا

ونابا : عمراً ، ويروى في مكانه « بانا » أي ظهر ، ويروى في مكان الشطر الثاني

* إذا ما معضل الحدثنان نابا » اهـ ، مع زيادات من الشرح ، وفيه بعض تصرف
وانظر ص ٢٢١ الآتية

لزید الخلیل ، غیر أنه لم ینشد البیت ، وزعم أنه ناقض بها طَفِيلاً
الغَنَوِيَّ .

قال : وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء .

الكلمة : بنو زياد العَبْسِيُّون ، وهم : أنس الحفاظ ، ويقال له أيضاً : أنس
الفوارس ، وعمارة الوهَّاب ، وربيعة الكامل ، وقيس الجواد ، هكذا روينا
عن النحاس .

قال المبرد وغيره : ربيعة الحفاظ ، وعمارة الوهاب ، وأنس الفوارس ، أمهم
فاطمة بنت الخُرَشْبِ الأُمَّارِيَّة .

الحمس : هم قریش ، وكنانة ، ومن دَانَ بدينهم من بني عامر بن صعصعة .
قال أبو عمرو بن العلاء : الحمس من بني عامر : كلاب ، وكعب ، وعامر ،
بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمهم مجد بنت التيم الأدرم بن غالب بن فهر
ابن مالك ، وكانوا في الجاهلية يتحمسون في أديانهم ، أي : يتشددون ، لا يستظلون
أيام مَنِيٍّ ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، وقيل : سموأحمساً لشدة بأسهم ، ويعدون
في الحمس خزاعة .

العنابس : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ،
بنو أمية بن عبد شمس .

والأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وبنوه أيضاً
أم القبائل : هند بنت تميم بن مر ، ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله ، وأوس
الله ، وعائذ الله ؛ وولدت لوائل بن قاسط بكراً ، وتغلب ، وعنزا ، وقيل :
هو عنز بن وائل ؛ وولدت لعبد القيس بن قصي اللبوك بن عبد القيس ، وبعضهم
يقول : اللبوء - بالهمز وبضم الباء - وفيه اختلاف بين العلماء .

الجمرات : جمرات العرب : ضبة ، وعبس ، والحارث بن كعب ؛ سموا بذلك

لأن أهمهم الخشنة بنت برة — فيما يقال — رأت في المنام كأن ثلاث جمرات خرجت منها ، قال أبو عبيدة : فطفئت من الجمرات اثنتان : الحارث بن كعب حالفت في غطفان ، وضبة حالفت الرباب وسعداً ، وبقيت عبس لم تطفأ ؛ لأنها لم تحالف ، وأما الجاحظ فجعلها عبسا وضبة ونميراً . وأشار إلى أن في تميم جماراً أيضاً ، وصرح بذلك المفضل ، فقال : هم بنو يربوع ، وزعم الفرزدق أنهم بنو العدوية ، نسبوا إلى أهم ، وهم زيد ، وصدى ، وجشيش ، بنو مالك بن حنظلة ، وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن خزيمة بن تميم بن جل بن عبد مناة بن أد ، غير أنهم جعلوا مكان جشيش يربوعاً ، ومن الجمرات التي لم تطفأ عند بعضهم نمير ابن عامر بن صعصعة ؛ لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب .

قال الجاحظ : إنما قيل لكل واحد منها جمره ؛ لأنهم تجمعوا حتى قووا على عدوهم واشتدوا ، قال : ويجوز أن يكون اشتقاقه من تجمير المرأة شعرها ، وإذا ضفرتة قيل : قد جمرته ؛ وقال غيره : ومنه « خف مجر » إذا كان مجتمعاً شديداً .

بنو طهية طهية بنت عبشمس بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوفاً ، وأبا سود ، وربيعة ، وآخر لم يعرفه ابن الكلبي ، فعرف أولادها بها .

الموالى للموالى : مولى اليمين المحالف ، ومولى الدار المجاور ، ومولى النسب ابن العم والقراية . قال الشاعر :

نبئت حياً على نعمان أفردهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب

(٨٦) — باب ذكر الوقائع والأيام

فد أثبت في هذا الباب ما تأدى إلى من أيام العرب ووقائعهم ، مستخرجة من التقائض وغيرها ، ولم أشرط استقصاءها ، ولا ترتيبها ؛ إذ كان في أقل مما

جئتُ به غِنَى وَمَقْنَع ، ولأن أبا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرتُ ؛ فإنما هذه القطعة تذكرة للعالم ، وذريعة للمتعلم ، وزينة لهذا الكتاب ، ووفاء لشرطه ، وزيادة لحسنه ؛ إذ كان الشاعر كثيراً ما يؤتى عليه في هذا الباب ، وأنا أذكر ما علمته من ذلك في أقرب ما أقدر عليه من الاختصار إن شاء الله تعالى ، بعد أن أقدم في صدره أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقائعه مع المشركين ؛ لأنه أولى بالتقديم ، وأحق بالتعظيم ، ولما أرجوه من بركة اسمه ، وافتتاح القصص بذكره .

مغازي
الرسول

غزارة رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة «وَدَّان» على رأس الحول من الهجرة ، ثم غزاة عيرا القريش بعد شهر وثلاثة أيام ، ثم غزاة في طلب كرز بن حفص حتى بلغ بدرأً بعد عشرين يوماً ، ووجهت القبلة إلى الكعبة ، ثم غزاة «بدرأ» فكان يوم بدر ستة عشر يوماً خلت من شهر رمضان من سنة اثنتين ، وكان المشركون يومئذ تسعمائة وخمسين رجلاً ، والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، فقتل من المشركين خمسون رجلاً ، وأسروا أربعة وأربعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .

يوم أحد : كان في شوال من سنة ثلاث . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ، وقريش في ثلاثة آلاف ، وفي هذه الغزوة استشهد حمزة رضي الله عنه .

يوم الخندق : كان في سنة أربع

يوم بني المصطلق وبنو لحِيان : في شعبان سنة خمس

يوم خيبر : في سنة ست

وكان يوم «مؤتة» في سنة ثمان ، واستشهد فيه زيد بن حارثة أمير الجيش ، وجعفر بن أبي طالب أمير الجيش أيضاً بعده ، وعبد الله بن رَوَاحَة

أمير الجيش بعدها ، وقام بأمر الناس خالد بن الوليد ، وكانوا في ثلاثة آلاف .

وكان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان ، وبعده بخمس عشرة ليلة سار إلى « حُنَيْن » في شوال ، ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هَوَازِنَ في شوال للنصف منه ، فانهزم المسلمون ، وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وأبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه ، وأيمن بن عبد الله ، وهو ابن أم أيمن ، واستشهد ذلك اليوم ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وفي رواية أخرى أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، وابنه ، وأبوسفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وأيمن ، وأسامة ، ثم رجع الناس من وقتهم ، وانهزم المشركون ، وكانت الكفرة عليهم الله ولرسوله .

ثم سار بعد حنين إلى « الطائف » فحاصرها شهراً ، ولم يفتحها ، وغزا بلد الروم في رجب من [سنة] تسع ؛ فبلغ تبوك وبنى بها مسجداً ، وهو بها إلى اليوم وفتح الله عليه في سفره ذاك « دومة الجندل » على يدى خالد بن الوليد ، وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة ، وإياه قلدت فيما رأيت من هذه الطريقة ، والله المستعان ، وعليه توكلت

يوم إراب وهذه أيام العرب : يوم « إراب » ^(١) لبني ثعلبة بن بكر : رئيسهم الهذيل بن حسان ، علي بن رياح بن يربوع ، وكان الهذيل سبي نساء بني

(١) إراب - بكسر الهمزة وآخره باء موحدة - قال ياقوت : بخط اليزيدي في شرحه « إراب ماء لبني رياح بن يربوع بالحزن » اهـ .

رياح ، والتقى بهم على إراب ، وقد سبقه بنو رياح إليه لينموهم الماء ، حتى يرد السبي ، فأقسم الهذيل : لئن رددتم إلينا ماء فارغاً لنا تينكم فيه برأس إنسان تعرفونه فاشترؤا منه بعض السبي ، وأطلق البعض .

يوم «نعف فشاوة» لبسطام بن قيس رئيس بني شيبان ، على بني يربوع ، قتل فيه بجيراً ، وأسر أباه أبا ملييل ، ثم من عليه من وقته ، وترك له مليلا ولده ، وكان أسيراً عنده بعد أن كساه وحمله .

يوم «نجران» للأقرع بن حابس في قومه بني تميم ، على اليمن ، هزمهم وكانوا أخلاطاً ، وفيهم الأشعث بن قيس ، وأخوه ، وفيهم ابن باكور السكلاعي الذي أعتق في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعة آلاف أهل بيت في الجاهلية أسروا .

يوم «الصمد»^(١) وهو يوم «طلح» ويوم «بلقا» ويوم «أود» ويوم «ذى طلوح» كلها يوم واحد ، لبني يربوع على بني شيبان ورئيسهم الحوفزان ، ورئيس الهازم أبحر بن بجير^(٢) العجلي .

يوم طخفة^(٣) وهو أيضاً يوم «ذات كهف» ويوم «خزاز» في قول بعضهم لبني يربوع والبراجم على المنذر بن ماء^(٤) السماء ، أسروا فيه أخاه حسان ، وابنه قابوس ، وجزّت ناصية قابوس ، وكان ذلك بسبب إزالة الرّدافة عن عوف بن عتاب الرياحي

(١) الصمد - بفتح فسكون - أصله الصلب من الأرض .

(٢) الذي في ياقوت «أبحر بن جابر العجلي» .

(٣) طخفة - بكسر الطاء وروى بفتحها مع سكون الحاء - موضع بعد النجاج

وبعد إمرة ، في طريق البصرة إلى مكة ، وقال الأصمعي : جبل أحمر طويل حذاءه برّ ومنهل .

(٤) في ياقوت «على قابوس بن المنذر بن ماء السماء» .

يوم المروت

يوم « المروت »^(١) : وهو يوم « إرم الكلبة » نقاً قريب من النجاج ،
ابني حنظلة وبنو عمرو بن تميم ، على بنى قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة ، وكان الذكرك فيه لبنى يربوع ، وإنما أغارت قُشَيْر على بنى العنبر فاستنقذ
بنو يربوع أموال بنى العنبر وسَيَّيهم من بنى عامر

يوم مليحة

يوم « مليحة »^(٢) : ابني شيبان على بنى يربوع ، رئيسهم^(٣) بسطام بن
قيس ، وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار ، فلما رآه بسطام قال : ما قتل هذا
إلا لتشكّل رجلا أمه ، فقتل به يوم العظالي قاتله الهبش بن المقعاس

يوم اللوى

يوم « اللوى » : لفزارة على هوازن ، وفيه قتل عبد الله بن الصمة ، وأُخِن
أخوه دَرِيد

يوم
الصليفاء

يوم « الصليفاء »^(٤) : لهوازن على فزارة وعَبَس وأشجع ، وفيه قتل دريد
بأخيه ذؤاب بن أسماء .

يوم الهباءة

يوم « الهباءة »^(٥) : وهو « يوم الجفر » لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة

(١) المروت - بفتح الميم وتشديد الراء مضمومة وبعد الواو تاء مشناة - اسم
نهر ، وقيل : واد بالعالية كانت فيه الواقعة .

(٢) مليحة - على زنة المصغر - اسم جبل في غربي سلمى أحد جبلي طيء ، وبه
آبار كثيرة وملح ، وقيل : مليحة موضع في بلاد تميم .

(٣) هو رئيس بنى شيبان .

(٤) كذا هو في الأصول ، وليس صحيحا ، وإنما الصحيح « الصلعاء » بالعين
المهملة بعد اللام . قال أبو محمد الأسود : أعار دريد بن الصمة على أشجع بالصلعاء
وهى بين حاجر والنقرة « اه من ياقوت ، والصلفاء : يوم غير هذا .

(٥) الهباءة : هى أرض ببلاد غطفان كانت فيها الواقعة ، وجفر الهباءة :
مستنقع فى هذه الأرض .

ابن بدر وأخوه حَمَل سيدا بنى فزارة ، وكان يقال لحذيفة «رب معدّ» .

يوم «عُرَاعِر^(١)» : لتلبس على كلب وذبيان ، وفيه قتل مسعود بن مصاد يوم عراعر الكلابي ، وكان شريفاً .

يوم «الْفَرُوق^(٢)» : بين عبس وبنى سعد بن زيد مناة ، قاتلوهم فمُنعت عبس أنفسها وحرّيمها ، وخابت غارة بنى سعد ، وقيل لقيس بن زهير - ويقال عنتره - : كم كنتم يوم الفَرُوق ؟ قال : مائة فارس كالذهب ، لم نكثر فنفشل ولم نقل فنذل .

يوم «شعب جَبَلَة^(٣)» : قال أبو عبيدة: كانت عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربّيعه ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذى قار ، وكان يوم الشعب لبنى عامر ابن صعصعة وعبس حلفائهم على الحليفين أسد وذبيان ، ورئيسهم حصن بن حذيفة يطلب عبساً بدم أبيه ، وتطلب عبس بن بغيض بدم أبيهم ، ومعهم معاوية بن الجون الكندى فى جمع من كِنْدَة ، وعلى بنى حنظلة بن مالك والرّباب رئيسهم يقيط بن زُرارة يطلب بدم مَعْبَد أخيه ، ويثري بن عدس ومعهم حسان بن الجون أخو معاوية - وقيل: بل عمرو بن الجون - وحسان بن مرة الكلابي أخوالنعمان ابن المنذر لأمه .

وقال غير أبى عبيدة : كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن الحارث

(١) عراعر - بضم العين المهملة الأولى وكسر الثانية - ماء لـ كلب بناحية الشام .

(٢) الفروق - بفتح الفاء - عقبة دون هجر إلى نجد بين هجر ومهب الشمال .

(٣) قال ياقوت : « جبلة - بالتحريك - اسم لعدة مواضع : منها جبلة -

ويقال : شعب جبلة - الموضع الذى كانت فيه الموقعة المشهورة بين بنى عامر وتميم

وعبس وذبيان وفزارة . وجبلة هذه هضبة حمراء بنجد بين الشريف - مصغرا -

والشرف . والشريف : ماء لبنى نمر ، والشرف : ماء لبنى كلاب .

ابن عمرو بن آكل المرار ، ومع بنى حنظلة والرباب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها ، وهم الرابطة ، وجاءت بنو تميم فيهم لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو ، ولم يتخلف منهم إلا بنو سعد ؛ لزعهم أن صعصعة هو ابن سعد ، ولم يتخلف من بنى عامر إلا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر ، وشهدت غني وباهلة وناس من بنى سعد بن بكر وقبائل بجيلة إلا قشيراً ، وشهدت بنو عيس بن رفاعة ابن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد معهم نفر من عسكل ، فانتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً .

وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ولم يجتمع قط في الجاهلية جمع مثله ، فانهزمت تميم وذبيان وأسد وكندة ومن لف لفهم ، وقتل لقيط بن زرارة ، طعنه شريح بن الأحوص ، فحمل مرتثاً مات بعد يوم أو يومين ، وأسر حسان بن الجون ، أسره طفيل بن مالك ، وأسر معاوية بن الحارث بن الجون ، أسره عوف بن الأحوص ، وجز ناصيته وأطلقه على الثواب ، ولقيه قيس بن زهير فقتله ، وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرقيصة مالك بن سلمة بن قشير ، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس ، أسره قيس بن المنتفق ، فجز ناصيته وأطلقه على الثواب ، وكان يوم جيلة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، وفي يوم الشعب ولد عامر ابن الطفيل ، هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة ، وروى عنه غيره خلاف ذلك .

يوم أقرن : « أقرن » : لبني عيس على بنى تميم ، وبخاصة بنى مالك بن مالك بن حنظلة ، وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس ، وابنه شريح ، وأخوه ربيعي ، وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان بن المنذر ، فسبى سبياً من

عبس ، وغنم مالا ، وابتنى بجارية من السبي ، فأدر كته عبس فكان من أمره ما كان .

يوم « زُبَالَةَ » ^(١) : لبني بكر بن وائل ، وبخاصة بني شيبان وبنى تميم الله ، رئيسهم بسطام ، على بنى تميم ورئيسهم الأفرع بن حابس ، أسرف فيه الأفرع وأخوه فراس ، واستنقذها بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة .

يوم « جَدُود » ^(٢) : لبني سعد بن زيد مَنَاءَ على بنى شيبان ، وكانت بنو شيبان أغارت مع الحَوْفَزَانِ على سعد ، فأدر كهم قيس بن عاصم المنقري فقتلهم واستنقذ ما كان في أيديهم ، وفاته الحوفزان لصلابة فرسه ، فلما يؤس من أسره حفزه بالرمح في خزانة وركه فانتقضت عليه بعد حول فمات منها ، وسالت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وفضل ثياب ، فعيرتهم بذلك منقر .

يوم الكلاب الأول : لسهلة بن الحارث بن عمرو المَقْصُور ، ومعه بنو تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مَنَاءَ والصنائع ، على أخيه شرحبيل الأول

(١) زباله - بضم الزاي - قال ياقوت : « منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية ، وقال أبو عبيد السكوني : زباله بعد القاع من الكوفة ، وقبل الشقوق ، فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بنى أسد . ويوم زباله من أيام العرب ، قالوا : سميت زباله بزبلها الماء أى بضبطها له ، وقال ابن الكلبي : سميت زباله باسم زباله بنت مسعر امرأة من العمالة نزلتها » اهـ .

(٢) جدود - بفتح الجيم - اسم موضع في أرض بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سمت اليمامة . . . وكانت فيه وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب اهـ من ياقوت .

ابن الحارث بن عمرو ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً ، وإنما تَرَبَّبُوا بعد ذلك ، حكاه أبو عبيدة ، فُقْتِلَ شرحبيل : قتله أبو حنش عاصم ابن النعمان الجُشَمِي ، ويقال : بل قتله ذو الثنية حبيب بن عتبة الجشمي ، وكانت له سن زائدة ، وهو أخو أبي حنَشٍ لأمه ، وهي سلمى بنت عدى بن ربيعة أخي مهلهل ، هكذا أثبتوا في هذا الموضع أن عديا أخو مهلهل ، ويسمى الكلاب الأول أيضاً .

يوم الشعبية
(الكلاب
الثاني)

يوم « الشعبية^(١) » [وهو] يوم « الكلاب الثاني » لبني تميم وبني سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم ، على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفاً رئيسهم زيد بن المأمور ؛ وهو مذحج وهمدان وكندة ، وفي هذا اليوم أسر عبد يَفُوثَ بن وَقَّاصِ الحارثي وهُتَمَ فم سمي بن سنان ، بعد أن أسر رئيس كندة : هَتَمَه قيس بن عاصم بقوسه ، وانتزع عبد يَفُوثَ من يدي الأهتم بعد أن شرط للأسور لموصله إليه مائة ناقة من الإبل ، انتزعته التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس ، وكان قد قتل ذلك اليوم ، وسمى الكلاب الثاني أيضاً .

يوم
حر الدوابر

يوم « حر الدوابر » قال أبو عبيدة : لم يشهد من تيم إلا الرباب وسعد خاصة ، وكان الغناء من الرباب لتيم ، ومن سعد لمقاعس .

يوم
ذى بيض

يوم « ذى بيض » أغار الحوفزان على بني يربوع فسبى نسوة منهم ، فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة ، واستنقذوا النسوة ، وأسروا الحوفزان : أسره حنظلة بن بشر بن عمرو ، وزعم قوم أن هذا اليوم يوم « الصمد » .

(١) شعبية - بضم ففتح - واد أعلاه من أرض كلاب ، ويصب في سد قناة ، وهو واد .

يوم
عاقل

يوم « عاقل » : لبني حنظلة على هوازن ، وفيه أسر الصمّة بن الحارث ابن جُشم ، وهزم جيشه ، وكان الذي أسره الجعد بن الشماخ أحد بني عدى ابن مالك بن حنظلة ، ثم أطلقه بعد سنة ، وجز ناصيته على أن يثيبه ، فأناه على الثوب فضرب الصمة عنقه ، ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث ابن نبيه الجاشعي ، وأسّر رجل من بني أسد - وكان نزيلا عند ابن أخت له في بني يربوع - ابناً للصمة ، فافتدى الصمة نفسه ، ومضى مع ابن نبيه في فداء ابنه إلى الأسد النازل في بني يربوع ، فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله ؛ لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية ، فبنو مجاشع تُعَبِّرُ بذلك .

يوم
عينين

يوم « عَيْنَيْنِ ^(١) » : لبني نَهْشَلِ على عبد القيس ، منعوا فيه بني منقر وقد خرجوا مُتَّارِينَ من البحرين ، فعرضت لهم عبد القيس ، واستعاثوا ببني نهشل فحوهم واستنقذوهم .

يوم
قلهي

يوم « قَلْهَى ^(٢) » : منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن عبس الماء وغلبتهم عليه بعد إصلاح فزارة ومرة ، حتى أخذوا دية عبد العزى بن حذار ومالك بن سبيع .

يوم
بزاحة

يوم « بَزَاخَةَ » : لبني ضبة على محرق الغساني وأخيه فارس مودود ، أغاروا

(١) عينين ، هذا هو صوابه على صورة مثنى العين ، ووقع في الأصول خطأ « عينين » قال أبو عبيدة : عينان بهجر ، وكان بها بين بني منقر وعبد القيس وقعة وفيها يقول الفرزدق :

ونحن كففنا الحرب يوم ضرية ونحن منعنا يوم عينين منقرا
(٢) قلهي - بفتح القاف والسلام جميعا فيما ذكر سيويوه ، وذكر غيره أن السلام ساكنة - وفيه وفي هذا اليوم يقول معقل بن عوف الثعلبي :
تظل دماؤهم ، والفضل فينا ، على قلهي ونحكهم مانريد

على بني ضبة ببزاحة في طوائف من العرب من إياد وتغلب وغيرهما ، فأدركتهم بنو ضبة ، فأسرَ زيد الفوارس مُحَرَّقًا ، وأسرَ أخاه حنش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزمَ مَنْ كان معهما ، وقتل معهما عدة .

يوم إضم

يوم « إضم » : لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث ابن مُزَيَّقِيَا الملك الغَسَّالِي ، وهو عمرو بن عامر ، وفيهم كان ملك غسان بالشام في آل جَفَنَةَ ... علثة بن عمرو بن عامر قتل بني عائذة قتلا ذريعا ، وفي ذلك اليوم قتل الرديم ، وحمل رجل من بني عائذة بن قيس يدعى عامر بن ضامر فقال : والله لأطعنن طعنة كمنخر الثور النعر ، ثم قصد ابن مُزَيَّقِيَا فطعنه فقتله وانهمزم أصحابه هزيمة فاحشة ، وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم « بزاحة » .

وقال آخرون : بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا ، وزعم غيرهم أيضا أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده ، والله أعلم .

يوم تقا الحسن

يوم « تقا الحسن ^(١) » : الحسن شجر ، سمي بذلك لحسنه ، وقيل : هو جبل ، وهذا اليوم لبني ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل ، وفيه قتل بسطام بن قيس : قتله عاصم بن خليفة أخو بني صباح ، وكان رجلا أعسرَ فأصاب صدغه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن .

يوم أعيار

يوم « أعيار » : وهو أيضا يوم « النقيعة » لبني ضبة على بني عبس ، وفيه قتل عمارة الوهاب : قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعى مفضالا كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ، ثم سمع شرحاف ذكره على شراب ، وكان حينئذ غلاما ، فحين شبَّ أخذ بثأر ابن عمه يوم النقيعة ، واستنقذت بنو ضبة إبلها من عبس ، وقد كانوا أدركوهم في المرعى .

(١) في العمدة الفريد (ج ٣ ص ٩٠) « بقاء الحسن » .

يوم رحرحان الأول
يوم « رَحْرَحَانَ الْأَوَّلِ » : غزا يثربي بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بنى عامر بن صعصعة ، وعلى بنى عامر قريظ بن عبيد بن أبي بكر ، وقتل يثربي .

يوم رحرحان الثاني
يوم « رحرحان الثاني » : لبنى عامر بن صعصعة ، ورئيسهم الأَخْوَصُ ، على بنى دارم ، وفي ذلك اليوم أسر مَعْبِد بن زُرَّارة : أسره عامر بن مالك وأخوه طفيل وشاركهما في أسره رجل من غنى يقال له : أبو عميرة عصمة بن وهب وكان أخا طفيل من الرضاعة ، وفي أسره مات معبد ، شَدُّوا عليه القِدِّ وبعثوا به إلى الطائف خوفا من بنى تميم أن يستنقذوه ، كان هذا كله بسبب قتل الحارث بن ظالم المري من مرة بن سعد بن ذبيان خَالِد بن جعفر غدرًا عند الأسود بن المنذر — وقيل : عند النعمان — والتجأه إلى زرارة بن عدس ، فلما انقضت وقعة رَحْرَحَانَ جمع لَقِيظ بن زُرَّارة لبنى عامر وألب عليهم ، وكان بين يوم رحرحان وغزوة جَبَلَة سنة واحدة

يوم ضرية
يوم « ضَرِيَّة » : اختلفت سعد والرباب على بنى حنظلة ، وكان بنو عمرو ابن تميم حالفوا بكر بن وائل ، فضاقت حنظلة بسعد والرباب ، فساروا إلى عمرو ابن تميم فردوهم وحالفوهم ، ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ، ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم ، فقال ابن خفاف لسعد والرباب : مَنْ لعيال عمرو وحنظلة إن قتاتم مقاتلتهم ؟ قالوا : نحن ، قال : فمن لعيالكم إن قتلتوا مقاتلتكم ؟ قالوا : هم ، قال : فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم ، وتكلم الأهتم بمثل ذلك ورجال من أشراف سعد ، وساروا إلى عمرو وحنظلة إلى النصار من حمى ضرية ، فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسنان بن علقمة بن زرارة إلى الصلح ، وأبى ذلك مالك بن نُؤَيْرَة

يوم النصار
يوم « النَّسَار » : وذلك أن عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن

انتجعوا بلاد سعد والرباب ، وهم يمتون إليهم برحم ؛ لأنهم يزعمون أن صعصعة أبا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال آخرون : إنما غضبوا على سعد لما أنهب المعزى بعكاظ ، فلقق بيني أمه ولد معاوية بن بكر وهوازن ، وكان سعد قد فارقها بعد أن ولدت له صعصعة وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الأهم ، واسمه سنان بن سمي بن سنان ، وقيل : سمي بن سنان ، وضمن هوازن مرة بن هبيرة ، فسرقت خيل لذي الرقيبة ، ثم اعترفت بعد ذلك بيسير عند الحنيف بن المنتجف ، اعترفها بعض القشيريين ، فضربه القشيري على ساعده ، وضربه الحنيف فقتله ، فأرادت هوازن القود من الرباب ، فطلبهم بذلك ضامن سعد ، فأبت الرباب إلا الدية ، ففارقهم سعد ، وصافرت هوازن ، فاستمدت بنو ضبة أسداً وطيمناً والتقوا بالنسار ، فعبأت أسد لسعد والرباب هوازن ، فانهزمت هوازن وسعد ، وكان حامى أدبار بني عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيري ، فرماه ربيعة بن أبي - وكان أرمي الناس - فقتله ، فلما رأت ذلك بنو عامر منه وسائر هوازن سألوا أن يؤخذ منهم شطور أموالهم وسلاحهم ، وقيل ذلك منهم ، وهذا يوم «المشطرة» ويوم «النسار» وهو من مذكورات أيام العرب في الجاهلية ، وبنو ضبة تزعم أن هذا اليوم قبل يوم جبلة ، وأبو عبيدة لا يشك أنه بعده .

يوم الصرائم يوم «الصرائم»^(١) وهو أيضاً يوم «الجرف» لبني رياح بن يربوع على بني عبس ، وفي هذا اليوم أسر الحكم بن مروان بن زنباع العبسي ، أسره

(١) قال ياقوت : الصرائم : موضع كانت فيه وقعة بين تميم وعبس ، قال شميت ابن زنباع :

وسائل بنا عبسا إذا ما لقيتها على أي حى بالصرائم دلت
قتلنا بها صبورا شريحا وجابرا وقد نهلت منا الرماح وعلت

أسيد بن حياة السليطي ، وأسر بنو حميرى بن رياح زنباعاً وفروة ابني مروان ابن زنباع ، واستنقذوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة وأسرفوا ذلك اليوم في قتل بنى عبس

يوم « الغبيط ^(١) » : لبني يربوع على بنى شيبان ، وكان الشيبانيون قد غزوهم متساندين على ثلاثة ألوية : الحوفزان بن شريك ، والأسود أخوه ، وبسطام بن قيس ، وفي هذا اليوم أسر الأسود بن الحوفزان وزيد بن الأسود ابن شريك ، وحى بسطام آخر القوم حتى حسبوه قتل وأسر ، ورثاه بعضهم بمراتٍ عدّة ، وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغبيط هو يوم « الأياد » ويوم « العظالي » سمي بذلك لأن بسطام بن قيس وهانىء بن قبيصة ومقرون ابن عمرو والحوفزان بن شريك تعاضلوا على الرياسة .

وقال مرة أخرى : لم يشهد الحوفزان يوم العظالي ، قال : وهو أيضاً يوم « الإفاقة » ويوم « أعشاش » ، ويوم « مليحة » .

يوم « ذى نجب » ^(٢) لبني يربوع على بنى عامر ، وفيه قتل حسان بن معاوية بن آكل المرار الملك ، قتله حشيش بن نمران من بنى رياح بن يربوع ، وقيل : بل هو عمرو بن معاوية — أعنى المقتول — وأما حسان فأمر ، أسره

(١) قال ياقوت : غبيط الفردوس : في ديار بنى يربوع ، وفيه يوم لبني يربوع دون مجاشع ، وفيه يقول جرير :

ولا شهدت يوم الغبيط مجاشع ولا نفلان الحيل من قلتي نسر

(٢) قال ياقوت : نجب — بفتح أوله وثانيه — موضع كانت فيه وقعة لبني تميم على بنى عامر بن صعصعة . . . وفيه يقول سحيم بن وثيل الرياحي :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد ، وضررنا عبيدة بالدم

بذى نجب إذ نحن دون حريمتنا على كل جياش الأحرارى مرجم

دريد بن المنذر ، وكانت بنو عامر أتت به تغزو بني حنظلة بن مالك بعد يوم
جبله بعام ، فتنحى لهم بنو مالك بن عمرو بن عمرو بن عدس ، وتركوا في صدورهم
بني يربوع ، فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة ، وأسر يومئذ يزيد بن الصَّعِقِ ،
وقتل بنو نَهْشَلِ خليف بن عميد الله النيمري ، وأسر يزيد بن ثعلبة الهصان ،
وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، وقتل خالد بن ربيع النهشلي عمرو
ابن الأحوص ، وكان رئيس بني عامر يومئذ .

يوم خزازي

يوم «خزازي»^(١) : ويقال : « خزاز » واختلف فيه : فقال قوم : كان
رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة . وقال آخرون : رئيسهم زرارة بن عدس ، وقال
آخرون : بل ربيعة بن الأحوص ، وقد أنكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك والذي ثبت
عنده أنه قال : هو يوم لنزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا يعرف مَنْ هو منهم ،
وأما ربيعة فيقول : لاشك أنه يوم « خزاز » لكليب بن ربيعة على مذحج
وغيرهم من اليمن ، وكان بعقب يوم السلان ، فجمع كليب جموع ربيعة ، فاقتتلوا ،
فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن .

يوم ملزق

يوم « ملزق »^(١) وهو أيضاً يوم « الشَّوْبَانِ » كان لبني تميم على عبس

(١) قال ياقوت : ويوم خزاز كان بعقب السلان . وخزاز وكبير ومताल :
أجبال ثلاثة بطخفة ، ما بين البصرة إلى مكة : فتتالع عن يمين الطريق للذاهب
إلى مكة ، وكبير عن شماله ، وخزاز بنحر الطريق ، إلا أنها لا يمر الناس
عليها ثلاثها .

(٢) ملزق - الأكترون على كسر اليم وفتح الزاي وآخره قاف ، وفيه يقول
أوس بن مغراء :

ونحن بملزق يوما أبرنا فوارس عامر لما لقونا

وعامر بعد أن قاتلت تميم جميع مَنْ أتى بلادها من القبائل ، وهم إباد ، وبلحارث بن كعب ، وكلب ، وطبيء ، وبكر ، وتغلب ، وأسد ، كانوا يأتونهم حياً حياً فتقتلهم تميم وتنفيهم عن البلد ، وآخر من أتاها بنو عبس وبنو عامر .

يوم « الوندة » وهي بالدهناء ، أغارت بنو هلال على نَعَمِ بنى نَهْشَل . يوم الوندة فأنزلتهم بنو نهشل بالوندة - وهي بالدهناء - فما أفلت من بنى هلال إلا رجل واحد يقال له : فراس طواف ؛ وقيل أواب .

يوم « فيف ^(١) الريح » ، ورأيته بخط البصرى « فيفا » مقصوراً في يوم فيف الريح مواضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلابي .

وأنشد أبو زياد لعامر بن الطفيل :

ويا لفيفا من اليمين استنارت قبائل كان ألبيهم فخاروا

الفيفا : جبل طويل من جبال خثعم يقال له : فيفا الريح ، وكان الصبر فيه والشرف لبنى عامر ، وقد اجتمعت كلها إلى عامر بن الطفيل على قبائل مذحج ، وقد غزتهم مذحج في عدد عظيم من بنى الحارث بن كلب وج في وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدى ونهد ، ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي ، واستغاثوا بخثعم ، فجاءت شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك ، وأسرع القتل في الفريقين ، فافترقوا ، ولم تغنم طائفة منهم طائفة ،

(١) فيف الريح - بفتح الفاء وسكون الياء - بأعلى نجد . قال ياقوت : وهو يوم من أيامهم ، فقتت فيه عين عامر بن الطفيل ، فقأها مسهر الحارثي بالرمح ، وفيه يقول عامر :

لعمرى ، وماعمري على بهين ، لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

وفي هذا اليوم أصيبت عين عامر، وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا الرياح هو يوم « طلع »

يوم ذى بهدى يوم « ذى ^(١) بهدى » : لبني يربوع على تغلب، أسروا فيه الهذيل، قال جرير للأخطل يعيره بذلك :

هل تعرفون بذى بهدى فوارسنا يوم الهذيل بأيدى القوم مقتسر

يوم البشر يوم « البشر ^(٢) » لبني كلاب على الأرقام، ورئيس قيس يومئذ الجحاف ابن حكيم الكلابي، وكان سبب ذلك تعيير الأخطل إياه

يوم الرغام يوم « الرغام » لبني ثعلب بن يربوع، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب، أغار فيه على بني كلاب فأطرد إبلهم، وقتل يومئذ أخوه حنظلة، قتله الحوثره، وأسر الحوثره ذلك اليوم، فدفع إلى عتيبة فقتله صبراً بأخيه، وانهزم الكلابيون بعد أن أسرع فيهم القتل والأسر

(١) قال ياقوت: بهدى بوزن سكرى، ويقال ذو بهدى: قرية ذات نخل باليمامة، وقيل: هما موضعان متقاربان، ويوم ذى بهدى من أيامهم. قال ظالم بن البراء الفقيمي:

ونحن غداة يوم ذوات بهدى لدى الودعات إذ غشيت تميم
ضربنا الخيل بالأبطال حق تولت وهى شاملها السكوم
بضرب يلحق الضبعان منه طروقتة ويلجئه الأروم

(٢) البشر - بكسر فسكون - اسم جبل يمتد إلى الفرات من أرض الشام، وكانت بنو تغلب قد قتلت عمير بن الحباب السلمي، فاتفق أن قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف بن حكيم جالس عنده، فقال الأخطل:

الأسائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضبا يجر مطرفه، فكانت الواقعة بسبب ذلك. انظر ياقوت.

يوم «الهرايميت»^(١) للضباب ، وهم معاوية بن كلاب ، على إخوته بنى جعفر يوم الهرايميت ابن كلاب ، وكان هذا اليوم في زمن عبد الملك بن مروان ، وكذلك يوم البشر

يوم «الوقية» كان في فتنة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو يوم الوقية للهازم ، رئيسهم أبحر بن ببحر ، على بنى مالك بن حنظلة ، فأما بنو عمرو بن تميم فأنذروهم ناشب بن بشامة العنبري ، فدخلوا الدهناء فنجوا ، وفي هذا اليوم أسر ضرار بن القعقاع بن معبد ، أسره الفزr الشيباني ورجل من تميم اللات ، فجزت تيم اللات ناصيته ، وحنّته تحت الليل مضارة للفزr ، ويسمى أيضا هذا اليوم يوم «الحنو»

يوم «جزع طلال» لفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن يوم جزع طلال بدر ، على التيم وعدى وعكل وثور أطحل بنى عبد مناة ، وأخذ يومئذ شريك ابن مالك بن حذيفة من التيم وعكل أربعين امرأة ثم أطلقهن ، وأخذ خارجة ابن حصن نفرا من التيم فأطبقهم بغير فداء ، ثم أغارت فزارة بعد ذلك عليهم ورئيسهم عيينة ، فقتلوا التيم قتلا ذريعا وأخذوا منهم مائة امرأة فقسمن عيينة في بدر ، وجعلهن مع أزواجهن الأسارى يتقلن الخرى هونا لهم ، ثم أطلق الجميع بعد ذلك بغير فداء ، وأغارت عليهم بعد ذلك بنو غيظ بن مرة ، ورئيسهم زيد ابن شيبان بن أبى حارثة ، فقتلوا التيم وعديا وسبوا سيدا كثيرا لم يردوا منه شيئا ، فنعى هذا كله عليهم جرير

يوم «أوارة» الأول : لتغلب والنمر بن قاسط مع المنذر بن ماء السماء ، يوم أوارة الأول

(١) قال ياقوت : هرايميت آبار مجتمعة بناحية الدهناء ، كان بها يوم بين الضباب وجعفر ، زعموا أن لقمان بن عاد احتفرها ، وقال أبو أحمد : وكان القتال بسبب بئر أراد أحد أن يحتفرها .

على بكر بن وائل مع سلمة بن الحارث ، واسم سلمة معدى كرب ، وهو أيضاً الغلفاء ، بعد قتل أخيه شرحبيل ، والذي قتل سلمة الغلفاء بن عمرو بن كشموم ، عرفه فحمل عليه حتى قدّمه السيف ، وكان سبب هزيمة بكر بن وائل ، وحلف المنذر يومئذ ليقتلن بكراً على رأس أواره حتى يلحق الدم بالحضيض ، فشفع لهم مالك بن كعب العجلي ، وقال للمنذر : أنا أخرجك من يمينك ، فصب الماء على الدم فلحق الأرض ، وبر يمين المنذر ، فكف عن القتل ، وكان مالك هذا رضيع المنذر

يوم أواره
الأخير

يوم « أواره » الأخير : كان لعمر بن هند على بني دارم ، وذلك أن ابنا له كان مُسْتَرَضِعاً عند زرارة بن عدس اسمه أسعد ، وكان قد تبنّاه فعبث بناقة لأحد بني دارم يقال له سويد ، فخرق ضرعها ، فشد عليه فقتله ، وأتى الخبر زرارة ، وهو عند عمرو ، وكان كالوزير له ، فلحق بقومه وأدركه الموت على عقب ذلك ، فغزا عمرو بن دارم ، وحلف ليقتلن منهم مائة ، فقتل منهم تسعة وتسعين ، وأتم المائة برجل من البراجم ، وفي حكاية أخرى أنه أحرقهم ، وبذلك تشهد مقصورة ابن دريد وشعر الطرمّاح ، وزعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرقهم فقد أخطأ ، وذُكِرَ [له] شعر الطرمّاح ، فقال : لا علم له بهذا ، واستشهد بقول جرير :

أينَ الذينَ بسيفِ عمروِ قُتِلوا أم أينَ أسعدُ فيكمِ المسترضعُ

يوم « زرود » الأول : لشيبان مع الحوفزان ، على بني عبس ، وأُخْبِرَ ذلك اليوم عمارة الوهاب جراحاً ، غير أنه سلم فلم يمت منها

يوم زرود
الأول

يوم « زَرُود » الآخر : أغار حزيمة بن طارق التغلبي على بني يربوع ، فاستاق النعم ، فأدركوه ، فأسره أسيد بن حنّاء السليطي وأنيف بن جملة الضبي وكان ثقيلاً في بني يربوع ، وردوا الغنيمة من أيدي التغلبيين

يوم زرود
الآخر

- يوم تثليث غزت سُليم مع العباس بن مِرْدَاس مرادا ، فجمع لهم عمرو بن معدى كرب ، فالتقوا بتثليث ، فصبر الفريقان ولم تظفر طائفة منهم بالأخرى ، وفي ذلك اليوم صنع العباس قصيدته السينية ، وهي إحدى المنصفات .
- يوم « ذى علق » كان بين بنى عامر وبنى أسد ، وفي هذا اليوم قتل ربيعة أبو أميد .
- يوم العذيب : كان لبني سعد بن زيد مناة وعَنْزَة ، على مذبح وحمير ، وكان رأس اليمين الأصهب الجعفي ، بعث إليه النعمان ينكر عليه بلوغ سعد وعنزة العذيب ، فحشد لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتل الأحر بن جندل ، واهزمت اليمانية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسي
- يوم الصفقة : وهو أيضاً يوم « المُشَقَّر » كان على بنى تميم بسبب عير كسرى التي كان يُجْبِزُهَا هُوذة بن علي السحيمي ، فلما سارت ببِلاد بنى حنظلة اقتطعوها برأى صمصمة بن ناجية جد الفرزدق ، فكتب كسرى إلى المُكَعْبِر عامِلِه على هجر فاغتالهم ، وأراهم أنه يعرضهم للعطاء ويصطنعهم ، فكان أحدهم يدخل من باب المُشَقَّر فينزع سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل ، إلى أن فُطِنُوا ، وأصفق الباب على مَنْ حصل منهم ؛ فلذلك سميت الصفقة ، وشفع هُوذة في مائة من أسارهم فتركوا له ، فكساهم وأطلقهم يوم الفصح وكان نصرانيا .
- يوم ذى قار : كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لبني بكر بن وأثل وقادمة بنى شيبان وبعدهم بنو عجل ، على الأعاجم جنود كسرى ومن معهم من العرب رئيسهم إياس بن قبيصة الطائي ، وكان مكان النعمان بن المنذر بعد قتل كسرى إياه ، وتحت يديه طييء وإياد وبهراء وقضاعة

والعباد وتغلب والنمر بن قاسط ، قد رأس عليهم النعمان بن زرة — أعنى النمر وتغلب — وكان سبب يوم « ذى قار » طلب كسرى تركة النعمان ابن المنذر، وكان النعمان قد تركها وترك ابنا له وبنقا عند هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني ، فنع رسول كسرى من الوصول إلى ما طلب ؛ وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وكان عاملا له على الطف ، بأن يعين إياسا ، فأنفذ إلى قومه ليلا ، وحرّضهم على القتال ، وتواطأت العربُ على العجم ، فطارت إياد عن العجم حين تشاجرت الرماح كأنهم منهزمون ، وقتل الهامرز بن خلا بزر عامل كسرى ، وأمر النعمان ابن زرة التغلبي ، وبسبب ما صنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاه فقتله .

يوم الفجار
الأول

يوم « الفجار » الأول : كان بين كنانة بن خزيمة وبين عجز هوازن ، بسوق عكاظ أول يوم من ذى القعدة ، وبذلك سمي فجارا ؛ لأنهم فجروا في الشهر الحرام ، وكان سبب ذلك أن بدر بن معسر الكناني كان يستطيل على من ورد عكاظ فيمد رجله ويقول : أنا أعز العرب ؛ فن كان أعز منها فليضربها بالسيف فضربها الأحمر بن هوازن من بني نصر بن معاوية ، وكان بين القبيلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء ، وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم الفجار
الثاني

يوم « الفجار » الثاني : كان بسبب فتیان من غزيرة قريش وكنانة رأوا امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، فسألوها أن تُسفر لهم ، فأبت ، فحلّ أحدهم ذيلها إلى ظهر درعها بشوكة ، فلما قامت انكشفت ، فقالوا : منعتنا رؤية وجهك وأريتنا دبرك !! فصاحت : يالَ عامرٍ

قتهايحوا ، وجرت بين الفريقين دماء يسيرة ، حملها الحارث بن أمية ، وليس هذا الفجار أيضا عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم
الفجار
الثالث

يوم « الفجار » الثالث : كان بسبب دين كان لأحد بنى نصر على أحد [بنى] كناية ، فأتى النصرى بقرد فقال : من يبيعني مثل هذا بمالى على فلان ؟ فمر أحد بنى كناية فقتل القرد ، فتصايح القريقان ، ثم سكنوا ، وكان هذا سبب الأمر العظيم من قتل البرّاض السكناني عروة الرّجال بن عيينة بن جعفر بن كلاب واتبعت هوازن قريشاً ، وكانوا قد أدر كورهم بنخلة ، حتى دخلوا الحرم ، وجنّهم الليل ، ثم ألتقوا بعد حول فكانت الواقعة أيضا عليهم ، وهو يوم « شمطة » ثم التقوا أيضا بعد حول ، فكانت الكرة على هوازن وفي ذلك اليوم سموا بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقييدهم أنفسهم حتى يظفروا أو يقتلوا ، هذه رواية أبي عبيدة ، وأما ابن قتيبة فجعل ما جرى بين النصرى والسكناني هو الفجار الأول ، وقال في آخره : ولم يكن بينهم قتال ، إنما كان ذلك القتال في الفجار الثاني ، وجعل سبب الفجار الثاني أن عيينة بن حصن ابن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون ، فقال : أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ، ولئن بقيت إلى قابل ليعلمن ، فغزاهم من قابل ، وأغار عليهم ، قال : فهذا الفجار الثاني ، والحرب فيه بين كناية وقيس ، والدائرة على قيس عيلان

يوم
الجفار
يوم
الصريف

يوم « الجفار » : للأحاليق في ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطبي . ، على بنى تميم ، واستحرق القتل يومئذ في بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلا ذريعا .
يوم « الصريف » : كانت هذه الواقعة في أيام الرشيد ، وهى لبني ضبة على بنى حنظلة ، وفي ذلك يقول شاعرهم ، وأظنه من ولد جرير :

صَبَرَتْ كَلَيْبٌ لِلطَّعَانِ وَمَالِكٌ
يوم الصريفِ وَفَرَّتْ الْأَحْمَالُ

و « الأحمال » : بطون من بنى حنظلة .

وقد أوفيت بما عقدت به في صدر هذا الكتاب من إثبات ما انتهى إلى من أيام العرب ، مجتهداً في اختصارها ، بريثاً مما وقع فيها من الاختلاف ، وإنما عهدة ذلك على الرواة .

مفاخر
بنى شيبان

وسأذكر من مفاخر بنى شيبان لمعاً أختم بها هذا الباب كما بدأته ؛ لأنني لو تقصّيت ذلك لأفريت العمر دون تقضى الجزء الذى لا يتجزأ منه قلة ، لكنى ذهبت فيهم وفي سيدهم أبى الحسن مذهب أبى الطيب في إخوتهم بنى تغلب وفي سيدهم على بن حمدان حيث يقول :-

لميتَ المدائح تستوفى مدائحهم فما كليبٌ وأهل الأعصرِ الأول
خُذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحلِ

قال أبو عبيدة : قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر بن نزار ، وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكر يان ، وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل ، ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن حابس ، فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وحباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً : يطعمون فيه معه ، ويشربون ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان ، فن بدىء به على أثره فهو أفضل الوفد ، فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من الذى يأمرها أن تسميه وتفضله من الوفد ، فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول :

وفود ربيعة
عند النعمان
ابن المنذر

استقى وفودك مما أنت ساقيتي فابدى بكاس ابن ذى الجدين بسطام
أغرث ينميه من شيبان ذو أنفِ حامى الذمارِ وعن أعراضها رامى
قد كان قيس بن مسعودٍ ووالده تبيدا الملوك بهم أيام أياى
فأرضوا بما فعل النعمانُ فى مضرِ وفى ربيعة من تعظيم أقوام
همُ الجاهمُ والأذنبُ وغيرهمُ فأرضوا بذلك أو بؤءوا بإرغام

فقال عامر بن الطفيل :

كان التبائعُ في دهرٍ لهم سلفٌ
حتى انتهى الملك من لحمٍ إلى ملك
أنحى علينا بأظفارٍ فطوّقنا
إن يُمكِّن الله من دهرٍ نساء به
فانظرْ إلى الصَّيْدِ لم يحموك من مضر
فأجابه بسطام بن قيس فقال :

لعمري لئن ضججت نيمٍ وعامر
أروني كمسعودٍ وقيسٍ وخالدٍ
وكانوا على أفناء بكر بن وائل
فسرتُ على آثارهم غير تارك
لقد كنت يوماً في حلوقهم شجى
وعمر ووعبد الله ذى الباع والندى
ربيعا إذا ماسال سائلهم جدى
وصيتهم حتى انتهيت إلى مدى

قال : وافتخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان : أحدهما من بنى شيبان ،
والآخر من بنى عامر بن صعصعة ، فقال العامري : أنا أعد عليك عشرة من
بنى عامر ، فعد عليّ عشرة من بنى شيبان ، فقال الشيباني : هات إذا شئت ،
فقال (١) العامري : خذ عامر بن مالك مَلَاعِبِ الأَسنة ، والطفيل بن مالك قائد
هوازن وفارس قرزل ، ومعاوية بن مالك معوذ الحكماء (٢) ، وربيعة بن مالك فارس
ذى علق ، وعامر بن الطفيل ، وعلقمة بن عُلائة ، وعتبة بن سنان ، ويزيد بن
الصَّعِق ، وأربد بن قيس ، وهو أربد الحتوف ، فقال الشيباني : خذ قيس بن
مسعود رهينة بكر بن وائل ، وبسطام بن قيس سيد فتيان ربيعة ، والحوفران
ابن شريك فارس بكر بن وائل ، وهانيء بن قبيصة أمين النعمان بن المنذر ،

(١) لم يذكر العامري عشرة فيما ذكر المؤلف ، وإنما هم تسعة .

(٢) انظر ص ١٩٦ من هذا الجزء .

مفاخرة
عند معاوية
بين عامري
وشيباني

وقبيصة بن مسعود وافد المنذر ، ومفروق بن عمرو حاضن الأيتام ، وسنان بن مفروق ضامن الدمن ، والأصم عمرو بن قيس صاحب رموس بنى تميم ، وعمران ابن مرة الذى أسر يزيد بن الصعق مرتين ، وعمرو بن النعمان ، فقتلاً حياً ، فخرج حاجب معاوية فصادفهما على تلك الحال ، فدخل على معاوية فأخبره بالقضية ، فدعا بهما ، فلما دخلا عليه نَسَبهما ، فانسبها له ، فقال معاوية : عامر أفخر هوازن ، وشيبان أفخر بكر بن وائل ، وقد كفا كما الله المؤنة ، هذان رجلان من غير قومكما عندى يحكمان بينكما : عدى بن حاتم ، وشريك بن الأعور الحارثي ، احكما بينهما ، ثم قال معاوية للشيباني : من يعجب لعامر بن مالك ؟ قال الأصم بن أبى ربيعة الذى قتل من تميم مائة رجل على دم ، فقال معاوية للرجلين : ما تقولان ؟ قالا : رجح الأصم على عامر بن مالك ، قال معاوية : فمن يعجب لعامر ابن الطفيل ؟ قال الشيباني : الحوفزان بن شريك ، قال الحكمان : رجح الحوفزان ، قال : فمن يعجب لعلمة بن علانة ؟ قال الشيباني : بسطام بن قيس ، قالا : رجح بسطام ، قال معاوية : فمن يعجب لعنتبة بن سنان ؟ قال الشيباني : مفروق بن عمرو ، قالا : رجح مفروق ، قال معاوية : فمن يعجب للطفيل بن مالك ؟ فقال الشيباني : عمران بن مرة ، قالا : رجح عمران بن مرة ، فقال معاوية : فمن يعجب لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيباني : عوف بن النعمان ، قالا : رجح عوف بن النعمان ، قال معاوية : فمن يعجب لعوف بن الأحوص ؟ قال الشيباني : قبيصة بن مسعود ، قالا : رجح قبيصة ، قال : فمن يعجب لربيعة بن مالك ؟ قال : هانيء بن قبيصة ، قالا : رجح هانيء بن قبيصة ، قال معاوية : فمن يعجب ليزيد ابن الصعق ؟ قال : سنان بن مفروق ، قالا : رجح سنان بن مفروق ، قال : فمن يعجب لأربد بن قيس ؟ قال : الأسود بن شريك ، فقال معاوية للشيباني : فأين نسيت قيس بن مسعود ؟ قال : أصلحك الله ! قيس ليس من هذه الطائفة فاتهم قيس مجدا طويلا ، فقال العامري في ذلك :

أعدت إذا عدت أبا براء
 وكان الجعفري أبو علي
 ووالده الذي حدثت عنه
 وكان معود الحكم المباري
 وقد أورت زناد أبي لمبيد
 وعلقمة بن أحوص كان كهفياً
 وعتبة والأغر يزيد ، إني
 وعوفاً ثم أربد ذا المعالي
 أولئك من كلاب في ذراها
 فكان علا على الأقوام فضلاً
 إذا ما هاجت الهيجاء علا
 طفيل خيرنا يفعاً وطفلاً
 رياح الصيف أعلى القوم فعلا
 ربيعة يوم ذى علق فأبلى
 كلايبا رحيب الباع سهلاً
 رأيتهما لكل الفخر أهلا
 كفى بهما عليك ندى وبذلاً
 وخير قرومها حسباً ونبلأ

فقال الشيباني مجيباً له :

أعدت إذا عدت أباخفاف
 وهائناً الذي حدثت عنه
 ومفروقاً وذا النجدات عوفاً
 وأسود كان خير بنى شريك
 أولئك من عكابة خير بكر
 وأفضل من ينص إلى المعالي
 وأكثر قومهم بالشرطونفاً
 وعمران بن مرة والأصمأ
 وكان قبيصة الأنف الأشمأ
 وبسطاماً ووالده الخضمأ
 ولم يك قرنه كبدشا أجماً
 وأكرم من يملك أبا وأماً
 إذا ما حصّلوا خالاً وعمأ
 وأبعد قومهم في الخيرها

فقال معاوية للحكمين : ما تقولان ؟ قالوا : شيبان أكرم الحمين ، فقال معاوية :

وذاك قولى ، فأكرمهما وحبأهما ، وفضل الشيباني على العامرى .

حديث
 ذى الجدين

قال : وكان من حديث ذى الجدين أن الملك النعمان قال : لأعطين أفضل

العرب مائة من الإبل ، فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك ، فلم يكن قيس بن مسعود
 فيهم ، وأراده قومه على أن ينطلق ، فقال : لئن كان يريد بها غيرى لأشهد ذلك

وإن كان يريدني بها لأعطيَّتها ، فلما رأى النعمان اجتماع الناس قال لهم : ليس صاحبها شاهداً ، فلما كان من الغداة قال له قومه : انطلق ، فانطلق ، فدفعها إليه الملك ، فقال حاجب بن زرارة : أبيت اللعن ، ما هو أحق بها مني ، فقال قيس ابن مسعود : أنافره عن أكرمنا قعيدة ، وأحسننا أدب ناقة ، وأكرمنا لثيم قوم ، فبعث معهما النعمان من ينظر ذلك ، فلما انتهوا إلى بادية حاجب بن زرارة مروا على رجل من قومه ، فقال حاجب : هذا الأم قومي ، وهو فلان بن فلان ، والرجل عند حَوْضِه ومَوْرِدِ إبْله ، فأقبلوا إليه ، فقالوا : يا عبد الله ؛ دعنا نستقي ؛ فإننا قد هلكنا عطشاً وأهلكنا ظهورنا ، فتجهم وأبى عليهم ، فلما أعياهم قالوا للحاجب : اسفر ، فسفر فقال : أنا حاجب بن زرارة ، فدعنا فلنشرب ، قال : أنت ؟ فلا مرحباً بك ولا أهلاً ، فأتوا بيته ، فقالوا لامرأته : هل من منزل يا أمة الله ؟ قالت : والله ما رب المنزل شاهد ، وما عندنا من منزل ، وراودوها على ذلك فأبت ، ثم أتوا رجلاً من بكر بن وائل على ماء يورد ، قال قيس : هذا والله الأم قومي ، فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم ، وهم أن يضر بهم ، فقال له قيس بن مسعود : ويالك أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً وأهلاً ، أورد ، ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته وقدرها يئط ، فلما رأت الركب من بعيد أنزلت القدر وبردت ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله من منزل ؟ قالت : نعم أنزلوا في الرحب والسعة ، فلما نزلوا طعموا وارتحلوا ، فأخذوا ناقتيهما ، فأناخوها على قر يتين للنمل ؛ فأما ناقة قيس بن مسعود فتضورت وتقلبت ثم لم تنز ، وأما ناقة حاجب فمكثت وثبتت ، حتى إذا قالوا قد اطمانت طفقت هاربة ، فأتوا الملك فأخبروه بذلك ، فقال له : قد كنت يا قيس ذا جد ، فأنت اليوم ذو جدين فسمى بذلك ذا الجدين ، وقيل : إنما سمي بذلك لأسيرين أسرها مرتين ، وقيل : بل سَبَقَ سَبَقَيْنِ ، هكذا جاءت الرواية .

والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هام ،

سُمِّيَ بذلك لأنه اشترى كعب بن مامة من أيدي قوم من غزاة أسروه ، فكتم نفسه ، وعرفه عبدُ الله [وأظهر] أنه لم يشتره عن معرفة ، فوهبه كلُّ ما لقي في طريقه من إبل أبيه بعُبدانها ، وكانت سوداً وحراً وصُهباً ، وبلغ به إلى أبيه فأجاز له ذلك ، وأعطاه قبته بما فيها ، فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه : إنه لذو جدٍّ ، قال الآخر : بل هو ذو جدِّين ، فسمى بذلك .

(٨٧) - باب في معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواحي مَنْ أخذهُ حِفْظِي ، وبلغته روايتي ، على شريطة الاختصار والتلخيص ، بحسب الطاقة والاجتهاد ، إن شاء الله تعالى .

ملوك اليمن : قال ابن قتيبة وغيره : أول من حُيِّيَ بتحية الملوك «أبيت اللعن» ملوك اليمن و«أنعم صباحاً» يَعْرُبُ بن قحطان ، فولد له يشجب ، وولد ليشجب سبأ ، وقيل : إنه أول من سبى السبي من ولد قحطان ، واسمه عبد شمس ، وقيل : عامر ، وأول الملوك المتوجين من ولده حمير بن سبأ ملك حتى مات هرما ، ولم يزل الملك في ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن ، حتى مضت قرون ، وصار الملك إلى الحارث الرائش ، وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً ، فخرج من اليمن ، وغزا وجلب الأموال ، فرأش الناس ، وبذلك سمي الرائش ، وفي عصره مات لقمان صاحب النور ، وهو لقمان الذي بعثته عاد ليستسقى لها بمكة ، وكان ملكُ الرائش مائة وخمسة وعشرين سنة ، وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأنشد ابن قتيبة :

وأحدُ اسمه ، ياليتَ أني أَعَمَّرُ بَعْدَ مبعثه بعام

ثم أبرهة ذو المنار بن الرائش ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ، ثم أفريقس بن أبرهة ، وهو الذي بنى أفريقية ، وبه سميت ، وكان ملكه

مائة وستين سنة ؛ ثم العبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار ، سمي بذلك لقوم سباهم
 مُنْكَرِي الوجوه تزعم العرب أنهم النسناس ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ،
 ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الراءش ، وهو أبو بلقيس ، ملك سنة واحدة
 ثم بلقيس إلى أن أسلمت على يَدَي سُلَيْمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم ناشر بن عمرو
 ابن يعفر بن شرحبيل ، وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ، ثم شمر بن أفر يقس ،
 وهو الذي أخرج مدينة سمرقند ، وبه سميت سمرقند ، ومعنى كند أخرجها ،
 وهو الذي يسمى شمر يرعش ؛ لارتعاشه كان به ، وكان ملكه مائة وسبعاً وثلاثين
 سنة ، ثم ابنه الأقربن بن شمر يرعش ، وكان ملكه ثلاثاً وخمسين سنة ، ثم تَبَعَ
 الأكبر بن الأقربن ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة ، ثم ابنه كليكرب ؛
 ولم يغز حتى مات ، وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ، ثم تبع بن كليكرب وهو
 أبو كرب تبع الأوسط ، وكان يغزو بالنجوم ويعمل أعماله كلها بأحكامها ، ويقال :
 إنه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل فيه :

شهدتُ على أحمدٍ أنه رسولٌ من الله باري النَّسَمِ
 فلو مُدَّ عُمُرِي إلى عُمُرِهِ لَكُنْتُ وزيراً له وابنَ عَمِّ

ثم حسان بن تبع الأوسط ، وهو الذي غزا جديسا وقتل اليمامة التي سميت
 بها جَوْ اليمامة ، ثم عمرو بن تبع أخو حسان ، وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة ،
 ثم عبد كلال بن مشوب ، وكان على دين عيسى يستر إيمانه ، وكان ملكه أربعاً وسبعين
 سنة ؛ ثم تبع بن حسان وهو الأصغر ، وكان الحارث بن عمرو بن حُجْر جد امرئ
 القيس ابن أخيه ، وتبع هو الذي عقد الحلف بين ربيعة واليمن ، وهو الذي أدخل
 في اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ، ثم أخوه لأمه مرثد بن عبد كلال ، وقيل :
 مزبد ، وكان ملكه إحدى وأربعين سنة ، ثم ابنه ربيعة بن مرثد ، ملك سبعاً

وثلاثين سنة ، ثم أبرهة بن الصباح ، ملك ثلاثا وسبعين سنة ، وكان يكرم معداً ويعلم أن الملك كائن في بني النَّضْرِ بن كنفانة ، ثم حسان بن عمرو بن تبيع بن كليكرب ، ملك سبعاً وثلاثين سنة ، ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شَفَعَهُ في أسارى من قومه ، ثم ذو الشناتر ، واسمه نجيمة ينوف ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، لكنه من أبناء المَقَاوِل ، قتله ذو نُوَاس ، وكان غلاماً من أبناء الملوك حَسَنَ الوجه له ذوابتان ، أرادته ذو الشناتر على نفسه فوجَّاه بخنجر كان قد أعدّه له فقتله ، ورضيته حمير لنفسها لما أراحها من ذى الشناتر ، وذو نواس صاحب الأخدود الذي ذكره الله عز وجل ، وكان يهودياً ، فَخَدَّ الأَخْدُودَ لتقوم من أهل نجران تنصروا على يد قبيل من آل جفنة ، وعلى أيام ذى نواس دخلت الحبشة اليمن ، واقتحم البحر منهزماً فغرق ، وكان ملكه ثمانيا وستين سنة ، وقام بعده ذو جدن فهزمته الحبشة ، فاقتحم البحر فهلك ، وملك اليمن أبرهة الأشرم ، وهو الذي زحف إلى مكة بالقبيل فهلك جيشه ، وابتلى بالأكلة ، فحمل إلى اليمن فهلك بها ، وملك بعده ابنه يكسوم فساءت سيرته باليمن ، فاستجاش سيف بن ذى يزن كسرى ، فجيش له جيشاً عظيماً ، وقد مات يكسوم ، وولى بعده مسروق أخوه ، وهو أيضاً أخو سيف لأمه ، فقتلته الحبشة ، وسببت نساؤهم ، فقام سيف ملكاً من قبل كسرى حتى غدره خُدَامُهُ من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكشفت به الظلمة ، واهتدت بهديه الأمة ، واستقر الملك في نصابه ، بعد الخلفاء الأربعة من أصحابه ، ممن وجبت طاعته ، وصحت بيعته ، وأنا واقف عند الشبهة ، قائل في هذا بما قالت به الجماعة ، فقد تنازع اسم أمير المؤمنين من لا يصلح له ، ولا يسلم إليه ؛ فلذلك أعرضت عن ذكر من لم أذكره ، ولولا ذلك لذكرت كل واحد وزمانه ، ومنتهى عمره ، إلى وقتنا هذا ، وما توفيقى إلا بالله .

ملوك الشام

ملوك الشام: كانت بالشام سليح^(١) وهم من غَسَّان ، ويقال : من قُضَاعَة وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ، ثم من بعد مالك ابنه عمرو ؛ إلى خروج مُزَيْقِيَا - وهو عمرو بن عامر - من اليمن في قومه من الأزد ، وسمى مُزَيْقِيَا لأنه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود إلى لباسها ثم يهبها ، ويسمى عامر ماء السماء ؛ لأنه كان يجيء في المَحَلِّ فينوب عن الغيث بالرفد والعطاء [وهو] ابن حارثة^(٢) الغطريف ، بن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، بن الأزد^(٣) ، ومعه رجل يقال له جذع بن سنان ، فنزلوا بلاد عكّ ، فقتل جذع ملك بلاد عكّ ، فافتقرت الأزد والملك فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله فخارب جرم فأجلاهم عن مكة ، واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث ، وجاء قُصَي بن كلاب فجمع معداً - وبذلك سمى مُجَمَّعاً - واستعان ملك الروم فأعانه ، وحارب الأزد فغلبهم ، واستولى على مكة دونهم ، فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتحلت ، وانخرعت خزاعة لولاية البيت - وبذلك سميت - فصار بعض الأزد إلى السَّوَاد فملكوا عليهم مالك بن فهم أبا جذيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب ، وهم الأوس والخزرج ، وصار قوم إلى عمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، فأتاه عامل الملك في خَرْجٍ وجَبَّ عليه فدفَع إليه سيفه رهناً ، فقال الرومي : أدخله في كذا من أم الآخر ، فغضب جذع وفتحَه فقتله ، فقيل : خُدُّ من جذع ما أعطاك^(٤) ، وصارت مثلاً ، وولوا الشام ، فكان أولهم الحارث بن عمرو ومُحَرِّق ، سمي بذلك لأنه أول من حرَّق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ، ويكنى أبا شَمِيرٍ ، ثم ابنه الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات

(١) في بعض الأصول « سليخ » بالحاء المعجمة .

(٢) في بعض الأصول « جارية » .

(٣) في الأصول « من الأزد بن الأزد » وليس بشيء .

(٤) انظر المثل رقم ١٢٤١ من مجمع الأمثال للميداني (٢٣١/١ بتحقيقنا) .

الْقُرْطَيْنِ ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندى ، وأختها هند الهنود امرأة حُجْر آكل المُرَّار الكندى ، وإلى الحارث الأعرج زَحَفَ المنذر الأكبر فانهزم جيشه ، وقتل ، ثم الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر ، وهو ولد الحارث الأعرج [ثم] عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر ، وله يقول نابغة بنى ذبيان :

حَلَى لِعَمْرٍو نِعْمَةً بَعْدَ نِعْمَةٍ لَوْلَا دِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عِقَابِ

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الأصغر ، وله يقول النابغة :

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامِ

والنعمان هذا ثلاثة بنين : عمرو ، وحُجْر ، والنعمان ، ومن ولد الأعرج أيضاً المنذر ، والأيهم أبو جَبَلَةَ ، وجَبَلَةَ آخر ملوك غسان ، كان طوله اثني عشر شبراً ، وهو الذى تنصَّرَ فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ملوك الحيرة : أولهم مالك بن فهم بن عمرو بن دَوْس بن الأزد ، مَلَكَ ملوك الحيرة العرب بالعراق عشرين سنة ، ثم ابنه جَذِيمَةُ بن مالك ، وهو الأبرش ، وهو الوضَّاح ، كان ملكه ستين سنة ، ثم عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي ، ويقال : إن نصرًا هو الساطرون صاحب الحضر ، وهو جرمقانى من أهل الموصل ، وقيل : بل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان ، وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل : « سَبَّ عمرو عن الطَّوْقِ » ثم امرؤ القيس ابن عمرو بن عدى ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وإنه الذى يدعى محرقاً ، ثم النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخوزنق ، ثم المنذر بن امرئ القيس ، وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ، ثم المنذر بن المنذر ، وهو الأصغر ، ثم أخوه عمرو بن المنذر ،

وهو عمرو بن هند ، ويسمى محرقا ؛ لأنه حرق بنى تميم ، وقيل : بل حرق نخل اليمامة ، ثم النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني ، وهو آخر ملوك لَخَمٍ ، ثم ولى بعده إياس بن قبيصة الطائي ، ثم ابنه أشهر ، واضطرب ملك فارس وضعفوا ، وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم ، وأتى الله عز وجل بالإسلام فعز أهله بالنبي صلى الله عليه وسلم .

٨٨ -- باب من النَّمْبَةِ

قال ابن دريد : الإبل الأَرَحَبِيَّةُ منسوبة إلى أرحب بن همدان .
 أَسْدُ خَفِيَّةٌ^(١) وأَسْدُ خَفَانٌ^(٢) وهما أجمتان من العذيب على ليلة .
 الرماح اليزنية : منسوبة إلى ذي يزن الملك ، ويقال الأيزنية ، قال ذو الرمة :
 أرين الذي استودعن سَوْدَاءَ قلبه هَوَى مثل شكِّ الأيزنِي النَّوَاجِمِ^(٣)
 هكذا جاءت الرواية في هذا البيت .

الأرحبية

خفية

اليزنية

الدروع تنسب إلى فرعون . قال راشد بن كثير :

الفرعونية

بكل فِرْعَوْنِيَّةٍ لُونُهَا مثل بصيص البغشة الغادية

(١) خفية - بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مشددة مثناة - أجمة في سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة بضعة عشر ميلا ، ينسب إليها الأسود ، فيقال : أسد خفية ، وانظر ياقوت .

(٢) خفان - بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخرة نون - موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا ، وهو مأسدة ، قيل : هو فوق القادسية ، وانظر ياقوت .

(٣) وقع في الأصول * أين الذي الأزاني النوجم * وهو تصحيف ، والتصويب عن الديوان .

وتنسب إلى داود ، وسليمان ، وتبغ ، ومحرق ، يريدون بذلك القِدَمَ
وجودة الصنعة .

الكَفَائِنُ الزُّغْرِيَّةُ : منسوبة إلى زغر^(١) وهو موضع بالشام تعمل فيه كفنائِن
حجر مذهبية .

قال أبو دواد يصف فرساً :

ككفائنة الزُّغْرِيَّ زَيْبِنَهَا من الذهبِ الدلاص

السّمَهْرِي : الرمح الشديد ، يقال : اسمهرّ الأمر ، إذا اشتد .

الأَتْحَمِيَّة : برود منسوبة إلى أتحم^(٢) باليمن .

القَعْضَبِيَّة : ضرب من الأسننة ، تنسب إلى قَعْضَب ، رجل قشيري كان
يعملها ، وكذلك الشَّرْعَبِيَّة أيضا . قال الأعشى :

وَلَدُنْ مِنْ الحَلْطِيِّ فِيهَا أَسْنَةٌ ذَخَائِرُ مَاسِنٍ أَبْزَى وَشَرَعَبٍ^(٣)

والشرعية أيضاً من الثياب الحارية في قول امرئ القيس :

فَلَمَّا دَخَلْنَاهَا أَضْفَنَّا ظَهْرَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشْطَبٍ^(٤)

قال الأصمعي : اِخْتَبَوْا بِجَاهِلِ سَيُوفِهِمْ .

(١) زغر - بضم ففتح - قرية بمشارف الشام .

(٢) وقال المرتضى : « قال شيخنا : والياء في الأتحمي ليست للنسب على

الأصح » ٥١ .

(٣) في الديوان (ص ١٣٨) « فيه أسنة » .

(٤) في الديوان (ص ٢٠) « فلما دخلناه » ومعنى « أضفنا » أسندنا .

والمشطب : الخطط ، على ما فسره أبو عبيدة .

قال أبو عبيدة : ما نسبت إلى الخيرة سيفوف قط ، وإنما يريد الرجال كما قال الآخر :

مشدودة برحال الخيرة الجُدُد^(١)

قال ابن الكلبي : أول من اتخذ الرجال علاف ، وهو زبان بن جرم ؛ فلذلك قيل للرجال « علافية » وأول من عمل الحديد من العرب الهالك ابن مراد بن أسد بن خزيمة ؛ فلذلك قيل لبني أسد القيون ، وقيل لكل حداد : هالكى .

العلافية
والهالكى

قال أبو عبيدة : أجود السهام التي صنعتها العرب في الجاهلية سهام بلام ، وسهام يثرب ، وهما بلدان قريبان من حجر اليمامة ، وأنشد الأعشى :

* بسهام يثرب أم سهام بلام *^(٢)

سَلُوق : قرية باليمن ، وإليها تنسب الكلاب والدروع .

السلوقية

سيف مشرفى : منسوب إلى مشرف ، وهى قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها ، وليس قول من قال إنها منسوبة إلى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء ، وإن قاله بعضهم .

المشرفى

والسيوف السريجية : منسوبة إلى سريج^(٣) رجل من بني أسد ، قال محمد ابن حبيب : هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، وكانوا قيوناً .

السريجية

(١) هذا عجز بيت للناطقة النديانى ، وصدرة * والأدم قد خيست فتلا مرافقها * والأدم : البيض من النوق . وخيست : ذلت ، فتلا : بانت عن آبائها مرافقها . والرجال : جمع رجل ، وهو شبه السرج ، الجدد : جمع جديد .

(٢) لم يذكر ياقوت بلاما ، والذي فيه وفي القاموس وشرحه ، « ويلمان موضع باليمن أو بالهند أو بالسند منه السيوف البيلمانية الجيدة » اه .

(٣) فى الأصول « السريجية . . . سريج » وهو تحريف .

الدرع الحطمية : منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعبة بن الحطمية
لكيز^(١) بن عبد القيس بن أفضى .

وقال ابن الكلبي : هي منسوبة إلى حطم ، وهو أحد بني عمرو بن مرثد
من بني قيس بن ثعلبة ، وقال الأصمعي : لا أعلم ما تنسب إليه .

الخطية : جزيرة بالبحرين تنسب إليها الرِّمَّاحُ ، قال الأصمعي : ليست تنبت
الرماح لكن سفن الرماح ترفأ إلى هذا الموضع فقبل للرماح خطية .

والمسك الدارِيُّ : منسوب إلى دارين ، يعني عطاراً بالبحرين ، زعم ذلك
أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، والأكثر المشهور عند العلماء أن دارين وغزة
موضعان بالشام .

عصفور ، وداعر ، وشاعر ، وذا الكلبتين : فحول إبل النعمان بن المنذر .

عصافير النعمان : أولاد عصفور الفحل ، وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون .

والقسى العصفورية : منسوبة إلى رجل يسمى عصفوراً ، حكاه الجاحظ .

وأنشد لابن بشير :

عطف السيات بواقع في بذلها تُعزَى إذا نُسِبَت إلى عصفور

يعني قسيّ البندق ، دَعَا بها على حَمَام جاره .

ويقال للقسى أيضاً « الماسخية » منسوبة إلى رجل من الأزد ، واسمه ماسخة

هو أول من عملها .

والإبل العسجدية والعمدية والعمانية : إبل ضربت فيها الوحوش .

والإبل الشذقية والجديلية عن غيره منسوبة إلى شذقم وجديل ، وهما فحلان

مشهوران .

الجرالأخدرية : منسوبة إلى حمار يسمى أخدر ، وقيل : هو فرس كان لبعض

الملوك ، أظنه أردشير بن بابك ، توحش فضرب في عانة^(٢) فنسبت أولاده إليه ، وهو

(١) في الأصول « بكير » تصحيف (٢) العانة : القطيع من الأتن ، هنا .

أفره الحمر ، هكذا تزعم العرب ، والعادة أن يكون ما نتاج منه بغالا . فأما الكداد
فحمار معروف من الوحشية نتج . قال الفرزدق :

حمار لهم من بنات الكداد يدهمج بالوطب والمزود

أول من أنتج البغال أنتج البغال
والبغال يزعمون أن قارون أول من أنتجها ؛ فهي تُنسب إليه ، وقيل : بل أنتجها قبله أفر يدون .

(٨٩) - باب العتاق من الخيل ومذكوراتها

وأول ما أذكر منها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرا كبه ، جرياً
على العادة في التبرك باسمه : فمنها « السكب » وهو فرسه يوم أحد ، حكاه ابن
قتيبة ، ومنها « المرتجز » وكان له فرس يقال « اللزاز » وفرس يقال له « الضرب »
وفرس يقال له « اللجيف » وفرس يقال له « الورد » وزاد غير ابن قتيبة فرساً يقال
له « سحة » وكانت بغلته يقال لها « دلدل » وكان حماره يقال له « يعفور »
وكانت ركائبه « القُصوى » و « الجداء » و « العَضْبَاء » .

صراكب
رسول الله

وهذه خيل العرب : قال ابن قتيبة عن أبي عبيدة : الغراب والوجيه ولاحق
ومذهب ومكتوم كانت كلها لغني .

خيل غني

وقال أحمد بن سعد الكاتب : كان أعوج أولاً لسكندة ، ثم أخذته سليم ،
ثم صار لبني عامر ، ثم لبني هلال ، قال ابن حبيب : رُكِبَ رطبا فاعوجت قوائمها
وكان من أجود خيل العرب ، وأمه سبل كانت لغني ، وأم سبل البشامة ، كانت
لجمدة ، ولهم أيضا الفياض .

أعوج

قال ابن سعد : والوجيه ولاحق لبني سعد ، قيل : وحلاب لبني تغلب ،
والصريح لبني نهشل ، وزعم غيره أنه كان لآل المنذر ، وجلوى لبني ثعلب
ابن ير بوع ، وذو العقال لبني رياح بن ير بوع ، وهو أبو داحس ، وكان داحس

عدة من فحول
الخيل

والغبراء لبني زهير ، وهى خالة داحس ، وأخته من أبيه ذى العقال ، [و] قرزل
والخطار والحنفاء لحذيفة بن بدر ، وهى أخت داحس من أبيه وأمه ، [و] قرزل
آخر للطفيل بن مالك ، [و] حذفة لخالد بن جعفر بن كلاب ، وحذفة أيضا لصخر
بن عمرو [بن] الشريد ، [و] الشقراء لزهير بن جذيمة العيسى ، والزعفران لبسطام
ابن قيس ، والوديقة ونصاب وذو الحمار لمالك بن نويرة ، والشقراء أخرى لأسيد
ابن حنافة السليطي ، والشيط لأنيث بن جبلة الضبي ، والوجيف لعامر بن الطفيل
والسكلب والمزنوق والوردله أيضاً ، والخنثى فرس عمرو بن عمرو بن عدس ، [و] الهداج
فرس الريب بن شريق السعدى ، وجزة فرس يزيد بن سنان المرى فارس غطفان ،
والنعامة للحارث بن عباد ، وابن النعامة لعنترة ، والنحام فرس السليك بن السلكمة
السعدى ، والعصا فرس جذيمة بن مالك الأزدي ، والمراوة لعبد القيس بن
أفصى ، واليحموم فرس النعمان بن المنذر ، وكامل فرس زيد الخيل ، والربد فرس
الحوفزان ، وأبو الزعفران فرس بسطام ، والعرادة^(١) فرس الكلابية اليربوعى ،
انتهى كلام أحمد بن سعد

وعن ابن دريد : القطيب فرس كان للعرب ، وكذلك البطين واللعباب
والعباءة فرس حرّى بن ضميرة النهشلى ، والمدعاس فرس النواس بن عامر
المجاشعى ، وصهباء فرس النمر بن توءب ، وحافل فرس مشهور ذكره حرب بن
ضرار فى قوله :

كملت عبناة السراة نبي بها
والعسجدى لبني أسد ، والشموس فرس زيد بن حذاق العبدى ، والضيف
لبني تغلب ، وهراوة الغراب فرس الريان بن حويص العنبرى ، يقال : إنها جاءت
سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها على العزّاب يتكسبون عليها فى السباق
والغارات ، والحرون فرس تنسب إليه الخيل ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسيد الباهلى

(١) فى الأصول « والجالة » وانظر (أنساب الخيل ٤٧) .

والزليف فرس مشهور ، وهو من نسل الحرون ، ومناهب فرس تنسب إليه الخيل
أيضا ، قال الشمر دل :

لأفـل ثلاثة سميـنا مناهبـا والضيـف والحرونا

والعلمان : فرس أئى مليك عبد الله بن الحارث اليربوعى .

ومن أقدم الخيل زاد الراكب ، وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الأزد
كانوا أصهاره .

وكان إسماعيل عليه السلام أول من ذلّل الخيل وركبها ، وكانت قبل من
سائر الوحوش .

(٩٠) — باب من المعانى المحدثه

قال أبو الفتح عثمان بن جنى : المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء
فى الألفاظ ، والذى ذكره أبو الفتح صحيح بين ؛ لأن المعانى إنما اتسعت لاتساع
الناس فى الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام فى أقطار الأرض ، فصروا الأمصار ،
وحضروا الخواضر ، وتأنقوا فى المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة مادتهم
عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره ، وإنما خصصت التشبيه لأنه أصعب
أنواع الشعر ، وأبعدها متعاطى ، وكل يصف الشيء بمقدار ما فى نفسه من ضعف
أو قوة ، وعجز أو قدرة ، وصفة الإنسان ما رأى يكون لاشك أصوب من
صفته ما لم ير ، وتشبيهه ما عين بما عين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ،
ومن هنا يحكى عن ابن الرومى أن لائما لامة فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز
وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدنى شيئا من قوله الذى استعجزتنى فى مثله ، فأنشده
فى صفة الهلال :

عن يصح
الاستشهاد
وسره

فانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أنقلته حمولة من عنبرٍ

فقال : زدنى ، فأنشده :

كأنَّ آذريونَهَا والسُّمُّسُ فيه كاليه

مداهن من ذَهَبٍ فيها بقايا غالية

فصاح : واغوثاه ، يا لله ، لا يكلفُ الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعونَ بيته ؛ لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس كلهم مني ؟ هل قال أحد قط أملك من قولي في قوس الغمام :

صفة قوس
قزح لابن
الرومي

وقد نَشَرَت أَيْدِي السحاب مَطَارِفًا

على الأرض دُكْنَا وهي خُضِرُ على الأرض
يطرُّزها قوسُ الغمام بأصفر على أحمر في أخضر وَسَطَ مُبَيِّضٌ
كأذيالِ خَوْدِ أَقْبَلت في غَلَائِلِ مُصَبَّغَة والبعض أقصر من بعض

وصف الرقاقة
وخيازها له

وقولي في قصيدة في صفة الرقاقة :

ما أنس لا أنس خَبَازاً مررت به يدخو الرقاقة وَشَكَ الملعح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفة كُرَّةً وبين رؤيتها زهراء كالقمر
إلا بمقدار ما تَنَدَّاحُ دَائِرَة في صفحة الماء يُرْمَى فيه بالحجر

وهذا كلام إن صح عن ابن الرومي فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك ؛ لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجدته في ديارهم — كما ذكر أن ذلك علة للاجادة وعذر — فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضاً ، اللهم إلا أن يريد أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثائه فيشبهه به ما أراد ، وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالباً به الرزق : أمدح هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأعاتب هذا تارة ، وأستمطف هذا طوراً ، ولا يمكن أن يقع أيضاً عندي تحت هذا ، وفي شعره أيضاً من مליح التشبيه مادونه النهايات التي لا تبلغ ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز .

ولم أدلَّ بهذا البسط كله على أن العرب خلت من المعاني جملة ، ولا أنها

أفسدتها ، لكن دللت على أنها قليلة في أشعارها ، تكاد تحصر لو حاول ذلك محاول ، وهي كثيرة في أشعار هؤلاء ، وإن كان الأولون قد نهجوا الطريق ، ونصبوا الأعلام للمتأخرين ، وإن قال قائل : ما بالكم معشر المتأخرين كلما تمدى بكم الزمان قلّت في أيديكم المعاني ، وضاق بكم المضطرب ؟ قلنا : أما المعاني فما قلّت غير أن العلوم والآلات ضعفت ، وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم في نقص ، وأن الدنيا على آخرها ، ولم يبق من العلم إلا رمقه معلقاً بالقدرة ، ما يمسكه إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه .

تكثر المعاني كلما
تقدم العصر

وإذا تأملت هذا تبين لك ما في أشعار الصدر الأول الإسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم ما في أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء ، إلا في الندرة القليلة والقلته المفردة ، ثم أتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي ، والمعاني أبدأت تردد وتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً وكان ابن الرومي ضنيناً بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ، ويصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية ، حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد ، ثم نجد من بعده [من] لا ينتهي في الشعر ، بل لا يعشره ، قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ، ووجه له وجهة حسنة ، لا يشك البصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شره لم يتركها عن قدرة ، ولكن الإنسان مبنى على النقصان .

منزلة ابن
الرومي في
توليد المعاني

وسأورد عليك من معاني المتقدمين ، وأنظرها بأمثالها من أقوال المولدين لا أعدوها ليتبين البرهان ، هذا ، على أنني ذممت إلى المحدثين أنفسهم في أما كن من هذا الكتاب ، وكشفت لهم عوارهم ، ونعيت لهم أشعارهم ، ليس هذا جهلاً بالحق ، ولا ميلاً إلى بنيات الطرق ، لكن غضاً من الجاهل المتعاطي ، والمتحامل الجافي ، الذي إذا أعطى حقه تعاطى فوقه ، وادّعى على الناس الحسد ،

وقال : أنا ولا أحد ، وإلى كم أعيش لكم ؟ وأي شئ علم بين جنبي لو وجدت له مستودعاً ؟ فإذا عورض في شعره بسؤال عن معنى فاسد أو مُتَّهَم ، أو طوَلب بحجة في لحنه أو شاذ ، أو نوظر في كلمة من ألفاظ العرب مُصَحَّفة أو نادرة ، قال : هكذا أعرف ، وكأنما أعطى جوامع الكلم ، حاشَ اللهُ ! وأستغفر الله ، بل هو العمى الأكبر ، والموت الأصغر ، وبأى إمام يرضى ، أو إلى أى كتاب يرجع ، وعنده أن الناس أجمعين بضعة منه ، بل فضلة عنه ، فهو كما قال حمادُ عَجْرَدٍ في يونس بن فروة :

أما ابنُ فروةَ يُونسُ فكأنه من كبره أيرُ الحمار القامُ
ما الناس عندك غير نفسك وحدها والناس عندك ما خلاك بهائمُ

وأين من ذكر من بشار بن برد حين قيل له : بم فُقتَ أهلُ عمركَ وسِمقتَ أبناءَ عمركَ : في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأنى لم أقبل كل ما تورده علىَّ قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكركي ، ونظرت إلى مغارس الفِطَنِ ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفكر جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سَبْرَهَا ، وانتقيت حُرَّهَا ، وكشفت عن حقائقها ، واحتترزت عن متكلفها ، ولا والله ما ملك قيادي الإعجاب بشيء مما أتى به .

وكم في بلدنا هذا من الحفائِ قد صاروا ثعابين ، ومن البغاثِ قد صاروا شواهين ، إن البغاث في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يُعرَفوا بعد اليوم بتخليد ذكرهم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في جُملة من يعد خطله ، ويحصى زلله ؛ لذكرت من لحن كل واحد منهم وتصحيحه وفساد معانيه وركاكة لفظه ما يدل على مرتبته من هذه الصناعة التي ادَّعَوْها باطلا ، وانتسبوا إليها انتحالا ، وقد بلغني أن بعض مَنْ لا يتورع عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أنى أخذت عنه

بشار يبين
سبب تفوقه

مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما علمها ، والامتحان يقطع الدعوى ،
كما قال بعض الشعراء :

من تحلّى بغير ما هو فيه فَضَحَ الإمتحانُ ما يدعيه

وكنت غنياً عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى مَنْ أشرت إليه أنفاً من
ذكره ، وعزُّوفاً بهمتي عن الانحطاط إلى مساواته ، ولكن رأيت السكوت عنه
عجزاً وتقصيراً ، كما قال أبو تمام :

ترَكُ اللّثيمِ ولم يُمزَقْ عرضه نَقَصَ على الرجلِ الكريمِ وعارُ

وكما قال أبو الطيب ، وقد استحق المعنى عليه :

إذا أتتِ الإساءة من وضعٍ ولم أَلْمِ المسيءَ فمن أُلومُ ؟

ثم أعود إلى التّسطير فأطرح عن الحدث المولد ما كان من جنس تشبيه النعمة
للطرماح^(١) ، وصفة الثور الوحشى له أيضاً ، وصفة مغارز ريش النعمة إذا أمرط
للشماخ ، ومثل بيت العنكبوت فيما يمتد من لُعَامِ الناقة تحت لحيمها في شعر الحطية؛
وتشبيه الذباب بالأجزم ، ولحي الغراب بالجم لعنتره ، وأشبهه هذا مما انفردت به
الأعراب والبادية كعاداتها ، كأنفرادها بصفات النيران ، والفلوات الموحشة ،
وورود مياها الآجنة ، وتعسّف طرقاتها المجهولة ، إلى غير ذلك مما لا يعرف عياناً؛
إذ كان الحدث غير مأخوذ به ، ولا محمول عليه ، ألا ترى إلى أبي نواس —
وهو مُقدّم في المحدثين — لما وصف الأسد وليس من معارفه ، ولعله ما شاهده
قط إلا مرة في العمر إن كان شاهده ؛ دخل عليه الوهم فجعل عينيه بارزة
وشبههما بعيون الخنوق ، وقام عنده أن هذا أشنع وأشبهه بشتامة وجه
الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زبيد وغيره لغوور عينيه مما هو أعلم به
من أخذ عليه ، وأكثر ظني — والله أعلم — أن أبا نواس إنما رجّع بالصفة

(١) انظر التشبيهات العقم التي أوردها المؤلف في الباب الأربعين (ج ١ ص

٢٩٦ من هذا الكتاب) .

إلى الرجل المشبه بالأسد ، وجعل ازورار عينيه وبروز جفنيه من علامات الفيظ والحنق على أقرانه في الحرب .

وكذلك لما تعاطى الأعرابي أبو نَخَيْلَةَ^(١) ما لا يعرف قال :

* ولم تَدُقْ من البُقُولِ الفُسْتُقَا *

فجعله بقلاً^(٢) على ما في نفسه من لعاع البقل .

على أن المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحق بالتقدمة فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البروق والرعود ، والغيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ، ولكنني أفرد له كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون ، وآتى ها هنا من هذين النوعين بما يسد خلة المفتقر إلى سماعه من المبتدئين .

ما جاء في
طول الليل

قال النابغة يذكر طول ليله :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأيب

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواكب وردوا رقادي فهو لحظ الحبايب

فإن نهاري ليلة مدلهمة على مقلة من فقدكم في غياهب

فأنت ترى ما فيه من الزيادة وحسن المقصد ، على أن بيتي النابغة عندهم في

غاية الجودة .

(١) في أكثر الأصول « أبو جبلة » وهو تصحيف ، وقبل هذا البيت قوله :

* جارية لم تأكل المرققا * (٢) ويجعله بعضهم « ولم تدق من النقول » جمع نقل ، بالنون .

ما جاء في
حلق الشعر

وقال يزيد بن الطُّثْرِيَّة حين حلق أخوه ثورٌ جُمَّته :
فأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها
وهذا البيت من أفضل الأوصاف وأحسنها بياناً عند قدامة وغيره
وقال بعض المتأخرين ، وأحسبه الزيادي ، في غلام حلقت وفرتُه :
حلقوا رأسه ليكسوه فُبْحاً غيره منهم عليه وشُحاً
كان صُبْحاً عليه ليلٌ بهيمٌ فمَحَوْا ليلَهُ وأَبْقَوْهُ صُبْحاً
وقال رؤبة بن العجاج :

أمست شَوَاتِي كالصَّفَاة صَفْصَفَا فصارَ رأسي جَبْهَةً إلى القَقَا
فقال ابن الرومي وأحسن ما شاء :
يجذب من نقرته طرة إلى مدى يقصر عن نيـله
فوجه يأخذ من رأسه أخذَ نهارِ الصيف من ليلِهِ
ولو تتبعت هذا لأطلت في غير موضع الإطالة .

كما انفرد
به بشار

فأما ما انفرد به المحدثون فمثل قول بشار :
يا قوم أذني لبعض الحيِّ عاشقة والأذنُ تعشق قبلَ العينِ أحياناً
قالوا: بمن لا ترى تهذي؟ فقلت لهم :
الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا
وكرره فقال :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي وأمسى به من حبها أترُّ :
أنى ولم ترها تهذي؟ فقلت لهم :
إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر
وقوله أيضاً :

وكيف تناسي من كان حديثه بأذني- وإن غيبت- قرطٌ معلقٌ
واختراعاته كثيرة ، واشتهاره بذلك يعني عن الإنشاد له .
وكقول أبي نواس ، وقد ذكر المبرد أنه لم يُسبقْ إليه ، وهو :

بما انفرد به
أبو نواس

أيها الرأحمان باللوم لوماً
نالني بالسلام فيها إمام
فاصرفاها إلى سِوَايَ فإني
كُبرُ حطى منها إذا هي دارت
فكأنني وما أزيّنُ منها
كلَّ عن حملة السلاح إلى الحر
لا أذوق المنام إلا شميماً
لا أرى لي خلافةً مستقيماً
لست إلا على الحديث نديماً
أن أراها أو أن أشم النسيماً
قعدِيُّ يَزِينُ التحكيميا
بفاوصى المطيق أن لا يقيماً

« القعدية » : فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمُر به ، وتقعده عنه .
وقوله أيضاً :

بنينسا على كسرى سماء مدامة
فلورد في كسرى بن ساسان روحه
وهذا المعنى أيضاً لم يتناوله أحد قبله .
وكذلك قوله :

قد قلتُ للعباسِ معتذراً
أنت امرؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْمَا
فإليك مني اليومَ تَقْدِمَةٌ
لا تُسْـَـدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةٌ
من ضعف شكرِ بهِ ومعتزفاً :
أوهت قوى شكرى فقد ضِعُفَا
تلقاك بالتصريح منكشفاً
حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقال أيضاً في صفة النساء الحمارات ، ويروى لابن المعتز :

وتحت زنانيرٍ شدَدَنَ عقودها
فهذا تشبيه ما علمت أنه سبق إليه .
وقال أيضاً :

لست أدري أطل آيلى أم لا
لو تفرغت لاستطالة ليلى
كيف يدري بذاك من يقبلى ؟
ولرغى النجوم كنت مخرلا

ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة .

وأكثر المولدين معاني وتوليدا - فيما ذكره العلماء - أبو تمام ، غير أن القاسم بن مهرويه^(١) قد زعم أن جميع ما لأبي تمام من المعاني ثلثه : أحدها قوله : ما انفرد به أبو تمام

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويّت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
والثاني قوله :

بني مالك ، قد نَهتْ حامِلَ الثرى قبوركم مستشرفات العالم
غوامض قيد الكف من متناول وفيها غلا لا يرتقى بالسلام
والثالث قوله :

يأبى على التصريد إلا نائلاً إن لم يكن محضاً قرأحاً يمدق
نزراً كما استكرهت عار نفحة من فارة المسك التي لم تفتق

وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله سبحانه . ولا بد هاهنا من نبذة يسيرة أشغل بها الموضوع : منها قوله :

عيني لعينك حين تنظر مقتل لكن لحظك سهم حثف مرسل
ومن العجائب أن معنى واحداً هو منك سهم وهو مني مقتل
وقوله في عتاب :

توددت حتى لم أَدع مُتودداً وأفنيت أفلامي عتاباً مُردداً
كأنى أستدعي بك ابن حنية إذا النزاع أدناه من الصدر أبعدا

وقوله في أبيات يتغزل فيها ، وإن كان قد كرر المعنى :

نظرت فأفصدت الفؤاد بلحظها ثم انثت عنه فظل يهيم
فلموت إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزع عن أليم

(١) انظر الموازنة للأمدى (ص ١١٤ بتحقيقنا) وفي الأبيات بعض اختلاف

لا يغير المعنى .

وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه :

وما يعـتريها آفة بشرية من النوم إلا أنها تبختر
وغير عجيب طيب أنفاس روضة منورة باتت راح و منظر
كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب ، وأنفاس الورى تنغير

(٩١) - باب في أغاليط الشعراء والرواة^(١)

ولابد أن يؤتى على الشاعر المفلق ، والعالم المتقن ؛ لما بنى عليه الإنسان من
النقص والتقصير ، وخير ما في ذلك أن يرجع المرء إلى الحق إذا سمعه ، ولا يتبادى
على الباطل لجاجة وأنفة من الخطأ ؛ فإن تماديه زيادة في الخطأ الذى
أنف منه .

بين مسلم
وأبي نواس

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الأمدى ، عن على
ابن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد المبرد ، قال : تلاحى مسلم بن الوليد
وأبو نواس ، فقال [مسلم] : ما أعلم بيتاً لك يخلو عن سقط ، فقال أبو نواس :
اذكر شيئاً من ذلك ، فقال : بل أنشد أنت أى بيت شئت ، فأنشد
أبو نواس :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

فقال مسلم : قف عند هذا ، لم أمله ديك الصباح ، وهو يبشره بالصبوح ،
وهو الذى يرتاح إليه ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت ، فأنشده :

عاصى الشباب فراح غير مفند وأقام بين عزيمة وتجند

فقال أبو نواس : ناقضت ، ذكرت أنه راح ، والرواح لا يكون إلا بالانتقال
من مكان إلى مكان ، ثم قلت « وأقام » فجملته منتقلا مقيما في حال ، هذا منتاقض .

(١) ألف المرزبانى كتابه « الموشح » فى مأخذ العلماء على الشعراء ، وألف
العسكرى كتاب التصحيف والتحريف ، فيما ورد فى عبارات الرواة ورواياتهم
من التحريف .

قال أبو العباس : وكلا البيتين صحيح ، ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له مخرجا لم يفته .

قال الأصمعي : وأخطأ زهير في قوله « كأحمر عاد^(١) » ولا أدري لم خطأه وقد سمع قول الله عز وجل * (وأنه أهلك عاداً الأولى) * فهل قال هذا إلا وثم عاد أخرى ؟ وهي هلكت بالتمل من ولد قحطان . قال قيس بن سعد ابن عبادة :

* سراويل عادِيٍّ نَمَتْهُ ثَمُودُ *

وكان يقال لثمود « عاد الصغرى » .

وخطأ الشماخ [في قوله] في وصف ناقته :

* رَحَى حَيْرٌ وَمِهَا كَرَحَى الطَّحِينِ^(٢) *

ظنه يصفها بالكبر ، وهو عيب لا محالة ، وإنما وصفها بالصلابة لا غير . وأخذ ابن بشر الأمدى على البحترى قوله :

مأخذ للأصمعي
على زهير ورده

مأخذ له
على الشماخ

مأخذ للأمدى
على البحترى

(١) هذه قطعة من بيت لزهير يقع في معلقته ، وهو بتمامه :

فتنتج لكم غلمان أشام كلهم كأحمر عاد ، ثم ترضع فتفطم

ومحصل اعتراض الأصمعي أن قوله « كأحمر عاد » فيه نسبة قدار عاقر ناقة ثمود إلى عاد ، وهو مالا يصادقه عليه العارفون بالأنساب والتاريخ ، وقد أجيب عن هذا الاعتراض بما ذكره المؤلف من أن عاداً يسمى به جماعتان ، وأنه يقال لثمود « عاد الأخرى » بدليل الآية ، وأنصار الأصمعي لا يقرون هذا الجواب ويزعمون أن « الأولى » في قوله تعالى (عاداً الأولى) معناه السابقة التي كانت قبل ثمود ، وليس يدل على أن هناك عادين . ومحصل هذا أن الوصف أتى به للايضاح لا للاختراز .

(٢) صدره * فنعم المرتجى ركبت إليه * والمرتجى : الذي يرجى لنواب

الدهر . وركبت إليه : بركت عنده . ورحى حيزومها : كر كرتها ، شبهها بالرحى في الصلابة ، لافي العظم ؛ لأنه مما يعاب في الإبل ، وسيدكر لك المؤلف ذلك

هَجَرْتَنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى هَيْبَهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى
قال : هذا غلط^(١) ؛ لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها ، يقظى كانت
أَوْ وَسْنَى أَوْ مَيْتَةَ ، والجيد قوله :

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْظَانًا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيكَ سُكْرُ الْكِرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَانًا
وأنا أقول : إن مراده أنها لشدة هجرها له ونحوها^(٢) عليه لاتراه في المنام إلا
مهجوراً ، ولاتراه جملة ، فالعنى حينئذ صحيح لافساد فيه ، ولا غلط ، ولعل
الرواية «وكادت^(٣)» وهذا موجود في كلام الناس اليوم ، ومثله يقولون «فلان
لا يرى لي مناماً صالحاً» وليس بين بيتي البحتري تناسب من جهة المعنى جملة
واحدة ؛ لأنه أولاً يحكى عنها ، وثانياً يحكى عن نفسه ، بلى إن في اللفظ
اشتراكاً ظاهراً .

وفي كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله :

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسٌ قِنَاً الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ
قال : فيه غلط من أجل أنه نفى عن النساء لين القنا ، وإنما قيل للرماح
« ذوابل » لئنيها وتثنيها ، فنفي ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكمل
أوصافها اللين والتثني والانمطاف .

قلت أنا : أما أبو تمام فقولُه الصواب ؛ لأنهم يقولون « رمح ذابل » إذا
كان شديد الكعوب صلباً ، وهو الذي تعرف العرب ، ومنه قولهم « ذبلت
شفتاه » إذا يبستا من الكرب أو العطش أو نحوها ، فأما كلام المعارض فغير
معروف إلا عند المولدين ؛ فإنهم يقولون « نواره ذابلة » وليسوا بقدوة ؛ على
أن كلامهم راجع إلى ماقلناه ، إنما ذلك لقلة المائة وابتداء اليبس ، وإنما
نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الأمدى^(٤) .

(١) انظر كتاب الموازنة للأمدى (ص ٣١٤ من الطبعة الثانية بتحقيقنا) .

(٢) كذا ، ولعله « ونحوها عليه » (٣) هي كذلك في جميع نسخ ديوانه

(٤) انظر الموازنة ١٣٠ .

مأخذ على
جرير
ورده

قال الأصمعي^(١) : قرأتُ على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعراً جريراً ،
فلما بلغت إلى قوله :

وليل كالبهام الحبارى محبب إلى هواه غالب لي باطمة
رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن كمن نبئله محرومةً وحبائله
فيالك يوماً خَيْرُهُ قبل شره تغيبَ واشيه وأقصر عاذله

قال خلف : ويحه ، ما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقلت : هكذا قرأته على
أبي عمرو بن العلاء ، قال : صدقت ، وكذا قال جرير ، وكان قليل التنقيح
لألفاظه ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت : فكيف يجب أن يكون
قال : الأجود أن يكون « خيرهُ دون شره » فاروه كذلك ، وقد كانت الرواة
قديماً تصلح أشعار الأوائل ، فقلت : والله لا أرويه إلا كذا .

قلت أنا : أما هذا الإصلاح فمليح الظاهر ، غير أنه خلاف الظاهر ، وذلك
أن الشاعر أراد أنه كان ليلة في وصال ، ثم فارق حبيبته نهائراً ، وذلك هو الشر
الذي ذكر ، والرواية جعله لم يفارق فغير عليه المعنى ، إلا أن تكون الرواية
* ويوم كالبهام الحبارى * فحينئذ .. على أن « دون » تحتل ما قصد ، وتحتل
معنى قبل ؛ فهي لفظة مشتركة ، وتكون أيضاً بمعنى بعد ؛ لأنها من الأضداد ،
ولكن في غير هذا الموضع .

مأخذ على بشامة
ابن الغدير

وخطأ الأصمعي بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته :

وصدّر لها مهيمع كالحليف تخال بأن عليه شليلا

لأن من صفة النجائب قلة الوبر .

مأخذ على كعب
ابن زهير

وخطأ أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته :

* فَعَمَّ مَقِيدُهَا ضَخْمٌ مَقْلَدُهَا *

لأن الفجائب دقيقات المذابح .

(١) انظر الموشح للمرزباني ١٢٥ .

مأخذ على
البحترى

ونبه أبو الفضل بن العميد على البحترى في بيت كسره، وهو قوله:
ولماذا تَدَمِّعُ النفسُ شميماً جعل الله الفردوسَ منه جزاءً

قال ننشده:

* جعل الله الخلدَ منه جزاءً *

ليستقيم، حكى ذلك الصحاح بن عباد.. وأنشده أيضاً:

أبا غالب بالجوّد تذكروا جبي إذا ما غنى الباخلين نسيه

وزعم أنه لحن، ولست أرى به بأساً، هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه
بناء القافية، فإذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تكن الهاء إلا مكسورة إتباعاً لما
قبلها، لا سيما وهي طرفٌ، وقد فعلوا مثل هذا في وسط الكلمة.. وقال
رؤبة:

* كأنَّ أيديهنَّ بالقاعِ القرقِ *

ولم يقل أيديهنَّ بالضم استمقلاً، وأيضاً فكأنه - أعني البحترى - نوى
الوقوف، ثم جر القافية كعادتهم في تحريك الساكن أبداً إلى الجر
وأنشد الصحاح بن عباد قال: أنشدني علي بن المنجم، قال: أنشدني أبو
الغوث لأبيه:

وأحقُّ الأيام بالأنس أن يؤثرفيه يوم المهرجان الكبير
وأنا أقول: إن أبا الغوث جاء من قبله الخذلان في هذه الرواية، فويل
للآباء من أبناء السوء، ودع المثل القديم، ولا أظن البحترى قال إلا:

وأحقُّ الأيام بالأنس أن تؤثرفيه يوم المهرجان الكبير

وأخذ الأحمر على المفضل روايته في قول امرئ القيس:

* تمسُّ بأعرافِ الجيادِ أكرمنا *

مأخذ على
المفضل في
روايته

وما هو إلا « نمش » أى : نمشح ، والمشوش المنديل .

وكذلك قول المفضل :

وإذا ألم خيالها طرقت عيني فاء شجونها^(١) سَجْمٌ

وإنما هو « طرفت » بالفاء .

وأخذ عليه الأصمى في قول أوس :

* تصمت بالماء تَوَلَّبًا جَدَعًا *^(٢)

وإنما هو « جدعا » بدال مكسورة غير معجمة ، ولأمر ما قال ذو الرمة

لموسى بن عمرو : اكتب شعري ، فالكتاب أعجب إلى من الحفظ ؛ لأن الأعرابي

ينسى الكلمة قد تعب في طلبها ليلة ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشدها

الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام .

قال الأخطل : أخطأ الفرزدق حيث قال :

أبني غُدَانَةٌ إِنِّي حَرَزْتُكُمْ فوهبتكم لِعَطِيَّةَ بنِ جَمَالٍ

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين الأيم أَوْجُهٍ وَسِبَالٍ

كيف يكون وهب له وهو يهجوم هذا الهجاء ؟ فانبرى له فتى من بنى تميم

فقال : وأنت الذى قلت فى سويد بن منجوف^(٣) :

فما جَدَعُ سَوْءِ خَرَقِ السَّوْسِ بَطْنُهُ لِمَا حَمَلْتَهُ وَائِلٌ بِمَطِيقِ

أردت هجاءه فرعمت أن وائلا تعصب به الحاجات ، وقدّر سويد لا يبلغ

ذلك عندهم ، فأعطيته الكثير ، ومنعته القليل ، وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان

الباهلى ، وأن تصغر شأنه ، وتضع من قدره ؛ فقلت :

وَسَوْدَ حَاتِمًا أَنْ لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّيْرَانَ نَارُ

(١) أحسبه * ... فناء شؤونها ... *

(٢) صدره * وذات هدم عار نواشرها * وقد عاب قوم على أوس هذا

البيت ؛ لأنه سمى الصبي « تولبا » وإنما هو ولد الحمار .

(٣) انظر الموشح للمرزبانى ١٣٣ وما بعدها .

مأخذ على
الفرزدق، وعلى
الأخطل

فأعطيته السؤدد من قيس الجزيرة ، ومنعته مالا يضر منعه ؛ وأردت أن
تمدح سماكا الأسدي فقلت :

نعمَ الجبيرُ سماكٌ من بني أسد بالطَّفِّ إذ قَتَلتْ جيرانها مُصرُ
قد كنتُ أحسبه قيما وأنبؤهُ فالآن طير عن أنوابه الشررُ^(١)
فانصرف الأخطل خجلا .

قال الحسن لعلی بن زيد : رأيت قول الشاعر :

لولا جريئُهُ هلكتُ بجيـله نعم الفتى وبئست القبيلة
مدحه أم هجاء ؟ قال : مدحه وهجا قومه ، فقال الحسن : ما مُدِحَ من
هُجَى قَوْمُهُ .

معدرة عن
الناعبة

وقال من اعتذر للناعبة في قوله :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خِلتُ أن المنتأى عنك واسع
إنما قدم الليل في كلامه لأنه أهول ، ولأنه أول ، ولأن أكثر أعمالهم
إنما كانت فيه ؛ لشدة حر بلدكم ، فصار ذلك عندهم متعارفاً .
وكذلك اعترفوا زهير [في قوله] يصف الضفادع^(٢) :

معدرة عن
زهير

يخرجن من شربات ماؤها طحلٌ على الجذوع يخفن الغمراً والغرقا
فقال : لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب
من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغ في التشبيه ، كما قال الله عز وجل :
(وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) وقال : (وبلغت القلوب الحناجر)
والقول فيهما محمول على « كاد » هكذا ذكر الخدائق من المفسرين ، مع أنا
نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة ، خوفاً على نفسها من
الهلكة ، فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات ، وإنما اقتدى فيه
بقول أوس بن حجر :

فباكرن جونا للعلاجيم فوقهُ مجالسُ غرقى لا يُجَلِّأُ ناهله

(١) في الأصول « فأنبؤهُ » (٢) انظر الموازنة ص ٣٥ .

مأخذ على
أبي نواس

وعند القاضي الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله :
رأيتُ كلَّ من كان أحقماً معتموهاً في ذا الزمان صار المقدم الوجيها
ياربَّ نذلٍ وضيع نوهته تنويها هجوته لكيا أزيده تشويها
ولم يقل أبو نواس - فيما علمت - إلا « رب وضيع نذل » وهذا أفرط
في التعصب والحمية على أبي نواس وغيره لمن لا يُجرى في حلبتهم ولا يُشق
غبارهم .

(٩٢) - باب ذكر منازل القمر

ولما رأيت العرب - وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنواعها ؛ لأنها سقف
بيوتهم ، وسبب معاشهم وانتجاعهم - غلطوا فيها فقال أحدهم : من الأنجم
العرزل والراححة .. وقال امرؤ القيس .

سر ذكر المؤلف
لهذا الباب

* إذا ما الثرياً في السماء تعرّضت * (١)

فأتى بتعرض الجوزاء ، ورأيت كل من عنى بالنجوم من المحدثين واستوفى
جميع المنازل مخطئاً ، لا شك في خلافه ؛ لأنه إنما يصف نجوم ليلة سهرها ،
والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ، ولذلك قلت أنا احتياطاً في الليل من نسيب
قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه :

قد طال حتى خلتُهُ من كل ناحيةٍ وسَطُ
وتكررت فيه المنازلُ منه لا مني الغلطُ

وجب أن أذكر هذه المنازل وأنواعها ، واختلاف الناس فيها ، وعولت
في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، مجتهداً فيما
استطعت من البيان والاختصار ، إن شاء الله تعالى .

(١) عجزه * تعرض أثناء الوشاح المفصل * وهو بيت من معلقته .

أجزاء السنة
وما يتبعها

السنة أربعة أجزاء ، لكل جزء منها سبعة أنواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً ، إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يوماً ، زيد فيه يوم لتسكّل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاثني عشر ، لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ، وكلما نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته ؛ لأنها تستر ثلاثين درجة : خمسة عشر من خلفها ، ومثلها من أمامها ، فإذا انتقلت عنها ظهرت ، هكذا قال الزجاجي .

النوء

وإذا اتفق أن تطالع منزلة من هذه المنازل بالعادة ويغرب رقبه فذلك النوء لا يتفق لكل منزلة إلا مرة واحدة في السنة ، وهو مأخوذ من « ناء ينوء » إذا نهَضَ متثاقلاً ، والعرب تجعل النوء للغارب ؛ لأنه ينهض للغروب متثاقلاً ، وعلى ذلك أكثر أشعارها ، وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى : (ما إن مفاخه لتنوء بالعصبة أولى القوة) أي : تميل بهم إلى الأرض ، وهذا التفسير أوجه من قول من جعل الكلمة من المقلوب ، قال : وبعضهم يجعله للطالع ، وهذا هو مذهب المنجمين ؛ لأن الطالع له التأثير والقوة ، والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير . قال المبرد : النوء على الحقيقة للطالع من الكوكبين ، لا الغارب ، وهذه المنازل كلها يطالع بها الفلك من المشرق ، ويغرب في المغرب ، كل يوم وليلة ، وتلك دورة من دوراته .

الربع الأول
من السنة
الربيع

العواء

الربع الأول من السنة ، وابتدأه من سبعة عشر يوماً من آذار ، وبعضهم يجعله في عشرين يوماً منه ، فيستوى حينئذ الليل والنهار منه ، ويطلع مع العداة فرع الدّاء الأسفل ، وهو المؤخر ، ويسقط العواء ، وإليها ينسب النوء ، وهي تمد وتقصر ، وصفتها خمسة كواكب كأنها أليف معطوفة الذنب إلى اليسار ، وبذلك سميت ، وتقول العرب : عويتُ الشيء ، إذا عطفته ، وقال آخرون : بل هي كأنها خمسة أكلب تعوى خلف الأسد ، قال ابن دريد : هي دبر الأسد ، والعواء في كلامهم الدبر .

نوء السمك

النوء الثاني : السمك ، وهما سما كان : أحدهما السمك الأعزل ، نجم وفاد ، شبهوه بالأعزل من الرجال ، وهو الذي لا سلاح معه ، وهو منزل القمر ، والآخر : كوكب تقدمه آخر ، شبهوه بالرمح ، وهما ساقا الأسد ، وسمى سما كا لعلوه ، ولا يقال لغيره إذا علا سمك ، هكذا قال سيبويه مما حكى الزجاجي عن أبي إسحاق الزجاج ، غير أنه قال في الأعزل : وقيل إنما سمي أعزل لأن القمر لا ينزل به . وأنا أقول : القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ، ورؤية العين تدركه على غير ما يزعم الزاعم .

الغفر

النوء الثالث : الغفر ، وهو ثلاثة كواكب غير زهرٍ ، وبذلك سميت ، من قولك : غَفَرْتُ الشيء ، إذا غَطَّيْتَهُ ، ومنه سميت الغفارة التي تلبس ، وقيل : إنما سمي غفراً من الغفرة ، وهي الشعر الذي في طَرَفِ ذَنبِ الأسد ، وقال أبو عبيدة : الغفر كل شعر صغير دون الكثير ، وكذلك هو في الريش ، وقال قوم : هو من النكس في المرض ، يقال : أغفر المريض ، إذا نكس ، كأن النكس غطاء العافية .

الزبانان

النوء الرابع : الزبانان ، كوكبان مفترقان ، وهما قرناً العقرب ، وقيل : يداها ، وسميا زبانيين لبعده كل واحد منهما عن صاحبه ، من قولهم : زَبَنْتُ كذا ، إذا دفعته لتبعده عن نفسك ، ومنه اشتقاق الزبانية ؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها .

الإكليل

النوء الخامس : الإكليل ، ثلاثة كواكب على رأس العقرب ، وبذلك سميت إكليلا .

القلب

النوء السادس : القلب ، كوكب أحمر وقاد : جعلوه للعقرب قلباً ، على معنى التشبيه .

الشولة

النوء السابع : الشولة ، كوكبان أحدهما أخفى من الآخر ، وهما ذنباً العقرب ،

وذنب العقرب شائل أبداً ، فشبّه به ، هذا قول بعضهم ، وبعضهم يجعل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب ، وهم أهل الحجاز ، وهو أصح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط .

الربع الثاني
من السنة
الصيف

الربع الثاني : الصيف ، أول أنوائه « النعائم » وهي ثمانية كواكب نيرة : أربعة منها في الحجرّة تسمى الواردة ، وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة ، وشبهت بالخشبّات التي تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء .

البلدة

الثاني من الصيف « البلدة » وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها ، لكن بجوارها كواكب تسمى القلادة ، وإنما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيهاً بالفرجة التي بين الحاجبين ، إذا لم يكونا مقرونين ، يقال منه : رجل أبلدٌ ، ويقال : بل شبهت بالبلدة ، وهي باطن الراحة كلها ، وقيل : باطن ما بين السبابة والإبهام .

سعد الذابح

الثالث منه « سعد الذابح » وهما نجمان صغيران : أحدهما مرتفع في الشمال معه كوكب آخر يقال هو شاته التي تذبح ، والآخر هابط في الجنوب .

سعد بلع

الرابع منه « سعد بلع » وهما كوكبان صغيران مستويان في الحجرّة ، شبهها بقم مفتوح ، يريد أن يبتلع شيئاً ، وقيل : إنما قيل بلع كأنه بلع شاته ، وبلع غير مصروف ؛ لأنه معدول من بلع ، مثل زفر وقثم ، وسعد مضاف إليه .

سعد السعود

الخامس منه « سعد السعود » وهما كوكبان : أحدهما أنور من الآخر ، سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات .

سعد الأخبية

السادس منه « سعد الأخبية » وهما كوكبان عن شمال الخباء ، والأخبية أربعة كواكب : واحد منها في وسطها يسمى الخباء ؛ لأنها على صورة الخباء ، وزعم ابن قتيبة أنه سمي بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام ، وخروج ما كان مختبئاً .

السابع : فرع الدلو الأعلى ، وهو المقدم ، وبعضهم يسميه العرقوة العليا تشبيهاً بفرع الدلو الأعلى

بعرقوة الدلو ، وهما كوكبان مفترقان نيران ، وقيل له « دلو » لأنه تأتى فيه الأمطار العظيمة ، ويقال : بل سمياً بذلك لأنهما مثل صليب الدلو الذى يفرغ منه الماء .

ربع السنة
الثالث الخريف

الربع الثالث : الخريف ، أول أنوائه « فرع الدلو الأسفل » وصورته كوكبان مضئبان بينهما بعد صالح يتبعان العرقوة العليا .

الحوت

ثم الحوت ، وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة .

الشرطان

ثم الشرطان ، وهما كوكبان مفترقان مع الشمال ، منهما كوكب دونه في القدر ، وسميا شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله ، وكل من جعل لنفسه علامة فقد شرطها ، ومنه سمي الشرط ؛ لأن لهم علامة عرفوا بها .

البطين

ثم البطين : وهو ثلاثة كواكب طُمس خَفِيَّات ، وهو بطن الحمل ، إلا أنه قد صغر .

الثريا

ثم الثريا ، وهو النجم ، وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى كادت تتلاصق ، وأكثر الناس يجعلها سبعة ، وقد جاء الشعر بالقولين جميعاً ، سميت بهذا لأن مَطَرَهَا عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى ، وهى تصغير ثَرَوَى ، ولم ينطق بها إلا مصفرة .

الدبران

ثم الدبران ، كوكب وَقَاد على أثر نجوم تسمى القلاص ، وقيل له « دبران » لأنه دبر الثريا ، أى : جاء خلفها ، ويقال له أيضاً « الراعى » و « التالى » و « التابع » و « الحادى » على التشبيه .

الحقعة

ثم الحقعة ، سميت بهذا تشبيهاً بالدائرة التى تكون عند عقب الفارس فى جنب الفرس ، وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كآثار رءوس أصابع ثلاث فى ثرى إذا جمعت الوسطى والسبابة والإبهام ، وهى رأس الجوزاء .

- الرابع: الشتاء ، وهو آخر أرباع السنة ، وأول أنواعه « الهنعة » سميت بذلك لأنها كوكبان مقترنان كل واحد منهما منعطف على صاحبه ، من قولك : هنعه ، إذا عطفَ بعضه على بعض ، واقترانهما في الهجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة .
- الذراعان ثم ذراع الأسد المبسوطة والمقبوضة : كوكبان نيران بينهما كواكب صغار تسمى الأظفار .
- الثرة ثم الثرة ، وهي لطخة لطيفة بين كوكبين ، وهي عندهم ما بين فم الأسد وأنفه ، ومن الإنسان فرجة ما بين الشاربين حِيَالَ وترّة الأنف ، وقيل : إنما سميت ثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت .
- ثم الطرف ، عينا الأسد ، وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة في مرّ أي العين .
- الجبهة ثم الجبهة ، أربعة كواكب معوجة ، في اليماني منها بريق ، وهي جبهة الأسد عندهم .
- الزبرة ثم الزبرة ، نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ، ويقال لهما « الخرتان » كأنهما نقداً إلى جوف الأسد ، والعيان يبطل ذلك ، كما قال الزجاجي .
- ثم الصرفرة ، كوكب وقاد عنده كواكب طمس ، سمي بذلك لانصراف البرد لسقوطه .
- فهذه عدة المنازل وصفاتها ، وإنما أضيفت إلى القمر دون الشمس ، وحظهما فيه واحد ؛ لظهورها معه ، وتسمى نجوم الأخذ ، كأن الأرض تأخذ عنها بركات المطر ، وقيل : لأخذ الشمس والقمر سمتهما في سيرها .

(٩٣) - باب في معرفة الأماكن والبلدان

حد الحجاز قال أبو عبيدة : الحِجَاز هو ما بين الجُحْفَةِ وجبل طيء ، وإنما سمي حجازاً لأنه حَجَزَ ما بين نجد والغوَر ، وحكى ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي : إذا خلفت حِجْرًا مُصْعِدًا فقد أنجحت ، فلا تزال مُنْجِدًا حتى تنحدر من ثنايا ذات عِرْقٍ ، فإذا فعلت فقد أتهمت إلى البحر ، فإذا عرضت لك الحِرَارُ وأنت مُنْجِد فتلك الحجاز ، وإذا تَصَوَّبْتَ من ثنايا العَرَجِ واستقبلك المَرْنُخ والأراك فقد أتهمت ، وسمى حجازاً لأنه حجز ما بين نجد وتهامة ، فأما محمد بن عبد الله الأسدي فقال : حد الحجاز الأول بطن نَحْلَة وظهر جدة ، والحد الثاني مما يلي الشام شَعْبِي^(١) وبدَا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع ساية [و] ودان ، ثم تنحدر إلى الحد الأول بطن نخل .

الجزيرة وأما الجزيرة فإنها ما بين دِجْلَةَ والفُرَات والموصل ، والسوادان : سواد البصرة والأهواز ودست ميسان وفارس ، وسواد الكوفة كسكر إلى الزاب وحلوان إلى القادسية .

جزيرة العرب وجزيرة العرب قال أبو عبيدة : هي في الطول ما بين حَفِيرِ أَبِي موسى إلى أقصى اليمن ، وفي العَرْضِ ما بين يَبْرِينَ إلى السماوة .

وقال الأصمعي : هي ما بين نَجْرَانَ والعُدَيْبِ ، حكاها ابن قتيبة عن الرياشي ،

(١) في الأصول « شعب » بالعين المهملة ، وصوابه ما أثبتناه ، وفيه وفي « بدا »

يقول كثير :

وأنت التي حبيت شعبي إلى بدا ، وأوطاني بلاد سواهما

قال : وحكى عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق، وفي العرض من جدة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام .

العراق

وقيل : سمي العراق تشبيهاً بعراق المَزَادَة ، وهو موضع الخَرْزِ المستطيل في أسفلها ، وقال بعضهم : هو جمع عِرْق ؛ لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الأرض ، وقيل : إن اسمه كان بالفارسية « إيران شهر » أي : أسفل الأرض ، فعبت .

الشام واليمن

وأما الشام واليمن فمن اليد اليمنى واليد الشؤمى ، وهى الشمال ؛ لأن الذى يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه والشام عن شماله ، ويقال « شام » بالهمز والتخفيف ، ومنهم من جعل الشام جمع شامة ، وهى النكته تكون فى الجسم سوداء أو نحو ذلك ، وكذلك فى الأرض .

قال ذو الرمة :

وإن لم تكونى غيرَ شامٍ بقفَرَةٍ تجرُّ بها الأذيال صيفية كدرٍ

(٩٤) — باب من الزجر والعيافة

الفرق بين
الفأل والطيرة

وعنهما يكون الفأل والطيرة ، وبين الطيرة والفأل فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق ؛ وذلك أن الفأل تقوية للعزيمة ، وتحضيض على البغية ، وإطماع فى النية ؛ والطيرة تكسر النية ، وتصد عن الوجهة ، وتثنى العزيمة ، وفى ذلك ما يعطل الإحالة على المقادير .

الرسول يجب
الفأل ويكره
الطيرة

وقد تفاءل النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عن الطيرة فى قوله : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صقر » وقد تقدم ذكرها ، وقيل فى الهامة : إنها هذه المعروفة .

والطيرة من أحد شيئين : مشتقة إما من الطيران ، كأن الذى يرى ما يكره اشتقاق الطيرة أو يسمع يطير ، كما قال بعضهم :

عَوَى الذُّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذُّبِّ إِذْ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

وإما من الطير، وهو الأصل والمختار من الوجهين، هكذا ذكر الزجاجي. وكانت العرب تزجر الطير والوحش؛ فمن قال بالقول الأول احتج بأن الوحش يُطَيَّرُ بها، وزجرت مع الطير، ومن قال بالقول الثاني قال: إنما كان الأصل في الطير، ثم صار في الوحش، وقد يجوز أن يغلب أحد الشئيين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعاً.

الترجم عند
العرب

أنشد الجاحظ :

ما يعيفُ اليومَ في الطيرِ الدَّوْحَ من غُرَابِ البَيْنِ أوتيسِ بَرَحِ

قال: فجعل التيس من الطير؛ إذ قدم ذكر الطير وجعله من الطير في معنى التطير، والعرب تتطير بأشياء كثيرة: منها العطاس^(١)، وسبب تطيرهم منه دابة يقال له العاطوس يكرهونها، والغراب أعظم ما يتطرون به، والقول فيه أكثر من أن يُطَلَبَ عليه شاهد، ويسمونه حاتمًا؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق، ويسمونه الأعور على جهة التطير بذلك؛ إذ كان أصح الطير بصراً، ويقال: سى أعور لقولهم: «عَوَّزْتُ الرَّجُلَ عن حاجته» إذا

(١) وفيه يقول امرؤ القيس:

وقد أعتدى قبل العطاس بهيكل شديد، منيع الجيب، نعم المنطق

أراد أنه يتنبه للصيد قبل أن يتنبه أحد لثلاثي اسم عطاسا فيتشاءم به؛ وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا له: «عمرا وشبابا» وإذا عطس من يبغضونه قالوا له «وريا وقحاجا» والورى - بفتح فسكون - داء يصيب الكبد فيفسدها؛ وكان الرجل منهم إذا عطس قال: «بكلاي» وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد.

رددته عنها ، وقد اعتذر أبو الشَّيْصِ للغراب وتَطَيَّرَ بالإبل — وإن كان غيره سبقه إلى المعنى — فقال :

الناسُ يَلْحَوْنَ غِرا بَ البينِ لما جهلوا
وما على ظهْر غِرا بَ البينِ تُطَوِي الرِحلُ
ولا إذا صاحَ غِرا بَ في الديار احتملوا
ما فرَّقَ الأحبابَ بعدَ الله إلا الإبلُ
وما غِرابُ البينِ إلا لَأَ ناقةٌ أو جَمَلُ

هكذا رويته ، و بعضهم يجعل الشعر * ما قرب الأحباب * و بعده * والناس يلحون . . * بواو مكان المهمزة يعطف بها .

وقال آخر فملح وظرف :

زعموا بأنَّ مَطِيئَهُمْ عَوْنُ النوى والمؤذناتُ بِفِرْقَةِ الأحباب
لو أنها حَتَفِي لما أبغضتها ولها بهم سَبَبٌ من الأسباب

ويتطيرون بالصدرد ، ومن أسمائه الأخيل ، والأخطب ، ويقال : الأخيل مما يتطرون به الشقراق ، ويقال : بل طائر يشبهه ، والواق أيضاً الصدرد ، قال ^(١) زبَانُ بن منظور الفزاري في حديث له كان مع نابغة بنى ذبيان — وقد تطير من جرادة سقطت عليه فرجع من الغزو ومضى زبَانُ فظفر وغنم :

(١) روى المؤلف هذه القصة معكوسة ، ولم يصب في ضبط أعلامها . والصواب فيها أن النابغة الندياني كان يسير مع زياد بن سيار يريدان الغزو ، فرأى زياد جرادة ، فقال : حرب ذات ألوان ، ثم رجع ، ومضى النابغة في سبيله ، فلما رجع غامقاً قال : يلاحظ طيرة أبدا زياد لتخبره ، وما فيها خير أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكته مشير وبعد هذين البيتين البيتان اللذان رواهما المؤلف (وانظر ديوان النابغة ص ٦٥).

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مُتَطَيِّرٍ ، وَهِيَ الثَّبُورُ
بَلَى شَيْءٌ لَا يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحَابِينَا ، وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ
يَقُولُهَا فِي آيَاتٍ لَا أَقْفَ عَلَى (١) جَمَلَتِهَا .
وَقَالَ شَاعِرٌ قَدِيمٌ لَزَبَانَ أَيْضًا :

لَا يَمْنَعُنِكَ مِنْ بَعَا ۞ الْخَيْرِ تَعَقُّادُ التَّمَاثُمِ
لَا ، وَالتَّشَاؤُمُ بِالْعَطَا س وَلَا التِّيَامُنُ بِالْمُقَاسِمِ
وَلَقَدْ عَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَعْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ
وَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنْ ، وَالْأَيَامُنُ كَالْأَشْأَمِ
قَدْ خَطَّ ذَلِكَ فِي الزَّبُورِ الْأُولِيَّاتِ الْقَدَائِمِ
وَيَتَشَاءُمُونَ بِالثَّوْرِ الْأَعْضَبِ ، وَهُوَ الْمَكْسُورُ الْقَرْنِ .

وَقَالَ الْكَمَيْتُ يَنْفِي الطَّيْرَ وَيُدْفَعُهَا عَنْ نَفْسِهِ :
وَلَا أَنَا يَمِّنُ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ أَصْحَابَ غَرَابٍ أَمْ تَعَرَّضُ ثَعْلَبُ
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمْرًا صَحِيحَ الْقَرْنِ أَمْ مَرًّا أَعْضَبُ
وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ يَشْبَهُ بَيْتَ الْأَعَشَى الَّذِي أَنْشَدَهُ الْجَاهِلِيُّ .

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ «فَلَانُ كِبَارِحِ الْأَرُويِ» وَفِيهِ قَوْلَانُ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَرُويَ
يَتَشَاءَمُ بِهَا ، فَإِذَا كَانَتْ بَارِحًا فَقَدْ عَظُمَ الْأَمْرُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي قُرُونِ
الْجِبَالِ ، وَلَا تَكَادُ تَكُونُ سَاحِحَةً وَلَا بَارِحَةً .

وَفِي السَّانِحِ وَالْبَارِحِ اخْتِلَافٌ : قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ : سَأَلَ يُونُسُ رُؤْبَةَ عَنْ
السَّانِحِ وَالْبَارِحِ ، فَقَالَ : السَّانِحُ مَا وَلَاكَ مِيَامِنَهُ ، وَالْبَارِحُ مَا وَلَاكَ مِيَاْسِرَهُ ،

السَّانِحُ
وَالْبَارِحُ

(١) انظر الهامشة التي قدمناها في الصفحة السابقة .

قال ابن دريد : السانح يقيم به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح ، ويخالفهم أهلُ العالية فيتشاءمون بالسانح ويتمنون بالبارح .

قال الشاعر الهدلي يذكر امرأته :

زَجَرْتُ لها طير السنيح فإن يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

قال : والسانح: الذي يلقاك وميامنه عن ميامنك ، والبارح الذي يلقاك وشمائله عن شمائلك ، والجابه والناطح : اللذان يستقبلانك ، والقعيد : الذي يأتيك من ورائك .

قال صاحب الكتاب : الكارس الذي ينزل عليك من الجبل ، حكاة الثعالي ، قال أبو جعفر النحاس : السنيح عند أهل الحجاز : ما أتى عن اليمين إلى اليسار ، والبارح عندهم : ما أتى من اليسار إلى اليمين ، وهم يتشاءمون بالسانح ، ويتمنون بالبارح ، وأهل نجد بالضد من ذلك ، والسانح عندهم هو البارح عند أهل الحجاز .

وقال المبرد : السانح : ما أراك مياسره فأمكن الصائد ، والبارح : ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له .

وقد يتطيرون من البازي والغراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ، ويتمن بها آخرون .

من مליح
الزجر

ومن مليح ما رأيت في الزجر والعيافة ، قال الصولي : كان لأبي نواس إخوان لا يفارقهم ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسول معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً ، وحزموه بزير وختموه بقار ، وتقدموا إلى رسولهم أن يرمى بالكتاب من وراء الباب ، فرمى به ، فلما رآه استعلم خبرهم فعلم أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فأنشدهم :

زجرت كتابكم لما أتاني كزجر سوانح الطير الجوارى

نظرت إليه مخزوماً بزير على ظهر ، ومختوماً بقار
 فقلت : الزير مُمْلِيَةٌ وَمُؤْلِيَةٌ وقلت : القار من دن العقار
 وقلت : الظهر أهيف ذو جمال تركب صدغه فوق العذار
 فجئت إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأت داركم بداري
 فكيف ترونني وترون زَجْرِي أَلَسْتُ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ الْكِبَارِ؟!

(٩٥) — باب ذكر المعازلة والتشبيح

حقيقة المعازلة
 واشتقاقها

العظال في القوافي : التضمين ، حكاه الخليل بن أحمد ، وزعم قدامة أن المعازلة
 سوء الاستعارة ، وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ، ومنه « تعازلت
 الجراد والكلاب » وأنشد قدامة بيت أوس بن حجر :

وذا ت هذم عارٍ نواشِرُهَا تُصِمْتُ بالماء تَوَلَبًا جَدْعًا^(١)

لأنه قد أساء الاستعارة عنده ؛ لجعله الطفل تولبا ، وهو ولد الحمار .

التشبيح

وأما التشبيح فهو طول الكلام واضطرابه ، ولا يقال « كلام مشبيح » حتى
 يكون هكذا ، ويقال : رجل مشبيح الخلق ، إذا كان طويلا في اضطراب ،
 والتشبيح عند الصولي في الخط ألا يكون بيّنا ، وكذلك هو الكلام .

وزعم قوم أن المعازلة تداخل الحروف وتراكبها ، كما عيب على كعب بن
 زهير قوله :

تجلو عوارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمْتَ كأنه مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ
 وعاب ابن العميد حبيبا لقوله :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي ، ومتى مالته لنته وحدى
 بالتركير في « أمدحه أمدحه » مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة ، وهما معاً
 من حروف الخلق ، وقال : هو خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل النفار ،
 حكى ذلك عنه صاحب بن عباد .

(١) انظر ص ٢٥٠ السابقة .

وزعم آخرون أنها تركيب الشيء في غير موضعه ، كقول الكميث رأى ثالث في المعاطلة
ابن زيد :

وقد رأينا بها حوراً مُنَمَّعةً أيضاً تكلم فيها الدك والشنبُ
وهذا البيت مما عابه عليه نصيب .
ومثله عندي قول أبي الطيب :

يحمل المسك عن غداؤها الريح ويفترُّ عن شنيب^(١) برود

(٩٦) - باب الوحشى المتكلف ، والركيك المستضعف

الوحشى من الكلام ، ما نفر عنه السمع ، والمتكلف : ما بعد عن الطبع ،
والركيك : ما ضعف بنيته ، وقلمت فائدته ، واشتقاقه من الركة ، وهى المطر
الضعيف ، وقيل : من الرك ، وهو الماء القليل على وجه الأرض .
والركيك

وأشد النحاس

تهادى كعوم الرِّكِّ يقطعها الحيا بأبطح سهلٍ حين تمشى تأوداً
و«فلان ركيك» أى : ضعيف العقل ، ويقال للوحشى أيضاً : حوشى ، كأنه
منسوب إلى الحوش ، وهى بقايا إبل وبار بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها
ونفت عنها الإنس ، لا يطؤها إنسى إلا خبأوه .
قال رؤبة :

* جرَّت رجالاً من بلاد الحوش *

وإذا كانت اللفظة خسنة مستغربة : لا يعلمها [إلا] العالم المبرز ، والأعرابي القح؛

(١) فى الأصول « عن شنب » وهو تصحيف ، والشنيب : الثغر الذى فيه
الشنب ، وهو حدة الأسنان ، وقيل : الرقة والعذوبة . والبرود - بفتح الباء -
البارد

فتلك وَخَشِيَّة ، وكذلك إن وقعت غير موقعها ، وأتى بها مع ما ينافرها ، ولا يلائم شكلها .

وكان أبو تمام يأتي بالوَخَشِي الحُسن كثيراً وبتكلف .

وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته ، نحو قوله :

* كل آخائه كرامِ بنى الدنيا وليكنه كريم كرام *

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عذر ؛ لأن قوله « كل إخوانه » يقوم مقامه بلاغضة .

ومن التكلف قول إبراهيم بن سيار للفضل بن الربيع ، ويروى أيضاً لإبراهيم بن شبابة :

هبنى ظلمتُ وما ظلمتُ بلى ظلمتُ أقرُّكى يزداد طَوْلُكَ طولاً
إن كان جُرْمِي قد أحاط بجرمتي فأحِطْ بجرمي عَفْوُكَ المأمولاً
فتبارك الله كأنهما لم يخرجوا من ينبوع واحد .

قال إبراهيم بن المهدي لعبد الله بن صاعد كاتبه : إياك وتَدَبُّعِ الوَخَشِي من الكلام طمعاً في نيل البلاغة ؛ فإن ذلك هو العيُّ الأكبر ، عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفلى .

وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة :

لم يتبع شمع اللغات ، ولا مَشَى رَسْفَ المقيدِ في طريق المنطق
ينشقُّ في ظلم المعاني إن دَجَّتْ منه تباشير الكلام المفلق
وقال علي بن بسام :

ولاخير في اللفظ الكريه استماعهُ ولا في قبيح اللحن والقصد أزينُ

قال علي بن عيسى الرماني : أسباب الإشكال ثلاثة : التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبهه ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك ، وكل

أبو تمام وولعه
بالوخشي
والمتنبى

أمثلة من
التكلف

من كلام
أبي تمام في
البلاغة

أسباب إشكال
الكلام

ذلك اجتمع في بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حتى أبوه يقاربه
فالتغيير عن الأغلب سوء الترتيب ؛ لأن التقدير « وما مثله في الناس حتى
يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه » يريد بالمملك هشام بن عبد الملك ، والممدوح هو
إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك ؛ وأما سلوك الطريق الأبعد فقوله
« أبو أمه أبوه » وكان يُجْزئه أن يقول « خاله » وأما المشترك فقوله « حتى
يقاربه » لأنها لفظة « حتى » تشترك فيها القبيلة والحى من سائر الحيوان [المتصف] بالحياة ،
قال : وإذا تفقدت أبيات المعانى رأيتها لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة .

للبحترى في
وصف البلاغة

وحكى الصولى قال : أنشدنى بعض الكتاب عن أحمد بن يحيى ثعلب قول

البحترى للحسن بن وهب :

وإذا دَجَتْ أقلامه ثم اتتحت
برقت مصابيح الدجى في كتبه
فاللفظ يقرب فهمه من بعده
مناً ، ويبعد نياله في قر به
حكم سحائبها خلال بنانه
هطالة ، وقلبيها في قلبه
كالروض مؤتلفاً بجمرة نوره
وبياض زهرته وخضرة عشيه
وكانها والسمع معقود بها
وجه الحبيب بدا العين محبه

واستعادها أبو العباس حتى فهمها ، ثم قال : لو سمع الأوائل هذا الشعر لما

فضّلوا عليه شعراً .

(٩٧) - باب الإحالة والتغيير

وهذه ملح أتيت بها - اتدل من عرفها على ردايتها ، وتدعو إلى كراهتها
واجتنابها ، وقد وقعت في أشعار الجلمة من المتقدمين ، والتمس لهم فيها العذر
لأنهم أرباب اللغة وأصحاب اللسان ، وليس المولد الحضرى منهم في شيء

أمثلة من
الإحالة

فن الإحالة قولُ ابن مقبل :

أما الأداةُ ففينا ضميرٌ صنعَ جودٌ حواجز بالأبداً واللجمِ
ونسج داود من بيضٍ مضاعفةٍ من عهد عادٍ ، وبعده الحى من إرم

فكيف يكون نسج داود من عهد عاد ؟ اللهم إلا أن يريد فينا ضمير صنع من عهد عاد ؛ فذلك له على سبيل المبالغة ، مع أن الإحالة لم تفارقه ، وم بين قيس عيلان وبين عاد ، فضـــــــــلا عن بنى العجلان ؟ !

وقال عبد الرحمن بن حسان :

وإن مال الضجيع بها فدعص من الكشبان ملتبداً مهيلُ

قالوا : وكيف يكون ملتبداً مهيلاً ؟ هذا مستحيل متناقض ، والذي عندي فيه أنه صواب ؛ لأنه إنما أراد بالتباده صلابة ملمس العجيزة ، وأنها غير مسترخية وجعله مهيلاً لارتعاده واضطرابه من العظم ، كما قال ابن مقبل :

يمشين هيل النفا سالت جوائبهُ ينهالُ طوراً ، وينهاهُ الثرى حيناً

فقد جعله مرة ينهال ، ومرة ينهال الثرى والثنى الذى فيه . .

وقال جميل فى التعبير :

أمثلة من التعبير

لاحسناها حسنٌ ، ولا كدلالها دلٌّ ، ولا كوقارها توقيرٌ

فحذف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسنها حسناً^(١) ، وقد يغيرون

اللفظ كما قال النابغة :

ونسج سليمٍ كلُّ قِضاءٍ ذائلٍ^(٢)

وهذا أسهل من قول الآخر :

(١) هذا فى قولها « لاحسناها حسن » لأنه يريد لا مثل حسنها حسناً ، أو نحوه

(٢) فى الأصل « ذابل » بالباء موحدة ، وفى الديوان « ذائل » بالهمز ،

وصدر هذا قوله * وكل صموت تلة تبعية * والصموت : الدرع الثقيلة التى =

مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ

وهذا كثير يخرج منه في هذا الموضع ما ذكرت .

(٩٨) باب الرخص في الشعر

هل
يجوز للمولد
ارتكاب
الضرورة ؟

وأذكر هنا ما يجوز للشاعر استعماله إذا اضطرَّ إليه ، على أنه لا خير في
الضرورة ، على أن بعضها أسهل من بعض ، ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل
به ؛ لأنهم أتوا به على جيَّلتهم ، والمولد المحدث قد عرف أنه عيب ، ودخوله
في العيب يلزمه إياه .

مثل من
الضرورات

فمن ذلك قصر الممدود على مذاهب أهل البصرة والكوفة جميعا ، وله -
على ما أجاز الكوفيون - وصل ألف القطع ، وهو قبيح . . قال حاتم طي :
أبوه أبي ، والأمهاتُ أمَّهَاتُنَا فَأَنعمُ فذاك اليومُ أهلي ومعشري
قال بعضهم : إنما الرواية « والأم من أمهاتها »
وله تخفيف المشدد في القافية ، وأما في حشو البيت فمكروه جداً ، وحذف
التنوين لالتقاء الساكنين ، وربما حذفوا النون الساكنة . . كما قال :

فَلست بِأَتِيهِ وَلَا أُسْتطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فِضْلٍ^(١)
وَأَنْ يَحذف لِلألفِ وَاللامِ أَوْ الإِضافة مَا يَحذف لِلتنوينِ مِثْلِ قولِ
خُفَّافِ :

= إذا صبت لم يسمع لها صوت . والنثلة - ومثلها النثرة - الواسعة من الدروع ،
والقضاء : الدرع المسحورة الحشنة المس من جدتها لم تنسحق بعد . والدائل :
الطويلة الذيل ، ويقال : درع ذائل وذائلة .

(١) البيت للنجاشي (انظر كتاب سيبويه ج ١ ص ٩) . وأصل الكلام :

« ولكن اسقني » لكنه لما اضطر حذف نون « لكن » تشبيها لها بالتنوين

كَنَوَاحِ رِيَشِ حَمَامَةٍ نَجْدِيَّةٍ وَمَسَحَتْ بِاللَّشْتَيْنِ عَصْفَ الْإِثْمَدِ (١)

وَأَنْ يَحْذِفَ حَرْفًا مِنَ الْكَلِمَةِ كَقَوْلِ الْعَبَّاسِيِّ :

* قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي * (٢)

وَحَرْفَيْنِ كَقَوْلِ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ :

* مُفَدِّمٌ بِسَبَابِ الْكُتَّانِ مَلْثُومٌ * (٣)

يُرِيدُ بِسَبَابِ الْكُتَّانِ ، وَأَنْ يَحْذِفَ مِنَ الْمَكْنَى فِي الْوَصْلِ مَا يَحْذِفُ مِنْهُ فِي الْوَقْفِ . . كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

* سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا * (٤)

وَأَقْبَحُ مِنْهُ أَنْ يَحْذِفَ مِنَ الْمَكْنَى الْمُنْفَصِلِ كَقَوْلِ الْآخِرِ :

فَبَيِّنَاكَ بِشَرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ : لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوٌ الْمَلَاطِ نَجِيبٌ ؟

وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَحْذِفَ الْأَلْفَ مِنْ ضَمِيرِ الْمُؤَنَّثِ . . أَنْشَدَ قَطْرِبُ :

أَمَّا تَقُولُ بِهِ شَاةٌ فَيَأْ كَلَهَا أَوْ [أَنْ] تَبِيعَهُ فِي بَعْضِ الْأَرَاكِيْبِ

أَرَادَ « تَبِيعَهَا » فَحَذَفَ الْأَلْفَ ، قَالَ : وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ هَذَا لِلْمُحَدَّثِ

(١) أَرَادَ « كَنَوَاحِي رِيَشِ - إِحْ » فَحَذَفَ الْيَاءَ مَعَ الْإِضَافَةِ ضَرُورَةً تَشْبِيهَا

بِحَالِ الْإِفْرَادِ وَالتَّنْوِينِ وَحَالِ الْوَقْفِ ، يَصِفُ شَفَقِيْ امْرَأَةً فَشَبَّهَهَا بِنَوَاحِي رِيَشِ الْحَمَامَةِ فِي رِقَّتِهَا وَلَطَاقَتِهَا وَحَوْتِهَا ، وَأَرَادَ أَنْ لَتَاتِهَا تَضْرِبُ إِلَى السَّمْرَةِ فَكَأَنَّهَا مَسَحَتْ بِالْإِثْمَدِ .

(٢) أَرَادَ « الْحَمَامِ » فَغَيَّرَهَا إِلَى مَا تَرَى ، وَفِي ذَلِكَ وَجْوهٌ أَحْسَنُهَا أَنْ يَكُونَ قَدْ

حَذَفَ الْيَاءَ الثَّانِيَةَ لِلضَّرُورَةِ ثُمَّ قَلَبَ الْأَلْفَ يَاءً بَعْدَ كَسْرِ الْيَاءِ الْأُولَى .

(٣) صَدْرُهُ * كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَلَى عَلَى شَرَفِ *

(٤) هَذَا عَجْزُ بَيْتِ لِمَالِكِ بْنِ خَرِيمِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَصَدْرُهُ * فَإِنْ يَكُ غَثَاؤُ

سَمِينًا فَإِنِّي * أَرَادَ « لِنَفْسِي » فَحَذَفَ الْيَاءَ ضَرُورَةً . وَصَفَ ضَيْفًا قَبِيْحًا يَقُولُ : سَأَقْدِمُ

إِلَيْهِ مَا عِنْدِي غَثَاؤًا أَوْ سَمِينًا ، وَأَحْسَنُهُ فِيهِ لِيَخْتَارَ أَفْضَلَ مَا تَرَى عَيْنَاهُ فَيَقْنَعُ بِذَلِكَ .

لشدوذه وقبحه ، ويجوز له حذف الياء والواو من المضمر المذكر لكثيرته واطراده ،
وللشاعر أن يحذف اسم « ليت » إذا كان مضمراً . . . أنشد المفضل لعديّ
ابن زيد :

فليتَ دَفَعْتَ الهمَّ عنيَ سَاعَةً فبتنا على ما خيلتَ نَاعِمِيْ بِال

يريد « ليتك » وله حذف الفاء من « افعلتته » من التقوى وما تصرف منها ،
أنشد المفضل لخداش بن زهير :

تَقْوُهُ أَيُّهَا الْفَتِيَانُ ؛ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ غَلَبَ الْجُدُودَا

وأنشد أبو زيد الأنصاري :

إِنَّ الْمَنِيَةَ بِالْفَتِيَانِ ذَاهِبَةٌ وَإِنْ تَقْوَهَا بِأَرْمَاحٍ وَأُدْرَاعِ

وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال :

يَا أَقْرَعُ بَنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ^(١)

قال سيبويه : تقديره^(١) إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ فَتُصْرَعُ .

ومثله أيضاً :

مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

يريد « فالله يشكرها » وهذا أبين من الأول ، وحذف النون من تثنية

« الذي » وجمعه .

(١) في الأصول * إِنَّكَ إِنْ تُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ * وهو غير رواية سيبويه
وغيره من النحويين ، ولذلك أثبتنا روايتهم ، وفيما نقله المؤلف عن سيبويه خطأ
غير وجه الكلام وجعل المعنى فاسداً ، وعبارة سيبويه (ج ١ ص ٢٣٦) هكنا
« أراد إِنَّكَ تُصْرَعُ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ » ومعنى هذا أن جواب الشرط محذوف ، وجملة
« تُصْرَعُ » مع نائب الفاعل في محل رفع خبر إن .

قال الأخطل :

أَبْنَى كَلَيْبٍ إِنَّ عَمِّيَ الَّذِي قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَ

وَأَنشَدَ سَبِيوِيَهُ :

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجِ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

أَرَادَ « الَّذِينَ » وَعَلَى هَذَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ ، وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ « الَّذِي » لِلجَاعَةِ وَالوَاحِدِ كَمَا جَعَلَ « مَنْ » وَقَدْ

حَكَى ذَلِكَ الزَّجَاجِيُّ .

قال ابن قتيبة في قول الله عز وجل : (كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت

ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) : إن « الذي » ههنا

معنى الذين ، والله أعلم .

وحذف الياء من « الذي » فمنهم من يسكن الذال بعد الحذف ، ومنهم

من يدعها مكسورة على لفظها ، أنشد البصريون والكوفيون جميعاً :

فَطَلَّتْ فِي شَرِّهِ مِنَ اللَّذِّ كَيْدًا كَمَنْ تَزَبَى زُبِيَّةً فَاصْطِيدًا

ويروى * كَالَّذِ تَزَبَى زُبِيَّةً فَاصْطِيدًا * فجمع بين اللغتين^(١) . ونظير هذا

حذف الياء من « التي » وإسكان التاء ، وأنشدوا :

فَقُلْ لَلَّتْ تَلُوْمُكَ : إِنَّ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُعْوِذُ بِالتَّمِيمِ

وحذف الياء والتاء من « اللواتي » ، أنشد الزجاجي :

(١) كلا ، بل هالغة واحدة ؛ فإن ذال الكلمتين في الشطر الأول والثاني على

الرواية الثانية — وهي المشهورة المعروفة في أكثر كتب النحو والأدب — ساكنة ، يعلم ذلك من له أدنى مسكة بعلم .

جَمَعْتَهَا مِنْ أَيْتُقِ غِزَارٍ مِنْ اللّوَا شَرَفْنَ بِالصَّرَارِ
وحذف الموصول وترك الصلة . كما قال يزيد بن مفرغ :

عَدَسٌ مَا لِعِبَادِ عَلَيْنِكَ إِمَارَةٌ نَجَوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ
أراد « وهذا الذي تحملين » حذف^(١) .

وحذف اسم « إن » و « لكن » كما قال :

وَلَكِنْ مَنْ لَا يَلْقَى أَمْرًا يَنْوِبُهُ بَعْدَتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أَعْزَلُ

حذف الهاء من « لكنّه » لأنه قد جازى بمن ، ولو أعمل فيها « لكن »

لم يجز أن^(٢) يجازى بها .

ومثله قول الآخر^(٣) :

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ السَّكْنِيَسَةَ يَوْمًا يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءَ

أراد « إنه » . ويبدلون من الحروف السالمة حروف المد واللين ، وأنشدوا :

(١) في كلام المؤلف خطأ ، وبيان الموضوع أن الكوفيين ذهبوا إلى جواز مجيء أسماء الإشارة أسماء موصولة مع اتصال حرف التنبيه بها ، واستشهدوا على ذلك بهذا البيت فقالوا : إن « هذا » اسم موصول بمعنى الذي ؛ فليس هو من حذف الموصول وإبقاء صلته عندهم ، والبصريون يمنعون مجيء « هذا » وغيره من أسماء الإشارة مع حرف التنبيه أسماء موصولة ، وعندهم أن « هذا » اسم إشارة مبتدأ ، وخبره « طليق » في آخر البيت ، وجملة « تحملين » في محل نصب على الحال ، أي وهذا طليق حال كونه محمولا عليك ؛ فتخرجه للبيت لا يوافق أحد المذهبين .

(٢) أي : لأن أسماء الشرط لها الصدارة في الكلام فلا يعمل ما قبلها فيها ، ومن الذي تستحقه أن يتأخر عنها ما يعمل فيها نحو قوله تعالى : (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنی) وهنا لا يمكن ذلك ؛ لأن « لكن » حرف ، وهو لا يعمل متأخرا فلذلك تقدم « لكن » وقدر اسمه ضمير شأن ، وجملة الشرط والجواب في محل رفع خبر « لكن » فافهم ذلك .

(٣) ينسب للأخطل .

لها أشارير من لحم تُثَمَره من الثعالى ووخز من أرائنها
 أراد « من الثعالب » « ومن أرائنها » ويلينون الهمزة ، وذلك كثير
 جدا جائز فى المنشور والفصيح ، وله حذف ألف الاستفهام ، كما قال الأخطل :
 كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطٍ عَلَسَ الظلامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالًا
 وهذا ردىء فى المنشور جدا .

ونقصان الجوع عن أوزانها لضرورة القافية كما قال رؤبة :

* حتى إذا بَلَّتْ حَلَاقِيمَ الحَلْقِ *
 يريد « الحَلُوقِ » وترك صرف ما ينصرف ؛ لأنه يحذف منه التنوين وهو

يستحقه ، وهو غير جائز عند البصريين ، إلا أنه قد جاء فى الشعر . قال
 عباس بن مرداس يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وما كان حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يُفُوقَانِ مِرْدَاسَ فى جَمْعِـ
 وعلى هذا المذهب قال أبو نواس :

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا احْتَدَمَ الوِغَا وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ
 ويروى * إذا حضر الوغا * والفراء يرى ترك الصرف لعله واحدة ، وهى
 التعريف ، والبصريون يخالفونه فى ذلك ويأبونه .

ومن أقبح الحذف حذف حركة الإعراب للضرورة ، وأنشدوا لأمراء القيس :
 فالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبِ إِيمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِغِلِ
 ومثله للفرزدق :

رُحْتُ وَفى رَجُلَيْكَ ما فىهِما وَقَدْ بَدَأَ هُنْكَ مِنَ المِئْزِرِ
 وزعم قوم أن الرواية الصحيحة فى قول امرئ القيس * اليوم أُسْقَى *
 وبذلك كان المبرد يقول ، وقال الآخرون : بل خاطب نفسه كما يخاطب ^(١) غيره ،

(١) يريد أن قوله « اشرب » فعل أمر مبنى على السكون ، وليس فعلا مضارعا
 فورد على هذا أن الهمزة فى « اشرب » همزة قطع ، ونحن نعلم أن همزة أمر الثلاثى
 همزة وصل ، فقيل : إن الرواية « فاليوم فاشرب » وقد أشار المؤلف إلى هذا الجواب .

فقال : فالיום فأشرب ، وفي بيت الفرزدق * وقد بدا ذاك من المنزر * كناية
عن الهن ، وهذا مما يسمع ويحكي ، ولا يقاس عليه البتة .

هذا صدر جيد مما علمته يجوز للشاعر من الحذف والنقصان .

ضرورات الزيادة

والذي يجوز له من الزيادات أنا ذا كرمته أيضاً ما وسعته قدرتي ، إن شاء الله تعالى :
فن ذلك صرف مالا ينصرف ، وإجراء المعتل مجرى الصحيح ؛
فيعرب في حال الرفع والخفض ، تقول : هذا القاضي ، ومررت بالقاضي ، وزيد
يَقْضِي وَيَعْزُو ، ولا يجوز في المنثور من الكلام ، وعلى هذا قول قيس
ابن زهير :

ألم يَأْتِيكَ والأنباء تنمى بما لاقت لبونُ بني زياد

كأنه يقول في الرفع يَأْتِيكَ بضم الياء ، فلما جزمها أسكنها .

ومنهم من يبدل من الياء همزة ، وهو القليل ، فيقول : القاضي ، والغازي ،

وأنشد :

يا دارَ سلمى بدكاديك البرقُ سقياً وإن هيجت شوق المُشْتَدِّقِ

همز الياء ، وليس أصلها الهمزة .

وله إظهار التضعيف كقوله :

يشكو الوجي من أظللٍ وأظلل

وإنما هو « الأظلل » وهو باطن خف البعير .

وتثقيب الحذف في وصل الكلام على نية من يقف على التثقيب ، وأنشدوا :

ببازِلٍ وجنَاءٍ أو عَيْهَلٍ كَانَ مَهْوَاهَا عَلَى الكَدِّ كَلِّ

موقع كَفِّي رَاهِبٍ يُصَلِّي

فمقل « العيهل » وهي السريعة ، و « الكد كل » في صلة الشعر ، وهما مخففتان

وله إدخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب ، وإنما تدخل فيما ليس
بواجب ، نحو الأمر والنهي والاستفهام . قال القطامي :

وَهُمُ الرِّجَالُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهُمْ يُحْزَنُ فِي رَحْبٍ وَفِي مُتَضَيِّقٍ
وَأَنشَدُوا لِآخِرٍ ، وَهُوَ جَذِيمة الأبرش :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَالِمٍ تَرْفَعَنَ ثَوْبِي شِمَالَاتٍ

وله إدخال الفاء في جواب الواجب ، والنصب بها على إضمار « أن » .
قال طرفة :

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الذَّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فَيُعْصِمَا
فَنَصَبَ بِالْفَاءِ عَلَى الْجَوَابِ .

وقال آخر :

سَأَتْرِكُ مَنْزِلِي لِبْنِي تَمِيمٍ وَالْحَقُّ بِالْحِجَازِ فَاسْتَرِيحَا
وَقَطَعُ أَلْفَ الْوَصْلِ لِأَنَّهُ زِيَادَةُ حَرَكَةٍ ، وَالْجُزْمُ بِحَرْفِ وَحَرْفَيْنِ ، وَأَكْثَرُ مَنْ
ذَلِكَ ، وَقَدْ مَضَى فِيمَا تَقْدُمُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر :

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفَى الدَّرَاهِمِ تَنْقَادُ الصِّيَارِفِ

فزاد ياء في « الدراهم » وياء في « الصيارف » إن لم تكن الرواية تختلف ،
على أن الدراهم لا يضطر فيها إلى زيادة الياء ؛ إذ كان الوزن يقوم دونها ،
وإن قيل في بعض اللغات « دِرْهَامٌ » .

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد المقصور ، وقد أزم ابن ولاد
البصريين مده على مذهب سيبويه في امتناع الحركة

ويجوز له التقديم والتأخير ، كما قال العجيز السلولي :

وَمَا ذَاكَ إِنْ كَانَ ابْنُ عَمِي وَلَا أُخِي وَلَسْكَنَ مَتَى مَا أَمْلَكَ الضَّرَّ أَنْفَعُ

بالرفع ، أراد ولكن أنفع متى ما أملك الضر ، ولا أدري ما الفرق بين هذا وبين * إن يُصرَع أخوك تصرع * حيث فرقوا بينهما^(١) غير أنا نسلم لهم كما سلم من هو أثقب منا حسا وأذكي خاطرا
وقال عمرو بن قبيصة :

لما رأت سائدا ما استعبرتُ لله درُّ اليومَ مَنْ لأمَّها
وهذه أشياء من القرآن وقعت فيه بلاغة وإحكاما لا تصرفا وضرورة ، وإذا وقع مثلها في الشعر لم ينسب إلى قائله عجز ولا تقصير ، كما يظن من لا علم له ولا تفتيش عنده :

من ذلك أن يذكّر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعا ، كما قال
الله عزَّ وجلَّ : (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) . أو يجعل الفعل لأحدهما
ويشرك الآخر معه ، أو يذكّر شيئا فيقرن به ما يقار به ويناسبه ولم يذكّره ،
كقوله تعالى في أول سورة الرحمن : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد ذكر
الإنسان قبل هذه الآية دون الجان ، وذكّر الجان بعدها .

وقال الملقب العبدى :

فما أدري إذا يمت أرضا أريد الخيرَ أيهما يلينى
أأخيراً الذى أنا أبتغيه أم الشرُّ الذى هو يبتغينى
فقال « أيهما » قبل أن يذكّر الشر ؛ لأن كلامه يقتضى ذلك .

وأن يحذف جواب القسم وغيره ، نحو قوله عز وجل : (ق والقرآن المجيد ،
بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم) وقوله : (والنازعات غرقا) إلى قوله : (يوم
ترجف الراجفة) فلم يأت بجواب ؛ لدلالة الكلام عليه ، وقال عز وجل :

(١) قد عرفت مما نقلناه لك عن سيبويه أن مخرجهما في العربية واحد ، فلا

حذف
جواب القسم
وغيره

(ولولا نضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوفٌ رحيم) أراد « لعذبكم » أو نحوه
ومن هذا قول امرئ القيس :

ولو أنها نفسٌ تموت جميعاً ولكنها نفسٌ تساقط أنفاساً

وقد تقدم ذكره .

ومن ذلك إضمار ما لم يذكر كقوله جل اسمه : (حتى توارت بالحجاب)
يعني الشمس ، وقوله : (فائرن به نفعاً) ولم يجر للوادي ذكر
وقال حاتم طيء :

إضمار
ما لم يجر
له ذكر .

أماوى ، ما يعني الثراء عن الفتي إذا حشرت جت يوماً وضاق بها الصدر؟
يعني النفس ، وأنشد ابن قتيبة عن الفراء :

إذا نهى السفية جرى إليه وخالف ، والسفيه إلى خلاف

يعني « جرى إلى السفه »

وحذف « لا » من الكلام وأنت تريدها ، كقوله تعالى (كجهر بعضهم
لبعض أن تحبب أعمالكم) وزيادة « لا » في الكلام كقوله سبحانه (وما يشعركم
أنها إذا جاءت لا يؤمنون) فزاد « لا » لأنهم لا يؤمنون ، هذا قول ابن قتيبة ،
وقال جل اسمه : (ما منعك أن لا تسجد) أى : ما منعك أن تسجد ، قال :
وإنما تزد « لا » في الكلام لإبائه أو جحد ، وقال : (لئلا يعلم أهل الكتاب
أن لا يقدرن على شيء من فضل الله) أى : ليعلم .

حذف « لا »
وزيادتها

وقال أبو النجم :

* فما ألوم النجم أن لا تسهرا *

يريد « أن تسهرا » .

وحذف المنادى كقوله تعالى : (ألا يا اسجدوا لله) كأنه قال « ألا ياهؤلاء
اسجدوا لله » وقال ذو الرمة في مثل ذلك :

حذف
المنادى

ألا ياسلمى يا دارمى على البلى ولا زال مُنْهَلًا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطْر

وأن يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة ، أو يخبر عنه ، كقوله تعالى : خطاب الواحد
 (إنَّ الذين ينادونك من وراء الحجرات) وإنما كان رجلاً واحداً ، وقوله (ألقيا
 في جهنم) وإنما يخاطب مالكا خازن النار ، وقيل : بل أراد ألقى ألقى ، فثنى (١)
 الفعل ، وقوله : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) فخاطب الاثنين بخطاب
 الواحد ، وقوله : (فقد صَغَتْ قلوبكما) وقوله : (وألقى الألواح) وهما لوحان
 فيما زعم المفسرون ، حكاه ابن قتيبة ؛ وأن يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله :
 (وإن كنتم جنبا) .

ومن غرائب هذا الباب أن يأتي المفعول بلفظ الفاعل ، كقوله تعالى : محمىء المفعول
 بلفظ الفاعل
 وعكسه
 (لا عاصم اليوم من أمر الله) أى : لا معصوم ، وكذلك قوله : (من ماء دافق)
 أى : مدفوق ، وقوله : (فى عيشة راضية) أى : مرضى بها ، وقوله : (وجعلنا
 آية النهار مبصرة) أى : مبصرة فيها ، وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله
 تعالى : (إنه كان وعده مآتيًا) أى آتياً .

وقد جاء الخصوص فى معنى العموم فى قوله تعالى : (يا أيها النبي إذ اطلقتم النساء)
 وجاء العموم بمعنى الخصوص فى قوله : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)
 ومن الحمل على المعنى قوله تعالى : (وكذلك زين لكثير من المشركين
 قتل أولادهم شركاؤهم) كأنه قيل : من زينهُ ؟ فقيل : شركاؤهم .

الحمل
على المعنى

والحمل على المعنى فى الشعر كثير ، ومن أنواعه التذكير والتأنيث ، ولا يجوز
 أن تؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ، ولا أن تذكّر مؤنثاً .

(١) وقيل : الألف هى نون التوكيد الخفيفة ، عاملها فى الوصل معاملتها فى
 الوقف ، ولنا فى هذا الموضوع بحث طويل ووجوه كثيرة من الاستدلال فى شرحنا
 على المعلقة .

قال ابن أبي ربيعة الخزومي :

فكان مجتني دون من كنت أتقى ثلاثُ شُخُوصٍ كاعبان ومُعَصِرُ
فأنت الشخوص على المعنى . وكل جمع مكسر جائز تأنيثه وإن كان
واحدةً مذكراً حقيقياً .

ومما أنث من المذكر حملا على اللفظ قول الشاعر ، أنشده الكسائي :

أبوك خليفة ولدتهُ أخرى وأنت خليفة ، ذاك الكمال

ومثل هذا في الشعر كثير موجود .

٩٩ — باب السرقات ، وماشا كلها

وهذا باب متسع جداً ، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ،
وفيه أشياء غامضة ، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة ، وأخر فاضحة لا تخفى على
الجاهل المغفل ، وقد أتى الحاتمي في «حلمية المحاضرة» بألقاب محدثة تدرتها ليس لها
محصول إذا حققت : كالاصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ،
والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلها قريب من قريب ، وقد استعمل
بعضها في مكان بعض ، غير أني إذا كررها على ما خيلت فيما بعد .

لا يدعى
السلامة منه
أحد

وقال الجرجاني — وهو أصح مذهبا ، وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظر في
هذا الشأن — : ولست تعد من جهابذة الكلام ، ولا من نُقَادِ الشعر ، حتى تميز
بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علما برتبه ومنازله ، فتفصل بين السرِّق والغصب
وبين الإغارة والاختلاس ، وتعرف الإلمام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك
الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحقَّ به من الآخر ،
وبين المختص الذي حازه المبتدى فلكه واجتباها السابق فاقتطعه .

رأى
الجرجاني

قال عبد الكريم : قالوا : السرِّقُ في الشعر مانقل معناه دون لفظه ، وأبعد

السرقة عند
عبد الكريم

في أخذه ، على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة^(١) حين لم يختلفا إلا في القافية ؛ فقال أحدهما « وتحمل » ، وقال الآخر « وتجلد » ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل .

والسرق أيضاً إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لاني المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يُورده أن يقال إنه أخذه من غيره .

قال : واتكالم الشاعر على السرقة بلادة وعجز ، وترَكه كل معنى سُبِقَ إليه جهل ، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات .

وقال بعض الخذاق من المتأخرين : مَنْ أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً ، فإن عَيَّرَ بعض اللفظ كان سألخاً ، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه .

وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم ذلك لهم ، وسماه « كتاب المنصف » مثل ماسمي اللديغ سليماً ، وما أبعده الإنصاف منه .

والاصطراف : أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فإن الاصطراف

(١) هما بيتان متشابهان وقعوا في معلقتي امرئ القيس وطرفة بن العبد : أما بيت امرئ القيس فقوله :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسي وتحمل
وأما بيت طرفة فقوله :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسي وتجلد
فأنت ترى أن البيتين لم يختلفا إلا في القافية كما حكى المؤلف .

بقية أنواع
السرقه

صرفه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق ، وإن ادعاه جملة فهو انتحال ، ولا يقال « منتحل » إلا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر ، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مُدَّعٍ غير منتحل ، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب ، وبينهما فرق أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ، فإن أخذه هبة فتلك المرافدة ، ويقال : الاسترفاد ، فإن كانت السرقه فيما دون البيت فذلك هو الاهتمام ، ويسمى أيضاً النسخ ، فإن تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الأخذ فذلك النظر والملاحظة ، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر ، ومنهم من يجعل هذا هو الإلمام ، فإن حول المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس ، ويسمى أيضاً نقل المعنى ، فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة ، فإن جعل مكان كل لفظه ضدها فذلك هو العكس ، فإن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر — وكانا في عصر واحد — فتلك الموارد ، وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق ، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركيب ، ومن هذا الباب كشف المعنى والمحدود من الشعر ، وسوء الأتباع ، وتقصير الآخذ عن المأخوذ منه ، وسأورد عليك مما رويته أو تأدى إلى فهمه لكل واحد من هذه الألقاب مثالا يعرفه العالم ، ويقتمدى به المتعلم ، إن شاء الله تعالى .

أما الاصطراف فيقع من الشعر على نوعين : أحدهما : الاجتلاب ، وهو الاستلحاق أيضاً كما قدمت ، والآخر : الانتحال ؛ فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني :

الاصطراف
على ضربين

وصهباء لا تخفي القذى وهو دونها تصفق في راووقها حين تقطب

تمزتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال :

وإجانة رِيَا السرور كأنها إذا غمست فيها الزجاجَةُ كوكبُ
تمزنتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعشِ دَنُوا فَتَصَوَّبُوا
وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت ؛ فلا يكون في ذلك
بأس ، كما قال عمرو ذو^(١) الطوق :

صددت الكأسَ عَنَا أمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراه اليمينَا
وما شرَّ الثَلَاثةِ أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا
فاستلحقهما عمرو بن كلثوم ؛ فهما في قصيدته ، وكان عمرو بن العلاء وغيره
لا يرون ذلك عيباً ، وقد يصنع المحدثون مثل هذا .

قال زياد الأعجم :

أشتم إذا ما جئتَ للعرْفِ طالبا حَبَاك بما تحوى عليه أناملُهُ
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه جَادَ بها فليتقِ اللهَ سَأْلُهُ
ويروى هذا لأخت يزيد بن الطُّثْرِيَّةِ ، واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو

في شعره .

وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب :
ستعلم من يكون أبوه قيناً ومن كانت قصائدهُ اجتلابا
فإنما وضع الاجتلاب موضع السَّرْقِ والانتحال لضرورة القافية ، هكذا ذكر
العلماء من هؤلاء المحدثين ، وأما الجحى فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل
المثل ليس اجتلاباً ، مثل قول أبي الصَّلْتِ بن أبي ربيعة الثقفي :

تلك المكارمُ لا قعبانٍ من لبنٍ شِيْباً بماءٍ فعاداً بعدُ أبو الآ
ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه ، فبنو عامر ترويه للجعدي ، والرواة
مجمعون أنه لأبي الصَّلْتِ ؛ فقد ذهب الجحى في الاجتلاب مذهب جرير أنه انتحال ،
ولم أر محدثاً غيره يقول هذا القول .

والانتحال عندهم قول جرير :

الانتحال

(١) هو عمرو بن عدى ، ابن رقاش أخت جذيمة الأبرش .

إِن الَّذِينَ غَدَوْا بِبَلْبِكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بَعِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا
 غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي : ماذا لقيتَ من الهوى ولقيناً ؟
 فإن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلها جرير ، وانتحل
 أيضاً قول طفيل الغنوي :

ولما التقى الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَى وماتَ الهوى لما أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
 ولذلك قال الفرزدق :

إِن تَذَكَّرُوا كَرْمِي بَلُومِ أَيْبِكُمْ وَأَوَابِدِي تَدَنَحَلُّوا الْأَشْجَارَا
 وكانا يتقارضان الهجاء ، ويعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه ، وليس
 ذلك عيباً في المناقضات ، ولما قال الفرزدق في بني ربيع :

تمنت ربيع أن يحيى صغارها بخير ، وقد أعيا ربيعا كبارها
 أخذهُ الْبَيْعِثُ بَعِينَهُ فِي بَنِي كَلَيْبِ رَهْطِ جَرِيرٍ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :
 إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَةً شَرُودًا تَدَنَحَلَّهَا ابْنُ حَمْرَاءِ الْعِجَانِ
 يعني البعيث ؛ وكان ابن سُرَيْيَةَ .
 وأما قول البحتری :

رَمَتْنِي غَوَاةُ الشُّعْرِ مِنْ بَيْنِ مَفْحَمٍ وَمُنْتَحَلٍ مَا لَمْ يَقُلْهُ وَمُدْعَى
 فيشهد لك بما قدمت ذكره ؛ لأنه قسمهم ثلاثة أقسام : مفحم قد عجز عن
 الكلام فضلا عن التحلي بالشعر غير أنه يتبع الشعراء ؛ والآخر منتحل لأجود من
 شعره ، والثالث مدع جملة لا يحسن شيئا .

والإغارة : أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله مَنْ هو أعظم
 منه ذكراً وأبعد صوتاً ، فيروى له دون قائله ، كما فعل الفرزدق بجميل وقد
 سمعه ينشد :

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا بِسِيرُونِ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْ مَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

الإغارة

فقال : متى كان الملكُ في بني عُذْرَةَ ؟ إنما هو في مُضَرَ وأنا شاعرها ، فغلب الفرزدق على البيت ، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره .

وقد زعم بعض الرواة أنه قال له : تَجَافَى عنه ، فتجافى جميل عنه ، والأول أصح ؛ فما كان هكذا فهو إغارة ، وقوم يرون أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره ، والسرَقُ أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى ، كان ذلك لمعاصر أو قديم .

الغصب

وأما الغصب فمثل صنيعه بالشمردل اليربوعي ، وقد أنشد في محفل :

فَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرِ حَزِّ الْحَلَاقِمِ

فقال الفرزدق : والله لتمدَّعَنَّهُ أولتدعَنَّ عَرْضَكَ ، فقال : خذهُ لا بَارِكَ اللهُ فِيهِ .

وقال ذو الرمة بحضرته : لقد قلت أبياتاً ، إن لها لعروضاً وإن لها لمراداً ومعنى

بعيداً ، قال : وما قلت ؟ فقال : قلت :

أَحِينَ أَعَاذْتُ بِتَمِيمٍ نِسَاءَهَا وَجُرِّدْتُ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْعَمَدِ

وَمَدَّتْ بَصْبَعِي الرَّبَابُ وَمَالِكُ وَعَمْرُو وَسَالَتْ^(١) مِنْ وِرَائِي بَنُو سَعْدِ

وَمَنْ آلِ يَرْبُوعٍ زَهَاءٌ كَأَنَّهُ دَجَى اللَّيْلِ مَحْمُودِ النَّكَايَةِ وَالرَّفْدِ

فقال له الفرزدق : إياك وإياها لا تعودنَّ إليها ، وأنا أحقُّ بها منك ، قال :

والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك .

وسمعت بعض المشايخ يقول : الاضطراف في شعر الأموات كالإغارة على

شعر الأحياء ، إنما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله .

(١) في الديوان « وشالت » وبعد الأبيات الثلاثة التي رواها المؤلف قوله :

تمنى ابن راعي الإبل شتمى ، ودونه معاقل صعبات طوال على العبد

معاقل لو أن النميري رامها رأى نفسه فيها أذل من القرذ

المرافدة

وأما المرافدة فإن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له ، كما قال جرير لذي الرمة : أنشدني ما قلت لهشام المرئي^(١) ، فأشده قصيدته :

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُزْوَى حَتَّه الرِّيحُ وَامْتَنَحَ القَطَارَا
فقال : ألا أعينك ؟ قال : بلى بأبي وأمي ، قال : قل له :

يَعُدُّ النَّاسِمُونَ إِلَى تَمِيمٍ بُيُوتَ المَجْدِ أَرْبَعَةً كِبَارًا
يَعْدُونَ الرَّبَابَ وَآلَ سَعْدِ وَعَمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الخِيَارَا
ويهلك بينها المرئي لغوا كما ألغيت في الدية الحوارا

فلقية الفرزدق فاستنشده ، فلما بلغ هذه قال : جيد ، أعده ، فأعاده ، فقال : كلا والله ، لقد علمك من هو أشد الحيين منك ، هذا شعر ابن المراغة . واسترفد هشام المرئي جريراً على ذي الرمة فقال في أبيات :

يُمَاشِي عَدِيًّا لَوْمَهَا مَا تَجْنَهُ مِنَ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا
فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعْنُ بِنَسَائِهَا عَلَيَّ فَقَدْ أَعْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا
أذَا الرَّمِّ ، قَدْ قَلَدْتُ قَوْمَكَ رَمَةً بِطَيْمًا بِأَيْدِي العَاقِدِينَ انْحِلَالُهَا

ويروى * بأیدی المطلقين * فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتا ، هذا والله شعر حنظلي ، وغلب هشام على ذي الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستعلياً عليه . وقد استرفد نابغة بنى ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعباً فرفده .

والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك ، إذا كانت

(٢) في الأصول « المرئى » وهو خطأ ، وصوابه « المرئي » كما أثبتناه ، وهشام أحد بنى امرئ القيس بن سعد مائة ، هذا ، ورواية الديوان (ص ٣٣) في البيت الثاني * يعدون الرباب لهم وعمرا * وسعدا ثم . . . ورواية البيت الثالث في غير هذا الكتاب * ويسقط بينها المرئي . . . *

شبيهة بطريقته ، ولا يعد ذلك عيبا ؛ لأنه يقدر على عمل مثلها ، ولا يجوز ذلك إلا للحاذق المبرز .

الاهتمام

والاهتمام نحو قول النجاشي :

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمّت فيها يدُ الحدنان
فأخذ كثير القسم الأول واهتدم باقي البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ ، فقال :
* ورجل رمى فيها الزمانُ فشَلَّتْ *
النظر

والملاحظة

وأما النظر والملاحظة فمثل قول مهلهل :

أنبضوا معجس القسيّ وأبرقنا كما توعد الفحولُ الفحولاً
نظر إليه زهير بقوله :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا ضارب حتى إذا ماضار بوا اعتنقاً
وأبو ذؤيب بقوله :

ضروبُ لهاماتِ الرجالِ بسيفه إذا حنَّ نبعٌ بينهم وشريحُ
والإمام : ضرب من النظر ، وهو مثل قول أبي الشيص :

الإمام

* أجدُ الملامةَ في هواك لذيذة *
وقول أبي الطيب :

* أحبه وأحبُّ فيه ملامة *
البيت ، وقد تقدم (١) ذكرهما في التباير .

الاختلاس

وأما الاختلاس فهو قول أبي نواس :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثْلَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ
اختلسه من قول كثير :

(١) انظر (ص ١٠٣) من هذا الجزء ، وفيها تمام بيتي أبي الشيص والمتنبى .

أريدُ لأنسى ذِكْرَهَا فَكَمَا تَمَّا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
وقولُ عبد الله بن مصعب :

كَأَنَّكَ كُنْتَ مُحْتَكِمًا عَلَيْهِمْ تَخَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ
ويروي * كأنك جئت محتكماً عليهم * اختلسه من قول أبي نواس :
حُلِّيتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَا كَدَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ ثُمَّ زَادَتْ فَضْلًا مَا تَهَبُ
أردت البيت الأول .

ومن هذا النوع قولُ امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكَبْنَا قَالِ وَوَلْدَانُ حَيْنًا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطُبُ^(١)
نقله ابن مقبل إلى القدح فقال :
إِذَا امْتَحَنْتَهُ مِنْ مَعَدِّ عَصَابَةٍ عِدَارِيَّةٍ^(٢) قَبْلَ الْإِفَاضَةِ يَقْدَحُ
نقله ابن المعتز إلى البازي فقال :

قَدْ وَثِقَ الْقَوْمُ لَهُ بِمَا طَلَبَ فَهَوِ إِذَا عَرَّيْ لَصَيْدٍ وَاضْطَرْبُ
* عَرَوْا سَكَا كَيْنِهِمْ مِنْ الْقُرْبِ^(٣) *
نقلته أنا إلى قوس البندق فقلت :

طَيْرٌ أَبَابِيلُ جَاءَتْهَا فَمَا بَرِحَتْ إِلَّا وَأَقْوَامُنَا الطَيْرُ الْأَبَابِيلُ
تَرْمِيهِمْ بِحَصَى طَيْرٍ مُسَوِّمَةٍ كَأَنَّ مَعْدِنَهَا لِلرَّمِيِّ سَجَّيْلُ
تَعْدُو عَلَى تِقَةٍ مِنْهَا بِأَطْيَبِهَا فَالنَّارُ تَقْدَحُ وَالطَّنْجِيرُ مَغْسُولُ
والموازنة مثل قول كثير :

الموازنة

تَقُولُ مَرِيضًا فَمَا عُدْتَنَا وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا
وازن في القسم الآخر قول نابغة بنى تغلب :

(١) في الديوان « ولدان أهلنا » . (٢) في نسخة « غذارية » .

(٣) في ديوان ابن المعتز (٧ / ٤) « فهو إذا جلى » وفي نسخة منه « فهو إذا

جلى » وفي نسخة في ثالث هذه الأبيات « سلوا سكا كينهم » .

بَخِيلًا لُبِّخَلِكِ قَدْ تَعْلَمِينَ وَكَيْفَ يَعِيبُ بَخِيلٌ بِبَخِيلًا؟

العكس

والعكس قولُ ابن أبي قيس ، ويروى لأبي حفص البصرى :

ذهب الزمانُ برهطِ حَسَانَ الأُولَى كَانَتْ مَنَاقِبَهُمْ حَدِيثَ الغَابِرِ

وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ يَحْلُ ضِيُوفُهُمْ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ اللِّئِيمِ الغَادِرِ

سُودَ الوجوهِ لئِيمَةٍ أَحْسَابِهِمْ فُطُسِ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الآخِرِ

وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة .

الموارد

وأما الموارد فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس^(١) وطرفة ، ولا أظن

هذا مما يصح ؛ لأن طرفه في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين ، وكان

امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس ؛

فكيف يكون هذا موارد ؟ إلا أنهم ذكروا أن طرفه لم يثبت له البيت ، حتى

استحلف أنه لم يسمعه قط فحلف ، وإذا صح هذا كان موارد ، وإن لم يكونا

في عصر ، وسئل أبو عمرو بن العلاء: رأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان

في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافت

على ألسنتها ، وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وَقَعَ

الحافر على موضع الحافر .

الالتقاط

وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطُّرَيْبِ :

والتلفيق

إِذَا مَرَّأَنِي مُقْبِلًا غَضَّ طَرْفَهُ كَأَنَّ شِعَاعَ الشَّمْسِ دُونِي يَقَابِلُهُ

فأوله من قول جميل :

إِذَا مَرَّأُونِي طَالِعًا مِنْ نَيْبَةٍ يَقُولُونَ: مِنْ هَذَا؟ وَقَدَعَرَفُونِي

(١) ذكرناها أول الباب فانظر (ص ٢٨١) من هذا الجزء .

ووسطه من قول جرير :

فَغُضَّ الطرفَ إنكَ من نَمِيرٍ فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كلاباً
وعجزه من قول عنتره الطائي^(١) :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حولي تدورُ

فأما كَشَفُ المعنى فنحو قول امرئ القيس :

نمَشُ بأعراف الجياد أ كفننا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقال عبدة بن الطبيب بعده :

ثُمَّ قَمْنَا إلى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أعرافهن لأيدينا مناديلُ

فكشفت المعنى وأبرزه .

وأما المجدود من الشعر فنحو قول عنتره العبسي :

* وكما عَلِمْتَ شَمَائِلِي وَتَكْرَمِي *^(٢)

رزق جدا واشتهاراً على قول امرئ القيس :

وشمائي ما قد علمت ، وما نَبَحَتْ كِلَابِكِ طَارِقًا مِثْلِي

ومنه أخذ عنتره ، والمخترع معروف له فضله ، متروك له من درجته ،
غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده - بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو
يبسطه إن كان كزاً ، أو يبينه إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن
كان سفسافاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً - فهو أولى به من مبتدعه ،
وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجه إلى وجه آخر ، فأما إن ساوى المبتدع

متى يكون
الآخذ أولى
بالمعنى ؟

(١) هو عنتره بن عكبرة الطائي ، وهي أمه ، وأبوه الأخرس بن ثعلبة : فارس

شاعر ، ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف .

(٢) صدره * وإذا صحوت فما أقصر عن ندى *

فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ، فإن قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه ، وسقوط همته ، وضعف قدرته .

فما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
فقال أبو نواس :

أَقُولُ لِنَاقِي إِذْ بَلَغْتَنِي لَقَدْ أَصْبَحْتِ مِنِّي بِالْيَمِينِ
فلم أجبك للعربان نحلا ولا قلت « اشرقى بدم الوتين »
وكرره فقال :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَى بَلْعَنَ مُحَمَّدًا فظهورهنَّ على الرجال حَرَامٌ
قرنا بننا من خير من وطىء الحصى فلها علينا حرمةٌ وذمامٌ
ومما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرئ القيس * فلو أنها
نفس^(١) * البيت ، وقول عبدة بن الطيب * فما كان قيس^(٢) * البيت .

سوء
الاتباع
بعده فيتبعه فيه على رداءته ، نحو قول أبي تمام :

بَاشَرْتُ أَسْبَابَ الْغَنَى بِمَدَائِحِ ضَرَبْتُ بِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ طُبُولًا
فقال أبو الطيب :

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيِّفًا لِذَوْلَةٍ فَنِي النَّاسِ بُوقَاتُ لَهَا وَطُبُولُ

(١) هذه قطعة من بيت سبق ذكره مرارا ، وهو بتامه :

فلو أنها نفس تموت جميعا ولكنها نفس تساقط أنفسا

(٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بتامه :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهتما

وسبق ذكره مرارا أيضا .

فسرق هذه اللفظة لثلاث تفوته .

ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه قول أبي دهب الجمحي في معنى بيت الشماخ:

ياناقُ سِيرى وأشرقِ بدمٍ إذا جئتِ المُغِيرَةَ

سَيْثِيْبِي أُخْرَى سِوَاكِ ، وتلكَ لى مِنْه يسيره

فأنت ترى أين بلغت همته ؟؟

ومما يعد سرقا وليس بسرِّق اشتراكُ اللفظ المتعارف كقول عنتره :

وخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلِ عَلَيْهَا الْأَسَدُ تَهْتَصِرُ اهْتِصَارَا

وقول عمرو بن معدى كرب :

وخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلِ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجَمِيعُ

وقول الخنساء ترى أخاها صخرأ :

وخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلِ فَدَارَتْ بَيْنَ كَدْبَيْهَا رَحَاهَا

ومثله :

وخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلِ تَرَى فُرْسَانَهَا مِثْلَ الْأَسْوَدِ

وأمثال هذا كثير .

وكانوا يقضون في السرقات أن الشاعر ين إذا ركبما معنى كان أولاهما به أقدمهما

موتا ، وأعلامها سنا ، فإن جمعهما عصر واحد كان ملحقا بأولاهما بالإحسان ،

وإن كانا في مرتبة واحدة روى لهما جميعا ، وإنما هذا فيما سوى المختص الذي

حازه قائله ، واقتطعه صاحبه ، ألا ترى أن الأعشى سبق إلى قوله :

وَفِي كَلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غُرُوبٌ تَشْدُ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا^(١)

مُورِثَةٌ مَجْدًا ، وَفِي الْأَصْلِ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نَسَائِكَا^(٢)

(١) روى أبو عبيدة * . . . جاشم رحلة *

(٢) في الديوان (ص ١٢) * مورثة مالا وفي المجد . . . * وروى أبو

عبيدة * . . . وفي الذكر رفعة * ولو ضاع . . .

مما يعد سرقا
وليس بسرِّق

أولى الشعراء
بالمعنى

فأخذه النابغة فقال :

شُعْبُ الْعَلَاْفِيَاتِ بَيْنَ فُرُوجِهِمْ وَالْمُحْصَنَاتُ عَوَازِبُ الْأَطْهَارِ (١)
 وبيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره ، وبما فيه من المناسبة بذكر
 الشعب بين الفروج وذكره النساء بعد ذلك ، وأخذه الناس من بعده ، فلم يغلبه
 على معناه [أحد] ، ولا شاركه فيه ، بل جعل مقتدياً تابعاً ، وإن كان مقدماً
 عليه في حياته ، وسابقاً له بماته .

وقال أوس بن حجر :

كَانَ هِرَا جَنِيْبًا عِنْدَ غَرَضَتِهَا وَالتَّفَ دِيكَ بَرَجَلِيهَا وَخَنَزِيرُ
 فلم يقر به أحد ، وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات العظم تجري
 هذا المجرى .

وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر ، وهذه لمحة منه . قال نادب
 الإسكندر « حركنا الملك بسكونه » فتناوله أبو العتاهية فقال :

قَدْ لَعَمْرِي حَكِيْتُ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَّ كَتْفِي لَهَا وَسَكَنَتَا
 وقال أرساطاطا ليس يندبه « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ
 بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته » وقال أبو العتاهية في ذلك :
 وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
 وقال عيسى عليه السلام : تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها بمثل
 ما يجازى به أهلُ الحسنات ، أجل لا يُجْنَى الشوك من العنب .

(١) شعب : جمع شعبة ، وهي فرج بين أعواد الرحل ، ومن السرج ما بين
 قربوسه ومؤخرته . والعلافيات : رحال منسوبة إلى حي من اليمن اسمه علاف
 (وانظر ص ٢٣٢ السابقة) . والمحصنات : يعني نساءهم . عوازب : بعيدات . الأطهار :
 جمع طهر . يريد أنهم دائماً على صهوات الخيل فوق السروج أو فوق رحال الإبل ؛
 فلا يشتغلون عن الغزو بنسائهم .

فقال ابن عبد القدوس :

إِذَا وَتَرْتَ امْرَأً فَاحْذَرِ عِدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرِعِ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنْبًا
وأخذ الكتاب قولهم « قدمت قبلك » من قول الأقرع بن حابس ،
ويروى لحاتم :

إِذَا مَا أُنِي يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا بِمَوْتِ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأَخَّرُ
وقولهم « وأتم نعمته عليك » من قول عدى بن الرقاع العاملي :
صَلَّى الْإِلَآهَ عَلَى اسْرِيءَ وَدَعَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
فما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الخذاق ، وفي أقل
ما جئت به منه كفاية .

(١٠٠) — باب الوصف

الشعر إلا أقله راجعٌ إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه ،
وهو مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه ، وليس به ؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه ،
والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء ، وأن ذلك
مجاز وتمثيل .

أكثر الشعر
يرجع إلى
الوصف

وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع ، كما قال
الناطقة الجعدى يصف ذئباً افترس جُوذراً :

أحسن الوصف

فبات يذكِّيه بغير حديدية أخوقنصٍ يمسي ويصبح مفطرا
إذا ما رأى منه كراعاً تحركت أصاب مكان القلب منه وفرفا

فأنت ترى كيف قام هذا الوصفُ بنفسه ، ومثَّلَ الموصوف في قلب
سامعه . قال قدامة : الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ،

ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً مَنْ أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوفُ بها مركب فيها ، ثم بأظهرها فيه ، وأولاها به ، حتى يحكيه ويمثله للحس بفعته .

وقال بعض المتأخرين : أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً . وأصل الوصف الكشف والإظهار ، يقال : قد وصف الثوبُ الجسمَ ، إذا نمَّ عليه ولم يستره ، ومنه قول ابن الرومي :

إِذَا وَصَفْتَ مَا فَوْقَ مَجْرَى وَشَاحِهَا غَلَاثِلُهَا رَدَّتْ شَهَادَتَهَا الْأَزْرُ

إلا أن من الشعراء والبلغاء مَنْ إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه ، وطلب الغاية القُصْوَى التي لا يعدوها شيء : إن مدحا فمدحا ، وإن ذما فذما .

والناس يتفاضلون في الأوصاف ، كما يتفاضلون في سائر الأصناف : فمنهم تفاضل الناس في الوصف من يجيد وصف شيء ولا يجيد وَصْفَ آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها : كامرئ القيس قديما ، وأبي نُوَاس في عصره ، والبحترى وابن الرومي في وقتهما ، وابن المعتز ، وكشاجم ؛ فإن هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين الأوصاف ، وليس بالحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها ، والقِفَار ومياهاها ، وُحْمَرِ الوحش ، والبقر ، والظلمان^(١) ، والوُعُولِ ؛ ما بالأعراب وأهل البادية ؛ لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم أن الشاعر إنما يتكلفها تكلفاً ليجري على سَنَنِ الشعراء قديما ، وقد صنع ابن المعتز وأبو نواس قبله ومن شا كلهما في تلك الطرائق ما هو مشهور في أشعارهم : كراتية الحسن في الخصب ، وجيمية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من الكامل .

والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شا كلهما ، وما كان مناسباً لهما كالـكُوروس والقناني والأباريق ، وتفاح التحيمات ، وباقات الزهر

(١) الظلمان : جمع ظليم ، وفي الأصول «الظلمات» وأعتقد أنه تحريف ما أثبت

إلى ما لا بد منه من صفات الخدود ، والقُدود ، والنهود ، والوجوه ، والشعور ،
والريق ، والثغور ، والأرداف ، والخصور ، ثم صفات الرياض والبرك والقصور ،
وما شا كل المولدين ؛ فإن ارتفعت البضاعة فصفت الجيوش وما يتصل بها من
ذكر الخيل ، والسيوف ، والرماح ، والدروع ، والقسي ، والنبيل ، إلى نحو ذلك
من ذكر الطبول ، والبُنود ، والمنحرفات ، والمنجنقات ، وليس يتسع بنا هذا
الموضع لاستقصاء ما في النفس من هذه الأوصاف ؛ فينبذ أدل على مظانها دلالة
مجملة ، وأذكر مما قل شكله وعز نظيره شواهد وأمثلة يعرف بها المتعلم كيف العمل
فيها ومن حيث المسلك إليها ، إن شاء الله تعالى .

أما نَعَات الخيل فامرؤ القيس ، وأبو دؤاد ، وطَافِيل الغنَوِي ، والنابغة
الجعدي ، وأما نَعَات الإبل فطَرَفة في معلقته من أفضلهم ، وأوس بن حَجَر ،
وكعب بن زهير ، والشمخ ، وأكثر القدماء يجيد وصفها ؛ لأنها مرا كبهم ،
ألا ترى رُوْبَة لما غلط في وصف الفرس كيف قال : أذِنِي من ذَنَبِ البعير ،
وكان عُمَيْد بن حُصَيْن الراعي النخري أوصَفَ الناسَ للابل ، ولذلك سمى راعيا ،
وأما الحمر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشمخ ، شهد له بذلك الخطيئة
والفرزدق ، وهذان يجيدان صفات الخيل والقسي أيضاً والنبيل ، وأما الحمر فمن
أوصاف الأعشى والأخطل وأبي نُوَاس وابن المعتز ، ولأبي نُوَاس أيضاً وابن المعتز
الصيد والطرْد ، فاشتت من هذه الأوصاف فالتسها حيث ذكرت ، ومن
الأوصاف القليلة المثل قول رُوْبَة يصف الفيل :

أَجْرُدُ أَخْضِرَ طَوِيلِ النَّابِئِينَ مشرب اللحي صغير الفقمين (١)

ذكر شعراء
اشتهروا في
وصف أشياء

وصف
فيل

(١) لا يتفق هذا ووزن الرجز ، وقد وقع في نسخة :

أيض كالحصن طويل النابيين مشرف اللحي صغير العينين
ولم أجد هذا البيت في ديوان أراجيزه .

* عليه أذنانِ كفضل الثوبين *

وقال آخر يصفه ، أنشده عبد الكريم :

من يركب الفيل فهذا الفيلُ إن الذي يحمـله محمولُ
على تهاويلَ لها تهاويلُ كالطود إلا أنه يجول
* وأذُنِ كأنها منديلُ *

هكذا أنشده ، وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطتها ، وقد أنشدها غلام تلعب عنه عن ابن الأعرابي .

في وصف القيل
أيضا

وقال عبد الكريم فجمع ما فرقاه وزاد عليهما :

وأضخمَ هندیّ النجار تُعدّه ملوك بني ساسان إن رابها أسرُ
من الورق لامن ضر به الورق ترتى أضاح ولا من ضر به الخمس والعشر
يحمى كطود جائل فوق أربع مضبّرة لمت كما لمت الصخر
له فخذان كالكتيبين لبدا وصدْرُ كأوفى من الهضبة الصدْرُ
ووجهٌ به أنف كراوق خمرة ينالُ به ما تدرك الأمل العشر
وأذنٌ كمنصف البرد يسمعه النداء خفيا وطرف ينقض الغيب مزورُ
ونابان شقّا لا يريك سواهما قناتين سمرأوين طعنهما نثرُ
له لونٌ ما بين الصباح وليله إذا نطق العصفور أو غلس الصقر

وصنعت أنا في زرافة أنت في الهدية من مصر إلى مولانا خلد الله ملكه من في وصف زرافة

قصيدة طويله :

وأنتك من كسب الملوك زرافه شتى الصفات لكونها أثناء
جمعت محاسن ما حكمت فتناسبت في خلقها وتنافت الأعضاء
تحتشها بين الخوافق مشية بادٍ عليها الكبر والخيلاء

وتمدُّ جيداً في الهواء يزيناها
 حطَّت مآخرها وأشرفَ صدرها
 وكانَ فِهرَ الطيبِ مارجَمَتْ به
 وتخيرتْ دونَ الملابسِ حِلَّةً
 لو نأَ كلونَ الزبلِ إلاَّ أنهُ
 أو كالسحابِ المكفهرِ خيَبتْ
 أو مثلَ ماصدئتْ صفائحُ جَوْشَنِ
 نعمَ التجافيفِ التي ادرَعَتْ به
 وصنعتْ أنا أيضاً :

ومجنونة أبدأ لم تكن
 قد اتصل الجيد من ظهرها
 مُمَعَّةٌ مثل ما لمعتْ
 كأنَّ الجوارى كَنَفَهَا
 مُدَلَّلَةٌ الظهر للركبِ
 بمثل السنامِ بلا غاربِ
 بِحِنَاءٍ وشي يد الكعابِ
 لخالِجٍ من كل جانبِ [؟] (١)

وقال كشاجم يصف اصطراباً :

في وصف
 اصطراب

ومستدير كجرم البدر مسطوح
 صُلبٌ يدارُ على قطبٍ يُليِّنُهُ
 مثل البنانِ وقد أوفتْ صفائحُهُ
 كأنما السَّبِيمةُ الأفلاكِ مُحَدِّقَةٌ
 تنبيك عن طالعِ الأبراجِ هيئتهُ
 وإن مَضَتْ ساعةٌ أو بعضُ ثانيةِ
 وإن تَعَرَّضَ في وقتٍ يقدرُهُ
 عن كل رابعة الأشكال مصفوح
 تمثال طَرْفٍ بشكِّم الخدقِ مشبوح
 على الأقاليمِ في أقطارها الفيج
 بالماء والنار والأرضين والريح
 بالشمس طوراً وطوراً بالمصاييح
 عرَفَتْ ذاك بعلم منه مشروح
 لك التشكُّكُ جلاهُ بتصحيح

(١) كذا ، وليس عندنا بمستقيم .

مميزٌ في قِيَّاسَاتِ النُّجُومِ لَنَا بَيْنَ الْمَشَائِمِ مِنْهَا وَالْمُنَاجِيحِ
 لَهُ عَلَى الظَّهْرِ عَيْنَا حِكْمَةٍ بِهِمَا يَجُودِي الضِّيَاءَ وَيَجْنِيهِ مِنَ اللُّوْحِ
 وَفِي الدَّوَائِرِ مِنْ أَشْكَالِهِ حِكْمٌ تُتَلَقَّحُ الفَهْمُ مِنْهَا أَيْ تُلَقِّحُ
 لَا يَسْتَقِلُّ لَهَا فِيهَا بِمَعْرِفَةٍ إِلَّا الحَصِيفُ اللَطِيفُ الحَسُّ وَالرُّوحُ
 حَتَّى تَرَى الغَيْبَ عَنْهُ وَهُوَ مُنْعَلِقُ الأَبْوَابِ عَنْ سِوَاهُ جَدًّا مُفْتَوِّحٌ
 نَتِيجَةُ الدَّهْرِ وَالتَّفَكِيرِ صَوْرَهُ ذُو العُقُولِ الصَّحِيحَاتِ المُرَاجِيحِ
 وَقَالَ أَيْضًا يَصِفُ تَحْتَ حِسَابِ المِهْنَدِسَةِ :

وَقَلَمٍ مِمَّا دَادَهُ تَرَابٌ فِي صَحْفِ سَطُورِهَا حِسَابٌ
 يَكْثُرُ فِيهِ الحَوُّ وَالإِضْرَابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَوِّدَ الكِتَابُ
 حَتَّى يَبِينِ الحَقُّ وَالصَّوَابُ وَليْسَ إِعْجَامٌ وَلَا إِعْرَابُ
 فِيهِ وَلَا شَكٌّ وَلَا ارْتِيَابُ

وَقَالَ يَسْتَهْدِي بِرَكَارَا :

جُدُلِي بِرَكَارِكِ الذِّي صَنَعْتَ فِيهِ يَدَا قَيِّنَةَ أَعَاجِيْبَا
 مُلَامٌ الشَّفَرَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ مَآشِيْنَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيْبَا
 شَخْصَانِ فِي شَكْلِ وَاحِدٍ قَدْرَا وَرَكْبَا فِي العُقُولِ تَرْكِيْبَا
 أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِبَاهِهِمَا بِصَاحِبٍ لَا يَمَلُّ مَصْحُوبَا
 أَوْثَقَ مَسْمَارِهِ وَغِيْبَ عَنْ نَوَاطِرِ النَّاقِدِينَ تَغْيِيْبَا
 فَعَيْنِ مِنْ يَجْتَلِيهِ تَحْسَبُهُ فِي قَالِبِ الاعْتِدَالِ مَصْبُوبَا
 وَضَمَّ شَطْرِيهِ مُحْكَمٌ لَهَا ضَمٌّ مُحِبٌّ إِلَيْهِ مُحْبُوبَا
 يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مَبْصَرُهُ مَا زَادَهُ بِالْبِنَانِ تَقْلِيْبَا
 فَقَوْلُهُ كَلَّمَا تَأَمَّلَهُ طُوبَى لِمَنْ كَانَ ذَالَهُ طُوبَى

في وصف
بركار

ذو مُقَلَّةٍ بصرتَه مذهبَه لم تألَه زينَة وتذهيبًا
 ينظر منه إلى الصواب به فلا يزال الصواب مطلوبًا
 لولاه ماصحَّ شكلُ دائرة ولا وجدنا الحساب محسوبًا
 الحق فيه فإن عدلت إلى سواء كان الحساب تقريبًا
 لو عَيْنُ إقليدس به بصرتُ خر له بالسجود مكبوبًا
 فابعثه واجنبه لي بمسطرة تلقى الهوى بالثناء مجنوبًا
 لازلت تجدى وتجتدى حكما مستوهبًا للصديق موهوبًا

وقال في صفة البنكام :

في وصف
البنكام

روح من الماء في جسم من الصُّفْرِ مؤتلف بلطيف الحس والنظر
 مستعبر لم يَغِبْ عن إلفه سَكَنٌ ولم يبت قَطُّ من طعن على حذر
 له على الظهور أجفان مُحَجَّرَة ومقلة دمعها يجرى على قَدَرِ
 تنشاله حركات في أسافله كأنها حركات الماء في الشجر
 وفي أعاليه حسابان يُفصِّلُهُ للناظرين بلا ذهن ولا فكر
 إذا بكى دار في أحشائه فَلَكَ خافي المسير وإن لم يبيك لم يدِرِ
 مترجم عن مواقيت تخبرنا عنها فيوجد فيها صادق الخبر

تقضى به الخمس في وقت الوجوب ، وإن

عَطَى على الشمس سِتْرَ الغيم والمطر
 وإن سَهَرَتْ لأسبابٍ تُورِقني عَرَفْتُ مقدار ما ألقى من السهر
 مُحَرَّرٌ كحل ميقاتٍ تخيره ذوو التخير للأسفار والحضر
 ومخرج لك بالإجراء أطفها من النهار وقوس الليل والسحر
 نتيجة العلم والأفكار صَوَّرَه يا حبذا بدعُ الأفكار في الصور
 وقال يصف زرمانج آبنوس :

في وصف
زرمانيح

نعم المعين على الآداب والحكم
لا تستمد مداداً غير صبغتها
خفت وجفت فلم تدنس لحاملها
وأمكن المحو فيها الكف فانسعت
حليتها بلجين وانتهجت لها
فالكم يعبق منها حين تودعه
لو كنّ ألواح موسى حين يغضبه
وله من قصيدة ذكر فيها طاووسا مات له :

في وصف
طاووس

رُزِنَتْهُ رَوْضَةٌ يَرُوقُ ، ولم
جَمَلُ الذَّنَابِي كَانَ سَدْسَةً
مُتَوَجَّأ خَلْقَةَ حَبَاهُ بِهَا
كَأَنَّهُ يَزْدَجِرُ دُ مُنْتَصِبَا
يُطْبِقُ أَجْفَانَهُ وَيَحْسِرُ عَنْ
أَدَلَّ بِالْحَسَنِ فَاسْتَدَالَ لَهُ
ثُمَّ مَسَى مِشْيَةَ الْعُرُوسِ ؛ فَن
فهذا طرف مما شرطته كافٍ ، يرى به المتعلم نهج هذه الطريقة ، إن شاء
الله تعالى .

(١٠١) باب الشطور ، وبقية الزحاف

القول في الشطور على أحد وجهين : إما أن يراد بالشرط نصف البيت ، حد الشطور
وإما أن يراد به القصد ، وذلك أنهم إذا ذكروا الشطور فرما أنشدوا أبياتا
كاملة ، وليست أقسمة ؛ فيكون هذا من قوله تعالى : (فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ

المسجد الحرام) وكذلك القسيمُ أيضاً : يجوز أن يكون نصف البيت ، ويجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن ؛ لأن الحظ يقال له قسيم وقسم .

قال جرير :

أَتَارِكَةٌ أَكَلِ الْخَزِيرِ مُجَاشِعٌ وَقَدْ خَسَّ إِلَّا فِي الْخَزِيرِ قَسِيمُهَا
يريد حظها . وقالت ابنة^(١) المنذر بن ماء السماء :

بَعَيْنِ أَبَاغَ قَاسِمْنَا الْمَنِيَا فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ
وهذا حين أبدأ بذكر الشطور على مذهب الجوهري لقلة حشوه .

الطويل : مثنى قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ » ثمانى صرات^(٢) وزحافه : الْقَبْضُ ، الثَّمْ ، التَّرم ، الكف ، الحذف . ومسده أن يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسم .

المديد : مثنى محدث ، مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن فاعلن » ثمانى صرات^(٢) وعلى ذلك أنى محدثه ، وبيت مر به السالم :
بُوئْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي غَادَرَتْ قُوْحِي سُدَى
قال : وهذا شعر قديم ، إلا أن الخليل لم يذكره . زحافه : الخبن ، الكف ، الشكل ، القصر ، الحذف ، الصلم .

البسيط : مثنى قديم ، مسدس قديم ، مربع محدث ، أجزاءه « مستفعلن فاعلن » ثمانى مرات^(٢) ومسده « مستفعلن فاعلن مستفعلن » مكررة ، قال :

(١) الذى فى ياقوت أن هذا البيت لابنة فروة بن مسعود ترى أباه ، وكان قد قتل بعين أباغ - بضم الهمزة ، وفى آخره عين معجمة - وبعد هذا البيت :
وقالوا سيدا منكم قتلنا كذاك الرمح يكلف بالكريم
(٢) صوابه « أربع صرات » .

وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع ، وقد نقص منه « فاعلن » الأولى والثالثة وبيته المربع المحدث :

دَارٌ عَفَاها الْقِدَمُ بَيْنَ الْبَيْلَى وَالْعَدَمِ

زحافه : الخبن ، الطي ، الخبل ، القطع ، الإذالة ، التخليع . ومعنى التخليع : قطع « مستفعلن » في العروض والضرب جميعاً .

الوافر : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعلتن » ست مرات ، ولم يجيء عن العرب في مسدسه بيت صحيح . زحافه : العصب ، القطف ، النقص ، العقل ، العصب ، القصم ، العقص ، الجم .

الكامل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « متفاعلن » ست مرات ، زحافه : الإضمار ، الوقص ، الخزل ، القطع ، الحرم ، الترفيل ، الإذالة

الهزج : مسدس محدث ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعيلن » أربع مرات ، بيته المسدس المحدث :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَانُ إِذْ بَانُوا وَإِذْ صَاحَتْ بِشَطِّ الْبَيْنِ غِرْبَانُ

زحافه : الخزم ، الكف ، القبض ، الحزب ، الشتر ، الحذف .

الرجز : مسدس ، مربع ، مثلث ، مُثْنَى ، كله قديم ، موحد محدث ، أجزاءه « مستفعلن » ست مرات ، زحافه : الخبن ، الطي ، الخبل ، القطع ، الفرق ، الوقف ؛ ومعنى قوله الفرق : أن يفرق الوند المجموع في حشو مسدسه فيعود مستفعلن مستفعلن — بتقديم النون — فيكون وزنه مفعولات .

قال : وهو الذي يسميه الخليل المنسرح ، ولم يجيء ضربه إلا مَطْوِيًّا ، وفي صدر مر به ، قال : وهو الذي يسميه الخليل المقتضب ، وفي ضرب مثناه ومثله إلا أنه ساكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون إلا متحركاً ، وذلك هو الوقف .

الرمل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن » ست مرات ،
زحافة : الخبن ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القصر ، الإسباغ .

الخفيف : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن مستفعلن
فاعلاتن » مكرر ، ومربعه « فاعلاتن مستفعلن » قال : وقد ركب منه مربع
آخر ، وهو الذي يسميه الخليل مجتثاً ، وقد نقص منه « فاعلاتن » الأولى
والرابعة . زحافه : الخبن ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القطع ، التشعيث ،
الإسباغ ، الطى .

المضارع : مربع قديم لا غير ، أجزاءه « مفاعن فاعلاتن » مكرر ، ولم
يجيء عن العرب فيه بيت صحيح . زحافه : القبض ، الكف ، الحذف ،
الستر ، الخبن .

المتقارب : مثنى قديم ، مسدس مربع محدث ، أجزاءه « فعولن » ثمانى
مرات . زحافه : القبض ، التلم ، الترم ، القصر ، الحذف ، البتر ، وبيت
مربعه المحدث :

وَقَفْنَا هَنِيئَةً بِأَطْلَالٍ مَيِّةٍ

المتدارك : مثنى قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فاعن » ثمانى مرات ،
وبيته السالم من مثنىه :

لَمْ يَدْعَ مَنْ مَضَى لِلَّذِي قَدْ غَبَرَ فَضَلَ عِلْمٍ سِوَى أَخْذِهِ بِالْأَثْرِ

وشعر عمرو الجنى مخبون . زحافه : الخبن ، القطع ، الإذالة ، الترفيل . .
وهذا شرح الألقاب عن أبي زهرة النحوى وغيره . كل ما حذف ثانيه
الساكن فهو مخبون ، وكل ما حذف رابعه الساكن منه فهو مطوى ، وما
حذف خامسه الساكن فهو مقبوض ، وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف ،
وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو مخبول ، وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان

فهو مشكول ، وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص ، وما حذف خامسه المتحرك فهو معقول ، وما حذف سابعه المتحرك فهو مكشوف عند الخليل ، ولم يعتقد به الجوهري ، وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مخزول ، وما أسكن ثانيه المتحرك فهو مُضَمَّر ، وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب ، وما أسكن سابعه المتحرك فهو موقوف ، وما حذف ساكن سببه وأسكن متحركه فهو مقصور ، وإن كان هذا العمل في وَتِدٍ فهو مقطوع ، وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء الذي هو فيه فهو مُسَيِّغٌ ، وإن كان ذلك في وتد فهو مُدَّيْلٌ ؛ فإن زيد على الوند حرفان فهو مُرْفَلٌ ، وكل ما حذف منه وتد مجموع فهو أَحَدٌ ، فإن حذف وتد مفروق فهو أَصْلَمٌ ، وإذا حذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك الذي يليه فهو مقطوف ، وكل وتد مجموع كان في مبتدأ البيت فحذف أول الوند فهو مخروم ، وإن كان ذلك في « فعولن » فهو أَتْلَمٌ ، فإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أْثَرَمٌ ، وإن كان الخرم في « مفاعلتين » فهو أعصب ، وإن كان مع ذلك عصب فهو أَقْصَمٌ ، وإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أعفص ، وإن كان فيه مع الخرم عَقْلٌ فهو أَجْمٌ ، وإذا خرمت « مفاعيلين » فهو أخرم ، وإذا كَفَّفْتَهُ مع ذلك فهو أخرب ، وإذا خرمته وقبضته فهو أَشْتَرٌ ، وما ذهب منه جزآن من العروض والضرب فهو مَجْزُوءٌ ، وما يذهب منه شرطه فهو مشطور ، وما ذهب ثلثاه فهو مَهْزُوكٌ ، وما سلم من الزحاف - وهو يجوز فيه - فهو سالم ، وما سلم من الخرم فهو موفور ، وما استوفى دأرتيه فهو تام ، وما استوفى أجزاء دأرتيه وكان في بعض الأجزاء نقص فهو وَافٍ ، وكل جزء كان في ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو صحيح ، وإن خالف الحشو فهو معتل ، ومخالفة الحشو: أن يدخل فيه من النقص والزيادة مالا يدخل الحشو ، أو يمتنع من النقص

الذي يدخل الحشو ، والمعتدل على أربعة أوجه : ابتداء ، وفصل ، وغاية ، واعتماد . وقد شرحتها فيما تقدم .

(١٠٢) — باب بيوتات الشعر والمُعْرِقِينَ فِيهِ

بيت
أبي سلمى
منها في الجاهلية بيتُ أبي سلمى : كان شاعراً واسمه ربيعة ، وابنه زهير كان شاعراً ، وله خؤولة في الشعر : خاله بِشَامَةُ بن (١) العذير ، وكان كَعْبٌ وَبُجَيْرُ ابْنَا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائهما .

بيت
حسان بن ثابت
ومن الخضرمين حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام ، وهو وأبوه وجده وأبو جده شعراء ، وابنه عبدالرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر ، ذكر ذلك المبرد

بيت
النعمان بن بشير
وبعد هذين بيت النعمان بن بشير ، وبنوه : أبان ، وبشير ، وشبيب ، وابنته حميدة ، ومن بني بنيه عبد الخالق بن عبد الواحد ، وعبد القدوس بن عبد الواحد ابن النعمان ، وأم النعمان عمرة بنت رَوَاحَةَ شاعرة ، وخالهُ عبد الله بن رَوَاحَةَ أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم .

بيت
نَهْشَل بن حري
ومن المعرقين في الشعر — عن عبد الكريم — نَهْشَل بن حَرَيِّ بن ضمرة بن جابر بن قطن ، ستة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالا .

وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصَّلتِ ، وهو القائل :

قوم إذا نزل الغريبُ بدارهم تركوه رَبَّ صَوَاهِلِ وَقِيَانِ

وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة .

بيت جرير
ومن بيوتات الشعر في الإسلام بيت جرير : كان هو وأبوه عطية وجده أَخْطَفِي شعراء ، وكان بنوه وبنو بنيه شعراء . . قال أبو زياد الكلابي :

(١) في الأصول «أسامة بن العذير» وهو تصحيف من وجهين ، وصوابه ما أثبتنا

رأيت باليمامة نوحا وبلالا ابني جريروها يتسايران ولهما جمال وهيممة وقدر عظيم ،
وأشعر من باليمامة يومئذ حجناء بن نوح بن جرير ، وكان عقيل بن بلال شاعراً ،
وعمارة ابنه شاعراً ، أدرك الطائي حبيباً ولقيه المبرد .

ومن المعرقين عُقبه بن رؤبة بن العجاج .

ابن رؤبة
بن العجاج

بيت
أبي حفصة

ومن البيوتات بيت أبي حفصة : كان مروان شاعراً ، وجماعة بيته شعراء
يضر بون بألسنتهم أنوفهم ، حكاة الجاحظ ، وكان يحيى جد مروان شاعراً
يهاجي الأعين المنقرى ، وجريراً ، وأكثر أهل بيته شعراء رجالا ونساء .

بيت
أبي عينة

[بيت] أبي عينة بيت شعر : منهم مجد وبنوه أبو عينة وعبد الله وداود
وعباد بن داود لقبه الخرق لقوله :

أنا الخرقُ أعراض اللثام كما كان الممزق أعراض اللثام أبي

بيت
الرقاشين

وبيت الرقاشين منهم عبد الصمد بن الفضل وابناه الفضل والعباس ،
وأكثرهم شعراء .

بيت
اللاحقين

وبيت اللاحقين : كان حمدان شاعراً ، وابنه ، وأبوه أبان شاعرا ، وجده
عبد الحميد شاعرا ، ولاحق أبو عبد الحميد شاعر ، وإليه نُسبوا ، وهو مولى الرقاشين ،
وأكثر أهل هذا البيت شعراء .

بيت
أمية الكاتب

وبيت أمية الكاتب ذكرهم دعبل ، وهم أمية وإخوته : علي ، ومحمد ،
والعباس وسعيد ، ومن أولاد هؤلاء أبو العباس بن أمية وأخواه علي وعبد الله ،
وابن عمهم محمد بن علي بن أبي أمية .

بيت
رزين

وبيت رزين بيت شعر ، منهم عبد الله شاعر ، وابنه أبو الشيص شاعر ،
واسمه محمد ، ومنهم علي شاعر ، وابناه دعبل وعلي شاعران .

بيت
حميد

وبيت حميد بن عبد الحميد : كان حميد شاعرا ، وبنوه أهرم وأبو عبد الله
وأبو نصر وأبو نهشل شعراء ، ذكرهم دعبل

الفرق بين
المعرق وذى
البيت

والفرق بين المُعْرَقِ وبين ذى البيت أن المعرق مَنْ تكرر الأمر فيه وفي
أبيه وفي جده فصاعداً ، ولا يكون مُعْرَقاً حتى يكون الثالث فما فوقه ، وعلى
هذا فسر قول أبي الطيب :

العارض الهتنُ ابن العارض الهتنِ ابن العارض الهتنِ ابن العارض الهتنِ
قالوا : إنما أراد أنه مُعْرَق ، وزاد واحداً على الشرط المتعارف ، وإنما أخذه
أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات :

ما كان ينذرنا ويؤمن سربنا ويحيرنا من شر كل مخيفة
إلا مقام خليفة خليفة خليفة خليفة خليفة خليفة

يعنى الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، فصدق وحسن في
معناه ، ونقص المتنبي بواحد بعد سرقة .

وذو البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم ، فهذا فرق بينهما .
ومن الإخوة ومن لم يعرق : لبيد وأخوه لأمه أربد ، والشماخ وأخوه
جزء ويزيد - وهو مزرد - وبنو ابن مقبل وهم عشرة إخوة ، تميم ، وفضالة
وحيان ، ورفاعة ، ووبرة ، والمضاء ، وأعدد ، وعبد الله ، وخفاف ، وأبو الشمال ،
وأُم تميم ابنة أمية بن أبي الصلت ، وفي أولاد إخوته المذكورين أنفا شعر ؛ وقيس
أبن عمرو النجاشي وأخوه خديج ، وعمرو بن أحمز وأخوه سنان وسيار ، وغيلان
ذو الرمة وإخوته : أوفى ، ومسعود ، وهشام ، وحرقاس ، شعراء خستهم ، ومسلم
أبن الوليد وأخوه سليمان الكفيف ، وأشجع السامى وأخوه أحمد .

من الشعراء
الإخوة

وأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له « الثنَّيَّان » حكاه عبد الكريم عن
غيره ، وهو كثير لو أخذنا في ذكرهم لطالت مسافة الباب .

الثنَّيَّان
من الشعراء

(١٠٣) - باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس : اختلف العلماء في كُتِبَ « بسم الله الرحمن الرحيم »
 الاختلاف في جواز كتابتها أمام الشعر ؛ فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى ، وأجازه النخعي ، وكذا يروى عن ابن عباس ، قال : أُكْتُبَ « بسم الله الرحمن الرحيم » أمام الشعر وغيره ؛ قال أبو جعفر : ورأيت علي بن سليمان يميل إلى هذا ، وقال : ينبغي أن يكتب أمام الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنه يجيء بعده « قال فلان » وما أشبه ذلك . . قلت أنا : إنما هذا في الشعر إذا دُوِّنَ ، فأما قصيدة رفعها الشاعر إلى ممدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها ، لكن بعدها ، وإذا كان الأمر هكذا فلا سبيل إلى كتاب البسملة ؛ لأن العذر حينئذ ساقط .

(١٠٤) - باب أحكام القوافي في الخط

إذا صارت الواو الأصلية والياء الأصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما تسقط واو الوصل وياؤه ، مثل واو « يغزو » للواحد ، و (يغزوا) للجماعة إذا كانت القافية على الزاي ، ألا ترى أنهم أسقطوها في اللفظ فضلا عن الخط . . قال الراجز :

* كَرِيمَةٌ قَدَرُهُمْ إِذَا قَدَرَ *

يريد « إذا قدروا » قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين وقد سألته عن هذا : لا يجوز حذف هذه الواو إلا في أشد ضرورة ، للعرب لا للمولدين ؛ لأنها علامة جمع وإضمار ؛ فحذفها يلبس بالواحد ، قال : وهذا مذهب سيبويه والبصريين ، ومثل واو « يغزو » ويا « يقضى » للغائب « وتقضى »

للمؤنثة الغائبة والمذكر المخاطب . وكذلك ياء « القاضى والغازى » إذا كانا معرفين بالألف واللام ، هذا هو الوجه ، فإن كتب بإثبات الواو والياء فعلى باب المساحة ، والأجود أن تكون الواو والياء خارجاً فى الغرض ، وكذلك ياء الضمير نحو « غلامى » إذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء ، فإن كتبت مساحة فى الغرض كما قدمت ، وقد أسقطها بعضهم فى اللفظ . . أنشدنى أبو عبد الله للأعشى :

ومن شائىء كاسفٍ وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

قال : يريد « أنكرنى » حذف الياء ، فأما ما يكون مُنَوَّنًا نحو « قاض ، وغاز » أو مجزوماً نحو « لم يقض ، ولم يغز » فلا يجوز أن يثبت فيهما الياء والواو على المساحة ؛ لأنهما سقطا بالتثوين والعامل . . ومن العرب من يقول « هذا الغاز ، ومررت بالقاض » بعيرياء ، وهذا تقوية لمذهب من حذفها فى الخط إذا كانت وصلًا للقافية .

وإن كان فى قوافى قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف كتبها جميعاً بالألف لتستوى القوافى ، وتشتبه صورتها فى الخط .

(١٠٥) - باب النسبة إلى الروى

إذا قلت قصيدة فنسبتها إلى ما [كان] على حرفين قلت هذه قصيدة بأئية وحائية ، وكذلك أخواتهما ، وإن شئت جعلت الهمزة واواً فقلت : ياوية ، وكان أبو جعفر الرقاشى ينسب إلى ما كان على حرفين يقول : هذا يبوئ ، ويتوى ، وكذلك أخواتهما ، إلا « ما » و « لا » فإنه يقول : مووى ، ولووى على فعلى ، وتقول على هذا القول : قصيدة مووية ولووية ، قال ثعلب : ما كان على ثلاثة أحرف الأوسط ياء فليس فيه إلا وجه واحد ، تقول : سينت سيناً ، وعينت عيناً ، إذا كتبت سيناً وعيناً ، فيقول على هذا : قصيدة مسينة ومعينة

كيف تنسب
إلى ما كان
على حرفين

وسينية وعينية ، وكذلك قصيدة ميمية ، ولا تقول « مؤومة » فإنه خطأ ، وتقول في الواو وهي على ثلاثة أحرف الأوسط ألف بالياء لا غير ؛ لكثرة الواوات ، فتقول : وَوَيْتُ وَاوًا حَسَنَةً ، وبعضهم يجعل الواو الأولى همزة لاجتماع الواوين فيقول : أويت وَاوًا حَسَنَةً ، فالقصيدة على هذا واوية ومؤواة وموواة ، وقال بعضهم في « ما » و « لا » من بين أخواتهما : مويت ماء حسنة ، ولويت لاء حسنة ، بالمد ؛ لمكان الفتحة من ما ولا .

(١٠٦) — باب الإنشاد وما ناسبه

ليس بين العرب اختلاف — إذا أرادوا التزيم ومدّ الصوت في الغناء والحداء — في إتباع القافية المطلقة ، مثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب والخفض ، كانت مما ينون أو مما لا ينون ، فإذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا : فمنهم من يصنع كما يصنع في حال الغناء والتزيم ؛ ليفصل بين الشعر والكلام المنثور ، وهم أهل الحجاز ، ومنهم من ينون ما ينون ومالا ينون : إذا وصل الإنشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلا بين كل بيتين فينشد قول النابغة :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلَمَاءِ فَالْسَّنَدِ

منوناً إلى آخر القصيدة ، لا يبالى بما فيه ألف ولام ، ولا مضاف ، ولا بفعل ماض ، ولا مستقبل ، وهم ناس كثير من بني تميم .

ومنهم من يجرى القوافي مجراها ولولم تكن قوافي فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين ويعوض المنصوب ألفا على كل حال ، وهم ناس كثير من قيس وأسد ، فينشدون :

الوقف
على لغة
قيس وأسد

لا يبعد الله جيراناً لنا ظعنوا لم أدر بعد غداة البين ما صنع

يريد « ما صنعوا » . وكذلك ينشدون :

ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمعى محمل
فإذا وصلوا جملوه كالسكلام وتركوا المدة لهمهم أنها في أصل البناء .

قال سيويوه : سمعناهم ينشدون :

* أَقْلَى اللّوْمِ عَادِلٌ وَالْعِتَابُ *

إذا كان منوناً أثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالسكلام المنشور .

ومن العرب مَنْ في لغته أن يقف على إشباع الحركة : فتجر الضمة واواً ،
والكسرة ياء ، والفتحة ألفاً ، فينشد هذا كله موصولاً من غير قصد غناء
ولا ترنم .

الوقف
بإشباع الحركة

ومنهم من في لغته أن لا يعوض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفاً
من غير اعتقاد تقييد ، وإذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه بإزاء إطلاقه ، فهو
غير جائز ؛ لأن الشعر المقيد يكسر بتنوينه كما يكسر بإطلاقه ، ما خلا الأوزان
التي قدمنا القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز إطلاقها وتقييدها .

ويحكى عن روبة أنه أنشد قصيدته القافية المقيدة منونة ، فرد ذلك الزجاجي
وأنكره ، وذكر أنه وهم من السامع ، وأن الوجه فيه أن من العرب من يزيد بعد
كل قافية « إن » الخفيفة المكسورة إعلماً بانقضاء البيت ، فينشد :

وقاتمِ الأعماقِ حاوىِ المحترقِ إنْ مُشْتَبِهُ الأعلامِ لمَاعُ الخَلْفِ إنْ

* يكلُّ وفدُ الریح منْ حيثْ انْخرقُ إنْ *

وإذا كان ما قبل حرف الروى ساكناً - وكانت لغة مُنْشِدِهِ الوقوفَ على

بنقل الحركة المضموم والمكسور - بنقل الحركة كما أنشد أعرابي من بنى سننيس قول

ذی الرمة :

* وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجِرْعَائِكَ الْقَطْرُ

— بضم الطاء وإسكان الراء لما وقف — حكى ذلك عبد الكريم ، وعلى هذا قال الآخر :

* أنا ابن ماوية إذ جد النقر *

أراد « النقر » بالخيل .

وأنشد أبو العباس ثعلب :

أَرْتَنِي حَجَبًا عَلَى سَاقِهَا فَهَشَّ الْفَوَادِ لَذَاكَ الْحِجَلُ

فقلت ولم أخف من صاحبي : ألا بأبي أصلُ تلك الرَّجِلُ

وقال : نَقَلَ لِاضْطِرَارِ الْقَافِيَةِ .

ومما يدخل في شفاة هذا الباب : الغناء ، والحداء ، والتغبير ، قال الشاعر :

تَغْنَّ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنْ الْغِنَاءُ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضْمَارُ

ويقولون : فلان يتغنى بفلان أو بفلانة ، إذا صنع فيه شعراً .

قال ذو الرمة :

أَحِبُّ الْمَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي بِهِ أَتَغَنَّى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجِمٍ

وكذلك يقولون : حدًا به ، إذا عمل فيه شعراً .

قال المرار الأسدي :

وَلَوْ أَنِّي حَدَوْتُ بِهِ أَرْفَأَنْتُ نِعَامَتَهُ وَأَبْصَرَ مَا يَقُولُ

وغناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والهزج .

أنواع
غناء العرب

فأما النصب فغناء الركبان والفتيان ، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وهو

الذي يقال له المرأى ، وهو الغناء الجنابي ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب

ابن عبد الله بن هبل ، فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من

أصل الطويل في العروض .

وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع ، الكثير النغمات والنبرات ، وهو

على ست طرائق : الثقيل الأول ، وخفيفه ، والثقيل الثاني ، وخفيفه ،
والرمل ، وخفيفه .

وأما الهزج فالخفيف الذي يرقص عليه ، ويمشى بالدفّ والمزمار فيطرب ،
ويستخف الحليم ، قال إسحاق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالإسلام ،
وفتحت العراق ، وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم ، فغنوا الغناء
الجزأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف
والمزامير .

قال الجاحظ : العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والعجم
تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على
غير موزون .

فرق ما بين
العرب والعجم

ويقال : إن أول من أخذ في ترجيعه الحداء مضر بن نزار ؛ فإنه سقط عن
جل فانكسرت يده فملوه وهو يقول : وايداه ، وايداه ، وكان أحسن خلق الله
جرماً وصوتاً ، فأصغت الإبل إليه وجدت في السير ، فحملت العرب مثالا لقوله
هايداً هايداً يحدون به الإبل ، حكى ذلك عبد الكريم في كتابه .

أول من
حدا

وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل منهم ، كان في إبله أيام
الربيع ، فأمر غلاماً له ببعض أمر ، فاستبطأه ، فضربه بالعصا ، فجعل ينشد في
الإبل ويقول : يايداه ، يايداه ، فقال له : الزم الزم ، واستفتح الناس الحداء من
ذلك الوقت .

وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحكى الزبير
ابن بكار في حديث يرفعه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار
سمع حاديهم بطريق مكة ليلاً فقال إليهم : إن أباكم مضر خرج إلى بعض
رعاته فوجدها قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا

الغلام في الوادي وهو يصيح : وايداه ، وايداه ، فسمعت الإبل ذلك فعطفت ، فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لا تنتفعت به الإبل واجتمعت ، فاشتق الحداء .

وأما التعبير فهو تهليل أو تردد صوت ، بقراءة أو غيرها ، حكى ذلك ابن دريد ، وحكى أبو إسحاق الزجاجي قال : سألتني بعض الرؤساء : لم سمي التعبير تعبيراً ؟ قلت : لأنه وضع على أنه يرغب في الغابر - أي : الباقي ، أي : يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة - وقال غيره : إنما قيل له تعبير لأنه جعل ما يخرج من الفم بمنزلة الغبار ، فعرض الجوابان على أحمد ابن يحيى ، فاستجاد جوابي .

يقال للمرسل في الغناء : المثالي ، حكاه غلام ثعلب .

١٠٧ - باب الجوائز والصلوات

قال أبو جعفر النحاس : أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يجيزه ليذهب إلى وجهه ، وكان الرجل إذا ورد ماء قال لقيمه : أجزني - أي : أعطني ماء حتى أذهب لوجهي وأجوز عنك - فكثر حتى جمعت الجائزة عطية .

قال الراجز :

يا قيم الماء فذتكَ نفسي أحسن جَوَازِي وأقِلَّ حَبْسِي

قال ابن قتيبة : أصل الجائزة والجوائز أن عبد عوف بن أصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فمر به الأحنف بن قيس في جيشه غازياً إلى خراسان ، فوقف لهم على قنطرة الكرك فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه ، فكان يعطيهم مائة مائة ، فلما كثروا عليه قال : أجزوهم ، فأجزوا ؛ فهو أول من سن الجوائز .

اشتقاق
الجائزة
وأصلها

أول من
سن الجوائز

قال الشاعر :

فِدَىِّ لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هَلَالٍ عَلَى عِلَاتِهِمْ عَمِّي وَخَالِي
هُمْ سُنُّوا الْجَوَائِزَ فِي مَعَدِّ فَصَارَتْ سُنَّةَ أُخْرَى اللَّيَالِي

البدرية : عشرة آلاف درهم ، سميت بذلك لوفورها ، قال بعضهم : ومنه
سمى القمر ليلة أربع عشرة « بدرأ » لتمامه وامتلائه من النور ، ويقال : لمبادرتي
الشمس ، وقيل : بل البدرية جلدة السخلة إذا فُطِمَتْ والجذع من المعز يملأ مالا ،
فسمى المال « بدرية » باسم الوعاء مجازا .

والصلة : ما أخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به ، ثم كثر ذلك حتى
قيل لهبة الملك « صلة » .

وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب
لما جاء موضعها :

إِن الَّذِي صَاغَتْ يَدِي وَفِي وَجَرَى لِسَانِي فِيهِ أَوْ قَلَمِي
مِمَّا عَنَيْتَ لِسَبِّكَ خَالِصَهُ وَاخْتَرْتَهُ مِنْ جَوْهَرِ الْكَلِمِ
لَمْ أَهْدِهِ إِلَّا لَتَكْسُوهُ ذَكَرًا تَجَدَّدَهُ عَلَى الْقَدَمِ
لَسْنَا نَزِيدُكَ فَضْلَ مَعْرِفَةٍ لَكِنِّهِنَّ مَصَائِدُ الْكِرْمِ
فَأَقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ أَشَدَّتْ بِهِ وَنَسَخَتْ عَنْهُ آيَةَ الْعَدَمِ
لَا تَحْسَبِ الدُّنْيَا أَبَا حَسَنِ تَأْتِي بِمِثْلِكَ فَائِقَ الْهَمَمِ

الحمد لله الذي بنعمته تكمل الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد
أشرف الكائنات ، وعلى آله وصحبه نجوم الهداية وأعلام الدرّيات ، وسلم
تسلماً كثيراً .

وبعد ، فقد نجز كتاب « العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه » لأبي علي
الحسن بن رشيق الأزديّ : المولود في سنة ٣٩٠ من الهجرة (١٠٠٠ م)
المتوفى في ذي القعدة من سنة ٤٥٦ من الهجرة (١٠٦٤ م) بعد أن صقله
التحقيق ، وجلاه حُسن الوَضْع ، وزانه رَوْنق الطَّبْع ، وبعد أن قضيتُ
نصف حَوْل في المراجعة ومعاودة النظر ، وقضيت من بعد ذلك ثلاثة أشهر
في الإشراف على طبعه ، لا يحملني على تجشّم هذه الأهوال إلا الرغبة
الصادقة في خدمة العربية ، والحرص على أن تكون كتبها صحيحة المعنى جميلة
الرُّوَاء .

وإني أتضرع إلى الله تعالى أن يثيبني على هذا بمقدار إخلاصى فيه لوجهه ؛

فَرَحِيحِي الدِّينَ عَبْدَ الْحَمِيدِ

فهو حسبي ونعم الوكيل .

فهرس الجزء الأول من كتاب

« العمدة ، في محاسن الشعر وتقده »

لأبى على الحسن بن رشيق ، القيروانى ، الأزدى

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|-------------------------------------|----|--|---|
| أشعر بيت قالته العرب | ١٧ | باب التصدير | |
| — من أمثلة المقابلة أيضاً | — | ٣ حد التصدير ، وفائدته | |
| — من جيد المقابلة | — | — أقسام التصدير | |
| — من خفي المقابلة | — | — الفرق بين التصدير والترديد | |
| ١٨ من جيد المقابلة في المنشور | | — أمثلة للتصدير | |
| — مما عيب من المقابلة | — | ٤ من التصدير نوع يسمى «المضادة» | |
| ١٩ منها نوع يختص باسم «الموازنة» | | باب المطابقة | |
| ٢٠ من أملاح الموازنة وتعديل الأقسام | | ٥ حد المطابقة ، والاختلاف فيه | |
| باب التقسيم | | ٧ رد الحدود المختلفة بعضها إلى بعض | |
| ٢٠ حد التقسيم | | — أمثلة من المطابقة | |
| ٢١ من جيد التقسيم | | ٩ مما يظن أنه من المطابقة ، وليس منه | |
| ٢١ من جيد التقسيم في المنشور | | ١١ من أمثلة المطابقة أيضاً | |
| ٢٢ عود إلى جيد التقسيم في الشعر | | — من شعر أبى الحسن في الطباق | |
| — أصح تقسيم | | ١٢ أمثلة مما يغلط فيه الناس من هذا الباب | |
| ٢٥ جمع الأوصاف (التعقيب) | | باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة | |
| — من أنواع التقسيم التقطيع | | ١٢ أسباب اختلاط أحد النوعين بالآخر | |
| ٢٦ الترصيع | | ١٤ مما ظاهره التجنيس وباطنه طباق | |
| باب التسهم | | باب المقابلة | |
| ٣١ الاختلاف في تسميته ، وأنواعه | | ١٥ حد المقابلة | |
| ٣٤ من جيد التسهم | | — أكثر ما تجيء فيه المقابلة الأضداد | |
| — مأخذ التسهم والتوشيح | | ١٦ نوع خاص من المقابلة يسمى «مقابلة | |
| باب التفسير | | الاستحقاق» | |
| ٣٥ حد التفسير | | — من أمثلة المقابلة | |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|----|------------------------------------|----|---------------------------------|
| ٣٥ | من جيد التفسير | ٦٠ | من الإيغال نوع يسمى «الاستظهار» |
| | باب الاستطراد | — | اشتقاق الإيغال |
| ٣٩ | حد الاستطراد | | باب الغلو |
| — | أوضح الاستطراد ، وأول من قاله | ٦٠ | أسماءه ، وميزته |
| ٤١ | من الاستطراد نوع يسمى «الإدماج» | ٦١ | أصح الكلام |
| | باب التفریع | — | تعريف الغلو لتقديمه |
| ٤٢ | حد التفریع ، وميزته من الاستطراد | — | اختلاف الناس في الإفراط |
| — | أمثلة من التفریع | — | قول الحاتمي في الغلو |
| | باب الالتفات | ٦٢ | من آيات الغلو |
| ٤٥ | حد الالتفات ، والاختلاف في تسميته | ٦٣ | من غلو المتنبي |
| — | أمثلة منه | ٦٤ | أحسن الإغراق |
| ٤٦ | قد يجيء الالتفات في آخر البيت | ٦٥ | اشتقاق الغلو |
| | باب الاستثناء | — | الإغراق |
| ٤٨ | تسميته ، وحده | | باب التشكك |
| — | أمثلة من ملبح هذا النوع | ٦٦ | فائدة التشكك |
| | باب التتميم | — | أمثلة منه |
| ٥٠ | حد التتميم | ٦٨ | أول من نطق بهذا المعنى |
| ٥١ | من أمثلة التتميم في القرآن الكريم | | باب الحشو وفضول الكلام |
| — | من أمثلة التتميم في الشعر | ٦٩ | أسماءه ، وحده |
| | باب المبالغة | — | أمثلة من الحشو |
| ٥٣ | آراء الناس في المبالغة | ٧١ | الكلمات التي يكثر الحشوها |
| ٥٥ | من المبالغة نوع يسمى «التقصي» وحده | ٧٢ | من الحشو نوع يسمى «التفصيل» |
| — | ترادف الصفات | | باب الاستدعاء |
| — | الغلو | ٧٣ | حد الاستدعاء |
| | باب الإيغال | — | أمثلة الاستدعاء |
| ٥٧ | حد الإيغال | | باب التكرار |
| — | صفة أشعر الناس | ٧٣ | متى يحسن التكرار ؟ ومتى يقبح ؟ |
| — | أول من ابتكر هذا النوع | ٧٤ | أمثلة من التكرار |
| ٥٨ | أمثلة من الإيغال | ٧٧ | من تكرير المعنى |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|-----|---------------------------------------|-----|---|
| ١٠٠ | أمثلة من التباير | | باب من التكرار |
| | باب في التصرف ونقد الشعر | ٧٨ | سماء ابن المعتز « المذهب الكلامي » |
| ١٠٤ | مقن يحوز الشاعر قصب السبق ؟ | ٧٩ | أمثلة منه |
| ١٠٤ | موازنة بين مسلم بن الوليد وأبي نواس | — | نوع آخر هو أولى بهذه التسمية ، وأمثلة له |
| — | موازنة بين جرير والفرزدق | | باب نفي الشيء بإيجابه |
| ١٠٥ | ليحي المنجم في نقد الشعر | ٨٠ | هو من المبالغة ، ولا يختص بها |
| — | من عنده علم الشعر | — | أمثلة له |
| | باب في أشعار الكتاب | ٨٢ | العيب من هذا النوع |
| ١٠٦ | من شعر إبراهيم بن العباس الصولي | | باب الاطراد |
| ١٠٧ | من شعر محمد بن عبد الملك الزيات | ٨٢ | حده ، ومنزلته |
| ١٠٨ | من شعر الحسن بن وهب | — | أمثلة له |
| ١٠٩ | من شعر سعيد بن حميد | | باب التضمين والإجازة |
| — | ملا يلزم الكتاب | ٨٤ | يختلط على كثير من الشعراء |
| ١١٠ | من شعر أبي الحسن | — | حد التضمين |
| | باب في أغراض الشعر وصنوفه | — | أمثلة من جيد التضمين |
| ١١٣ | لأبي العباس الناشيء في صناعة الشعر | ٨٩ | حد الإجازة ، وأنواعها |
| ١١٤ | وصية أبي تمام للبحري | — | أمثلة منها |
| ١١٥ | للناشيء أيضا في صناعة الشعر | ٩٠ | اشتقاق الإجازة |
| | باب النسب | ٩١ | منها نوع يسمى « التمليط » |
| ١١٦ | حق النسب | ٩٢ | اشتقاق التمليط |
| ١١٧ | الفرق بين الغزل والنسب | | باب الاتساع |
| — | من مختار نسيب المتقدمين | ٩٣ | حد الاتساع ، وسببه |
| ١١٨ | مما يختار من نسيب المحدثين | — | أمثلة له |
| ١١٩ | لمسلم بن الوليد | | باب الاشتراك |
| — | للبحري ، لأبي تمام | ٩٦ | أنواع الاشتراك ، أمثلة له |
| — | للمتنبى | ٩٨ | الاشتراك في المعاني ، وأنواعه |
| ١٢٠ | لأبي نواس | — | أمثلة له |
| — | أعزل بيت ، واختلاف العلماء في اختياره | | باب التباير |
| ١٢١ | لأبي نواس أيضا | ١٠٠ | حد التباير ، وسببه |
| — | الأسماء التي يتعزل الشعراء فيها | | |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|-----|--|-----|--|
| | باب الافتخار | ١٢٣ | من عيوب هذا الباب |
| ١٤٣ | يقال في الافتخار ما يقال في المدح | ١٢٥ | طرد الخيال ، ومن ركبته من الشعراء |
| ١٤٤ | أفخر بيت ، واختلاف العلماء في اختياره | ١٢٦ | من الأمانى غير المقبولة |
| ١٤٥ | ما أنكره قدامة في المدح | ١٢٧ | اشتقاق التشبيب |
| — | مما أنكره الجرجاني (صاحب الوساطة) | | باب في المدح |
| ١٤٦ | من المختار في الفخر | ١٢٨ | سبيل الشاعر في المدح |
| — | من شعر أبي الحسن في الفخر | ١٢٩ | كيف يمدح الشاعر الملوك والسوقة؟ |
| — | مما عابه الأصمعي | ١٣٣ | أبو العتاهية وعمر بن العلاء |
| | باب الرثاء | ١٣٤ | ما يمدح به الكاتب والوزير |
| ١٤٧ | الفرق بين الرثاء والمدح | ١٣٥ | ما يمدح به القائد |
| — | سبيل الرثاء | ١٣٥ | ما يمدح به القاضي ، وصاحب المظالم |
| ١٤٨ | المختار من جيد الرثاء | ١٣٦ | سليمان بن عبد الملك يعجب به جماله |
| — | لابن أبي حفصة | — | مما يعاب على أبي تمام |
| — | لأبي تمام | — | ما يقدم في المدح قول كعب بن زهير في رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ١٤٩ | لديك الجن (عبد السلام بن رغبان) | — | ما يناسب ذلك |
| ١٥٠ | يكون الرثاء مجملا كالممدح | ١٣٧ | من شعر الخطيئة في المدح |
| — | أرثى بيت | ١٣٨ | من شعر الشماخ |
| — | من عادة القدماء في شعر الرثاء | — | أفضل ما يمدح به الملوك |
| ١٥١ | مذهب المحدثين في الرثاء | — | الشعراء يباب المعتصم |
| — | ليس من عادة الشعراء تقديم نسيب قبيل الرثاء | ١٣٩ | أمدح بيت ، واختلاف العلماء في اختياره |
| ١٥٢ | مما عيب في الرثاء شعر للكهميت | ١٤٠ | من أجود ما يختار للمحدثين في المدح |
| ١٥٣ | على شدة الجزع يمين الرثاء | ١٤٣ | مما عيب في المدح شعر للكهميت في مدح النبي |
| ١٥٤ | أشد الرثاء صعوبة | | |
| ١٥٥ | الجمع بين التهنة والتعزية | | |
| ١٥٦ | مما رثى به للنساء | | |

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|---|-----|--|---|
| باب الهجاء | | باب الاقتضاء والاستنجاز | |
| خير الهجاء | ١٧٠ | ١٥٨ ما يستوجب الاقتضاء | |
| الهجاء المقذع | — | — أحسن المختار من الشعر في الاقتضاء | |
| عقوبة الهجاء في الإسلام | — | قول أمية بن الصلت لعبد الله بن جدعان | |
| أبلغ الهجاء | ١٧١ | ١٥٩ قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان | |
| مذاهب الشعراء في الهجاء | ١٧٢ | — للمؤلف | |
| لربيعة الرقي في الهجاء | ١٧٣ | باب العتاب | |
| — للطرماح | — | ١٦٠ عقب العتاب | |
| — لجرير في بني التميم | — | — للعتاب طرائق | |
| ١٧٤ لأبي هفان في التهمك | | — أحسن الناس طريقا في العتاب | |
| — أجود الهجاء | — | البيحترى | |
| ١٧٤ لأبي الحسن في الهجاء | | ١٦١ للبيحترى أيضا في العتاب | |
| ١٧٥ أهجى بيت | | ١٦٢ لمؤلف الكتاب في العتاب | |
| باب الاعتذار | | — لأبي تمام في العتاب | |
| ١٧٦ لمحمد بن علي الأصبهاني في الاعتذار | | ١٦٣ لأبي تمام في العتاب أيضا | |
| — لإبراهيم بن المهدي | — | ١٦٤ لابن الرومي يعاتب إسماعيل بن بلبل | |
| — لأبي علي البصير | — | — للمتنى يعاتب سيف الدولة | |
| — للمؤلف | — | ١٦٥ عتاب الأصفاء وذوي المودات | |
| ١٧٧ اعتذارات النابغة الذبياني | | ١٦٦ للصولي يعاتب ابن الزيات | |
| ١٧٨ لسلم الخاسر يعتذر إلى المهدي | | — لأبي الحسن | |
| ١٧٩ لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر | | — لسعيد بن حميد يعاتب صديقا له | |
| — للمتنبي | — | ١٦٧ لبشار بن برد | |
| — لعلي بن جبلة | — | باب الوعيد والإنذار | |
| — لأبي الهول الحميري | — | ١٦٧ لابن مقبل | |
| ١٨٠ اشتقاق الاعتذار | | ١٦٨ لجرير | |
| باب سيرورة الشعر والحظوة في المدح | | — لابن الرومي | |
| ١٨١ الذين سار شعرهم في الجاهلية ، وفي الإسلام | | ١٦٩ للمؤلف ، في الوعيد | |
| — بين حسين بن الضحالك الخليج وأبي نواس | | | |

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|-------------------------------------|-----|--|-----|
| الأحلاف | ١٩٤ | قبائل لم يحك هجاؤهم إلا قليلا | ١٨٢ |
| الأرقام | — | قبائل شقيت كثيرا بالهجاء | — |
| البراجم | ١٩٥ | الذين حظوا بالمديح | ١٨٣ |
| الثعلبات | — | مفاخر تميم | ١٨٤ |
| الرباب | — | الأوابد من الشعر | ١٨٥ |
| الاجارب | — | المحدودون في التكسب بالشعر | — |
| الحرام | — | باب ما أشكل من المدح والهجاء | — |
| الضباب | — | ١٨٦ لرجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم | ١٨٦ |
| الأكابر | ١٩٦ | — مما أنشده العلماء | — |
| بنو أم البنين | — | — لسليمان بن قنة | — |
| الكلمة | ١٩٧ | ١٨٧ كعم الكلب | ١٨٧ |
| الحمس | — | — تجنب الجيوش | — |
| العنايس | — | ١٨٨ ابنة الجبل | ١٨٨ |
| الأعياص | — | — الثنيان | — |
| أم القبائل | — | ١٨٩ ذو فجرات | ١٨٩ |
| الجمرات | — | — بيضة البلد | — |
| ١٩٨ بنو طهية | ١٩٨ | باب في أصول النسب | — |
| الموالى | — | ١٩٠ أصول الأنساب | ١٩٠ |
| باب ذكر الوقائع والأيام | — | ١٩١ أصل تسمية الطبقات | ١٩١ |
| ١٩٩ مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم | ١٩٩ | ١٩٢ مفاخر القبائل | ١٩٢ |
| ٢٠٠ يوم إراب | ٢٠٠ | — فرسان العرب | — |
| ٢٠١ يوم نغف فشاوة | ٢٠١ | — بيوتات العرب | — |
| — يوم نجران | — | باب مما يتعلق بالأنساب | — |
| — يوم الصمد | — | ١٩٣ قریش البطاح | ١٩٣ |
| — يوم طخفة | — | ١٩٤ قریش الظواهر | ١٩٤ |
| ٢٠٢ يوم المروت | ٢٠٢ | — ألقاب لبعض القبائل | — |
| — يوم مديحة | — | — الأحابيش | — |
| — يوم اللوى | — | — المطيبون | — |
| — يوم الصليفاء (الصلعاء) | — | | |

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|-------------------------------------|-----|-------------------------------|-----|
| يوم البشر | ٢١٤ | يوم الهبءاء | ٢٠٢ |
| يوم الرغام | — | يوم عراعر | ٢٠٣ |
| يوم الهراميت | ٢١٥ | يوم الفروق | — |
| يوم الوقيظ | — | يوم شعب جبلة | ٢٠٣ |
| يوم جزع طلال | — | يوم أقرن | ٢٠٤ |
| يوم أواراة (الأول) | — | يوم زبالة | ٢٠٥ |
| يوم أواراة (الأخير) | ٢١٦ | يوم جدود | — |
| يوم زرود الأول | — | يوم الكلاب الأول | — |
| يوم زرود الآخر | — | يوم الشعبية (الكلاب الثاني) | ٢٠٦ |
| يوم تثلث | ٢١٧ | يوم حر الدواب | — |
| يوم ذى علق | ٢١٧ | يوم ذى بيض | — |
| يوم العذيب | — | يوم عاقل | ٢٠٧ |
| يوم الصفقة | — | يوم عينين | — |
| يوم الفجار الأول | ٢١٨ | يوم قلمى | — |
| يوم الفجار الثاني | — | يوم بزاة | — |
| يوم الفجار الثالث | ٢١٩ | يوم إضم | ٢٠٨ |
| يوم الجفار | — | يوم نقا الحسن | — |
| يوم الصريف | — | يوم أعيار | — |
| مفاخر بنى شيبان | ٢٢٠ | يوم رحران الأول | ٢٠٩ |
| وفود ربيعة عند النعمان بن المنذر | — | يوم رحران الثاني | — |
| مفاخرة بين عامرى وشيبانى عند معاوية | ٢٢١ | يوم ضرية | — |
| حديث ذى الجدين | ٢٢٢ | يوم الصرائم | ٢١٠ |
| باب فى معرفة ملوك العرب | — | يوم القبيط | ٢١١ |
| ملوك اليمن | ٢٢٥ | يوم ذى نجب | — |
| ملوك الشام | ٢٢٨ | يوم خزازى | ٢١٢ |
| ملوك الحيرة | ٢٢٩ | يوم ملزق | — |
| باب من النسبة | — | يوم الوندء | ٢١٣ |
| الإبل الأرحبية | ٢٣٠ | يوم فيف الريح | — |
| | | يوم ذى بهدى | ٢١٤ |

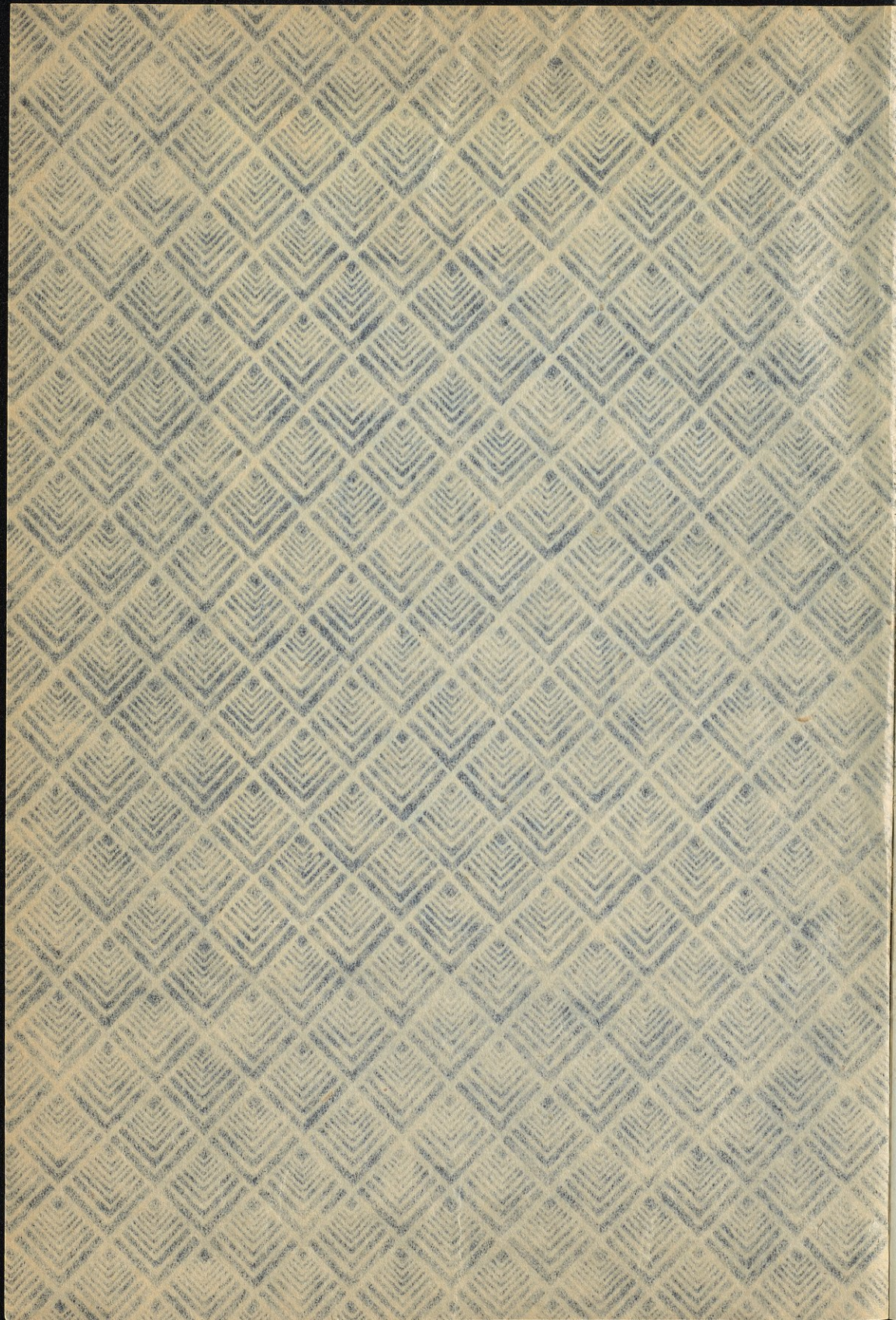
| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|---------------------------------------|---|--|---|
| ٢٣٨ تكثر المعاني كلما تقدم العصر | | ٢٣٠ أسد خفية | |
| — منزلة ابن الرومي في توليد المعاني | | — الرماح اليزنية | |
| ٢٣٩ بشار بن برد يبين سبب تفوقه | | — الدرود الفرعونية | |
| ٢٤٠ معان سبق إليها المتقدمون ولا تطلب | | ٢٣١ الكنائس الزغرية | |
| من المحدثين | | — الرمح السمهرى | |
| ٢٤١ ماجاء في طول الليل | | — البرود الأحمية | |
| ٢٤٢ ماجاء في حلق الشعر | | — الأسننة القعضية | |
| — مما انفرد به بشار بن برد | | — الشياب الحاررية | |
| ٢٤٣ مما انفرد به أبو نواس | | ٢٣٢ الرحال العلافية | |
| ٢٤٤ مما انفرد به أبو تمام | | — الكلاب والدرود السلوقية | |
| — أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي | | — السيوف السريجية | |
| ٢٤٥ بين مسلم بن الوليد وأبي نواس | | ٢٣٣ الدرود الخطمية | |
| ٢٤٦ مأخذ للاصمعي على زهير ، وردة | | — الرماح الخطمية | |
| — مأخذ له على الشماخ | | — المسك الدارى | |
| — مأخذ للامدى على البحترى | | — فحول إبل النعمان | |
| ٢٤٧ من المأخوذ على أبي تمام | | — القسى العصفورية | |
| ٢٤٨ مأخذ على جرير ، وردة | | — القسى الماسخية | |
| — مأخذ على بشامة بن الغدير | | — خيار الإبل | |
| — مأخذ على كعب بن زهير | | ٢٣٣ الحجر الأخرية | |
| ٢٤٩ مأخذ على البحترى | | ٢٣٤ أول من أنتج البغال | |
| — مأخذ على المفضل في رواياته | | باب العتاق من الخيل ومذكوراتها | |
| ٢٥٠ مأخذ على الفرزدق وعلى الأخطل | | ٢٣٤ مراكب رسول الله صلى الله عليه وسلم | |
| ٢٥١ معذرة عن النابغة النديانى | | — خيل غنى ، أعوج | |
| — معذرة عن زهير بن أبي سلمى | | — عدة من فحول الخيل | |
| ٢٥٢ مأخذ على أبي نواس | | باب من المعاني المحدثه | |
| باب ذكر منازل القمر | | ٢٣٦ من الذى يصح الاستشهاد بشعره ؟ | |
| ٢٥٢ السبب الذى دعا المؤلف له | | وبيان السر فى ذلك | |
| هذا الباب | | ٢٣٧ صفة قوس قزح ، لابن الرومي | |
| ٢٥٣ أجزاء السنة وما يتبعها | | — وصف الرقاقة وخبازها ، له | |

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|-------------------------------------|---|----------------------------------|---|
| ٢٥٧ الصرفة | | ٢٥٣ النوء | |
| باب في معرفة الأماكن والبلدان | | — الربع الأول من السنة الربيع | |
| ٢٥٨ حد الحجاز | | — العواء | |
| — الجزيرة | | ٢٥٤ نوء السماء | |
| — جزيرة العرب | | — الغفر | |
| ٢٥٩ العراق | | — الزبانان | |
| — الشام واليمن | | — الإكليل | |
| باب من الزجر والعيافة | | — القلب | |
| ٢٥٩ الفرق بين القأل والطيبة | | — الشولة | |
| — كان الرسول صلى الله عليه وسلم | | ٢٥٥ الربع الثاني من السنة الصيف | |
| يحب القأل ويكره الطيرة | | — البلدة | |
| — اشتقاق الطيرة | | — سعد الدامح | |
| ٢٦٠ الزجر عند العرب | | — سعد بلع | |
| ٢٦١ مما يتطيرون به | | — سعد السعود | |
| ٢٦٢ الساح والبارح ، واختلاف العرب | | — سعد الأخبية | |
| في التيمن والتطير بكل منهما | | — فرع الدلو الأعلى | |
| ٢٦٣ من ملبح الزجر | | ٢٥٦ الربع الثالث من السنة الحريف | |
| باب ذكر المعاظلة والتشبيح | | — الحوت | |
| ٢٦٤ حقيقة المعاظلة ، واشتقاقها | | — الشرطان | |
| — التشبيح | | — البطين | |
| — رأى آخر في المعاظلة | | — الثريا | |
| ٢٦٥ رأى ثالث في المعاظلة | | — الدبران | |
| باب الوحش المتكلف والريك المستضعف | | — الهقعة | |
| ٢٦٥ بيان الوحش من الكلام ، والمتكلف | | ٢٥٧ الربع الرابع من السنة الشتاء | |
| والريك | | — الدراعان | |
| — اشتقاق الرريك | | — النثرة | |
| ٢٦٦ ولع أبي تمام والمتنبى بالوحش | | — الطرف (عينا الأسد) | |
| — أمثلة من التكلف | | — الجبهة | |
| — من كلام أبي تمام في البلاغة | | — الزبرة | |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|-----------|------------------------------------|----------------------------------|----------------------------------|
| ٢٨١ | أنواع السرقة | ٢٦٦ | أسباب إشكال الكلام |
| — | الاصطراف | ٢٦٧ | للبجترى في وصف بلاغة الحسن |
| ٢٨٢ | سرد بقية أنواع السرقة | ابن وهب | |
| — | الاصطراف على ضربين | باب الإحالة والتغيير | |
| ٢٨٣ | الانتحال | ٢٦٧ | وقعت في شعر الجلة من المتقدمين |
| ٢٨٤ | الإغارة | ٢٦٨ | أمثلة من الإحالة |
| ٢٨٥ | الغصب | — | أمثلة من التغيير |
| ٢٨٦ | المرافدة | باب الرخص في الشعر | |
| ٢٨٧ | الاهتمام | ٢٦٩ | هل يجوز للمولدار تكاب الضرورات؟ |
| — | النظر والملاحظة | — | سرد أنواع من الضرورات ، وذكر |
| — | الإلمام | مثال لسكل نوع منها | |
| — | الاختلاس | ٢٧٥ | أنواع لضرورات الزيادة ، ومثال |
| ٢٨٨ | الموازنة | لسكل نوع | |
| ٢٨٩ | العكس | ٢٧٧ | مما جاء في القرآن على خلاف |
| — | الموارد | الظاهر ، وهو من البلاغة والإحكام | |
| — | الالتقاط والتلفيق | لامن الضرورة | |
| ٢٩٠ | كشف المعنى | — | الإخبار عن واحد من اثنين |
| — | الشعر المجدود | — | حذف جواب القسم وغيره |
| — | متى يكون الآخذ أولى بالمعنى؟ | ٢٧٨ | إضمار ما لم يجر له ذكر |
| ٢٩١ | سوء الاتباع | — | حذف « لا » وزيادتها |
| ٢٩٢ | مما يعد سرقا وليس بسرقة | — | حذف المنادى |
| — | أولى الشعاعين بالمعنى | ٢٧٩ | خطاب الواحد كلاثنين والجماعة |
| ٢٩٣ | نظم النثر ، وحل الشعر | — | مجيء المفعول بلفظ الفاعل ، وعكسه |
| باب الوصف | | — | الحمل على المعنى |
| ٢٩٤ | أكثر الشعر يرجع إلى الوصف | باب السرقات ، وماشا كلها | |
| — | أحسن الوصف | ٢٨٠ | لا يدعى السلامة منه أحد |
| ٢٩٥ | تفاضل الناس في الوصف | — | رأى القاضى الجرجانى |
| ٢٩٦ | ذكر شعراء اشتهر كل منهم في وصف شيء | — | السرقة عند عبد الكرم |
| | | ٢٨١ | فيم تكون السرقة ؟ |

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|--|---|---|---|
| ٣٠٨ الثنيان من الشعراء | | ٢٩٦ وصف فيل | |
| باب جواز كتب البسملة قبل الشعر | | ٢٩٧ في وصف فيل أيضا | |
| ٣٠٩ اختلاف الأئمة ، وتحديد موضع الاختلاف | | — في وصف زرافة | |
| باب احكام القوافي في الخط | | ٢٩٨ في وصف إسطراب | |
| ٣٠٩ ياء الوصل وواوه ، والياء والواو الأصلتان | | ٢٩٩ في وصف بركار | |
| باب النسبة إلى الروي | | ٣٠٠ في وصف البنكام | |
| ٣١٠ كيف تنسب إلى ما كان على حرفين؟ | | ٣٠١ في وصف زرمانج | |
| باب الإنشاد وما ناسبه | | — في وصف طاووس | |
| ٣١١ الوقف بالترنم | | باب الشطور وبقية الزحاف | |
| — الوقف على لغة قيس وأسد | | ٣٠١ حد الشطور | |
| ٣١٢ الوقف بإشباع الحركة | | ٣٠٢ الطويل ، المديد ، البسيط | |
| — الوقف بنقل الحركة | | ٣٠٣ الوافر ، الكامل ، الهزج ، الرجز | |
| ٣١٣ أنواع غناء العرب | | ٣٠٤ الرمل ، الخفيف ، المضارع ، المتقارب المتدارك | |
| ٣١٤ فرق ما بين العرب والعجم في الغناء | | باب بيوتات الشعر والمعرفين فيه | |
| — أول من حدا ، وسبب ذلك | | ٣٠٦ بيت أبي سلمى المزني | |
| ٣١٥ التعبير | | — بيت حسان بن ثابت ، بيت النعمان بن بشير ، بيت نهشل بن حري ، بيت جرير بن عطية بن الخطفي | |
| باب الجوائز والصلوات | | ٣٠٧ عقبة بن رؤبة بن العجاج | |
| ٣١٥ اشتقاق الجائزة وأصلها | | بيت أبي حفصة ، بيت أبي عيينة | |
| — أول من سن الجوائز | | بيت الرقاشيين ، بيت اللاحقين | |
| ٣١٦ البدرة ، وأصلها ، الصلة | | بيت أمية الكاتب ، بيت رزين | |
| — من شعر المؤلف الذي صنعه لأبي الحسن | | — بيت حميد | |
| ٣١٧ خاتمة محقق الكتاب | | ٣٠٨ الفرق بين المعرق وذى البيت | |
| | | — من الشعراء الإخوة الذين لم يعرفوا | |

تمت — بحمد الله تعالى واهب القوى والقدر — فهرست الموضوعات الواردة في الجزء الثاني من كتاب « العمدة ، في صناعة الشعر ونقده » لابن رشيق القيرواني ، مفصلة غاية التفصيل . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على إمام المتقين ، سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

| DATE BORROWED | DATE DUE | DATE BORROWED | DATE DUE |
|------------------------|---------------------------|---------------|----------|
| FEB 21 1963 | TO MAR 7 1963 | | |
| MAR 7 1963 | TO MAR 14 1963 | | |
| MAR 25 1963 | TO APR 9 1963 | | |
| APR 1 1963 | TO APR 8 1963 | | |
| APR 25 1963 | TO MAY 9 1963 | | |
| JUL 7 1967 | TO JUL 22 1967 | | |
| FEB 9 '68 | TO FEB 23 '68 | | |
| MAY 10 1968 | TO JUN 24 1968 | | |
| | | | |
| | | | |

D893.782

Ib554

v.2

BURGESS-CARPENTER LIBRARY
ROOM 406 BUTLER LIBRARY
COLUMBIA UNIVERSITY
NEW YORK 27, N. Y.

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



1002022788